يوم القيامة

ومشاهده في الكتاب والسنة

دراسة تحليلية موضوعية

بقلم الفقير لعفو ربه

د. دوخي بن زيد بن علي الحارثي



ح دوخي زيد علي الحارثي، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحارثي، دوخي زيد الحارثي

يوم القيامة ومشاهده في الكتاب والسنة/ دوخي زيد علي الحارثي - الطائف، ١٤٣٤هـ

٥٨٣ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ٤ - ١٧٩٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- القيامة. ٢- البعث والنشور. ٣- الجنة والنار أ.العنوان.

ديوي ٢٤٣ ٣٠٦٧ / ١٤٣٤

رقم الإيداع : ٣٠٦٧ / ١٤٣٤

ردمك : ٤ - ١٧٩٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨



الطائف - وادي وج - جنوب جسر خالد بن الوليد

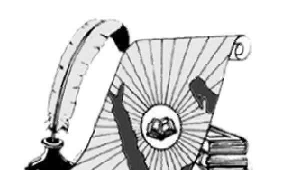
جوال : ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ - ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩

www.tarafen.com

tarafen@maktoob.com







المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الأول الذي لاشيء قبله الآخر الذي لا شيء بعده الحي الذي لا يموت ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (١) ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢)

خلق هذا الكون ومن فيه وما عليه لحكمة بالغة وإرادة صائبة . أوجد العباد على هذه الأرض واستعمر هم فيها وكلفهم بعبادته ﷻ غني عن عباده وهم الفقراء إليه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٣) فيرى الطايع المنقاد لأمره فيجازيه بالجنة ويرى العاصي المنحرف فيجازيه بالنار . لم يخلقهم في هذه الحياة الدنيا هملاً ولم يتركهم سدى بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) يعرفوهم بربهم وخالقهم وأنه المستحق للعبادة فلا تصرف إلا له وحده لا شريك له في ملكه كما أنه لا شريك له في عبادته .جعل سبحانه لكل أمة شرعة ومنهاجا تسير عليه فتصلح أحوالهم وتستقر أمورهم . وهذا تكليف منه ﷻ قال تعالى﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٥) تذهب أمة وتأتي أخرى وكل فرد

(١)سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧ .
(٢)سورة الأنبياء آية٢٣ .
(٣)سورة فاطر آية ١٥ .
(٤)سورة النحل آية ٣٦ .
(٥)سورة المائدة آية ١٠٤ .

مرتهن بعمله في الحياة البرزخية (القبر) وهكذا النظام الرباني حتى ينتهي عمر الدنيا ويخرب هذا العالم ليأتي عالم آخر بدايته بعث العباد ومحاسبتهم على ما كان منهم في حياتهم الدنيا . قال تعالى﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (1) وقال تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾(2) وقال تعالى﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (3) وقال تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (4) يجازي الله كلا على ما أتى به من عمل قال تعالى﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (5) .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً للخلق أجمعين بشيراً بالجنة ونعيمها ونذيراً من النار وعذابها . بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ما من خير إلا بينه لأمته وأمرهم به وما من شر إلا بينه لهم وحذرهم منه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١)سورة المؤمنون آية ١١٥ .

(٢)سورة الإسراء آية ١٠٤ .

(٣)سورة الحجر آية ٩٢ .

(٤)سورة الزلزلة آية ٧-٨ .

(٥)سورة طه آية ٧٤-٧٦ .

أما بعد :

فإذا كانت الحياة الدنيا هي المزرعة فالحياة الآخرة هي الحصاد لما كان في الدنيا من أعمال﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ** ﴾ [(١)] والحياة الآخرة هي الحياة الأبدية قال تعالى﴿ **وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾ [(٢)] ولما لليوم الآخر من أهمية بالغة لأمور سأبينها رأيت أن أكتب بحثاً في هذا سائلاً الله أن ينفع به .

والأمور هي :

١ - أن هذا الموضوع من صلب العقيدة وهو من أهم أمور هذا الدين .

٢ - أن الدار الآخرة هي الدار الحقيقية والمستقر الأخير للعباد فهي الأولى بالبناء والإصلاح .

٣ - أن يجد المسلم بحثاً علمياً موضوعياً تحليلياً عن الآيات والأحاديث التي جاءت في هذا الشأن من أحوال ومشاهد .

ولقد كتب نخبة من العلماء وطلبة العلم في هذا الموضوع مثل القرطبي في التذكرة والسفاريني في لوامع الأنوار وابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم وابن القيم في حادي الأرواح وابن رجب في التخويف من النار وحديثا الدكتور عمر الأشقر « **القيامة الكبرى والجنة والنار** » وقد استفدت كثيراً من كتب هؤلاء

---

(١)سورة الزلزلة ٧-٧

(٢)سورة العنكبوت آية ٢٤

خطة وموضوعاً فجزاهم الله خير الجزاء ورجعت للمصادر التي أشرت عليها في صلب الرسالة وفي الفهرس . ولا أدعي انني قد أظهرت هذا الموضوع بمظهره الكامل ولكن اجتهدت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً فعسى أن أكون قد وفقت للصواب ووصلت إلى ما فيه الحق وما أرجو به الرضا من الله تعالى وحصول الفائدة لإخواني المسلمين فهذا بغيتي ومرادي ليكون دخراً لي بعد مماتي . كما أرجو ربى ومولاي أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وصواباً على سنة سيد المرسلين محمد ﷺ .

المنهج التفصيلي للدراسة :

لقد نهجت في هذا الموضوع منهجا تفصيليا بالدراسة الموضوعية على النحو التالي :

١ - جمع الآيات والأحاديث الوا ردة في الموضوع الواحد مع تخريج الأحاديث وما حكم به عليها .

٢ - تفسير الآيات وبيان معانيها .

٣ - ربط سائر الآيات ذات الموضوع الواحد وايرادها في مواطنها ليظهر المبحث متسلسل المعاني خاليا من التكرار مناسبا لموضعه في البحث كله .

٤ - سوق الحديث في إطار الآية المتفقة معه في المعنى ليكون بياناً لها .

في حالة تكرار المعنى الواحد في عدد من الآيات الأحاديث أ كتفي بموضع الاستدلال بقدر الامكان خاصة عند الحديث عن أحوال الجنة والنار .

وقد قسمت هذا الموضوع على النحو التالي :

١ – مقدمـــة : وتتعلــق ببيـــان أهميـــة الموضـــوع وطريقـــة اختيـــاره والمـــنهج التفصيلي للدراسة .

٢ – ثلاثة أبواب .

٣ – خاتمه .

الباب الأول : التعريف بيوم القيامة ويتكون من فصلين :

الفصل الأول : تعدد أسماء يوم القيامة وتكرره وبيان مناسبة كل اسم للمقـام الـذي جاء فيه . وفيه مباحث .

المبحث الأول : القيامة .

المبحث الثاني : الساعة .

المبحث : الصاخة .

المبحث : الطامة .

المبحث : الراجفة .

المبحث : الواقعة .

المبحث : الحاقة .

المبحث الثامن : القارعة .

المبحث التاسع : الغاشية .

المطلب الثالث : طعامهم وشرابهم .

المطلب الرابع : السلاسل والأغلال والمقامع والأنكال .

المطلب الخامس : الجبال والأودية .

المبحث الثالث : مشاهد أهل النار . وفيه مطالب :

المطلب الأول : أجسامهم .

المطلب الثاني : سحبهم في النار على وجوههم .

المطلب الثالث : هيئتهم في النار .

المطلب الرابع : زفيرهم وشهيقهم .

المطلب الخامس : جر الأمعاء .

المطلب السادس : صراخهم ونداؤهم .

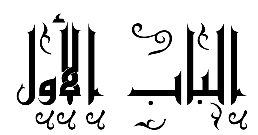
الخاتمة :

وتمثل نتائج اليوم الآخر وما كانت مبنية عليه في الحياة الدنيا .



الباب الأول

التعريف بيوم القيامة



التعريف بيوم القيامة

يوم القيامة هو الساعة التي ببدايتها تنتهي الحياة الدنيا وتبدأ الحياة الآخرة وقد تعددت أسماء يوم القيامة وتكررت كما أن ليوم القيامة علامات صغيرة وأخرى كبيرة وسأتكلم عن هذا في فصلين :

الفصل الأول : تعددت أسماء يوم القيامة وبيان مناسبة كل اسم للمقام الذي جاء فيه

الفصل الثاني : علامات يوم القيامة .



الفصل ا لأول

تعدد أسماء يوم القيامة وبيان كل اسم للمقام الذي جاء فيه :

تعددت أسماء يوم القيامة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة وذلك لعظم ذلك اليوم . لما يحصل فيه من الأهوال العظيمة المؤذنة بانتهاء الدنيا – دار العمل– والانتقال للدار الآخرة دار الحساب والجزاء على ما كان في الدار الدنيا ثم انقسام الناس فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير فلأهمية ذلك اليوم وعظم شأنه تعددت أسماؤه وأوصافه تخويفا وتحذيرا وقياما للحجة وقطعا للمحجة .

وسنرى في هذا الفصل – إن شاء الله – أشهر أسماء ذلك اليوم ومناسبة كل اسم للمقام الي جاء فيه مع ذكر ما تيسر من الآيات والأحاديث إن وجد وسأفرد لكل اسم مبحثاً خاصاً .

والله الموفق

المبحث الأول

يوم القيامة

قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[1]

قال الألوسي : (القيامة بمعنى القيام ودخلت التاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة . وسمى ذلك اليوم بذلك اليوم لقيام الناس فيه للحساب لشدة ما يقع فيه من الهول) [2] .

وقال ابن منظور : يوم القيامة . البعث وفى التهذيب : القيامة يوم البعث يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم[3]

قال البغوي : (سميت القيامة قيامة لأن الناس يقومون من قبورهم ، قال الله تعالى﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾[4] وقيل : لقيامهم إلى الحساب قال تعالى﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5][6] .

وقد بين الله ﷻ : في آية النساء لعباده بأنه هو المستحق للعبادة دون سواه ليعملوا له ويخلصوا له العبادة وأنه جامعهم جميعا ليوم لا شك في حصوله ، وهو يوم القيامة ، فيجدّوا في الأعمال الصالحة في الدنيا ويرغبوا ويرهبوا .

---

(١)سورة النساءآية٧٨

(٢)روح المعاني٥/ ١٠٥

(٣)لسان العرب مادة(قوم) ١٢/ ٥٠٦

(٤)سورة المعارج آية٤٣

(٥)سورة المطففين آية٦

(٦)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل١/ ٤٥٩

قال ابن كثير : وقوله : الله لا اله إلا هو اخبار بتوحيده وتفرد بالالهية لجميع المخلوقات وتضمن قسماً لقوله﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وهذه اللام موطئة للقسم فقوله﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾خبر وقسم أنه سيجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ إي لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعده ووعيده فلا اله إلا هو ولا رب سواه [1] .

وقد جاء ذكر يوم القيامة في آيات كثيرة من القرآن الكريم فنجد من تلك الآيات ما يثبت الواحدانية لله تعالى وأنه جامع خلقه ومحاسبهم مثل آية النساء سالفة الذكر وتارة فيها وعد أو وعيد كقوله تعالى﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [2]﴾ وقوله تعالى﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا [3]﴾ .

وتارة تذكر ما يحصل من تخاصم بين الكفار كقوله تعالى﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا [4]﴾ وفي ذكر الموازين كقوله تعالى﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ [5]﴾ وفي البعث كقوله تعالى﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ

(١)تفسير القرآن العظيم١/ ٨٠٦ .
(٢)سورة الأعراف آية ٣٢
(٣)سورة الإسراء آية ٩٧
(٤)سورة العنكبوت آية ٢٥
(٥)سورة الأنبياء آية ٤٧

﴿ ... ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1] ولعظم وهول هذا اليوم أقسم به الرب ﷻ فقال ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[2] وقد جاءت جميع الآيات الواردة في ذكر يوم القيامة معلنة بما يحصل في ذلك اليوم منذ بدايته وحتى صدور أهل الجنة للجنة وأهل النار للنار[3] وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر كل من الآيات في موضعه من مواقف يوم القيامة أو مشاهد وبيان ذلك .

قال ابن حجر : (والحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار[4]) .



(١)سورة المؤمنين آية ١٦

(٢)سورة القيامة آية ١

(٣)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن(ق و م)

(٤)فتح الباري ١١/ ٣٩٠

المبحث الثاني
الساعة

قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ [1] ﴾ .

الساعة : جزء من أجزاء الليل والنهار والجمع ساعات وساع . وتصغيره سويعه والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة . والساعة : الوقت الحاضر . وقوله تعالى﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ يعني بالساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة فلذلك ترك أن يعرف أي ساعة هي فإن سميت القيامة ساعة فعلى هذا. والساعة : القيامة .

وقال الزجاج : الساعة اسم للوقت الذي فيه القيامة سميت لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى [2] » .

قال أبو السعود : « (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغته وصارت علماً لها كأنها النجم للثريا والكوكب للزهرة [3] ») . قال الله تعالى﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ [4] ﴾ . قال البغوي : « (حتى إذا جاءتهم الساعة) أي يوم القيامة(بغته) أي فجاءة [5] » .

---

(١)سورة الروم آية ٥٥ .

(٢)لسان العرب مادة (سوع) ٨/ ١٦٩ وارصادر .

(٣)تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٦٦ .

(٤)تفسير البغوي ج ٢ ص ٩٣ دار المعرفة .

(٥)سورة يوسف آية ١٠٧ .

ومثله قوله تعالى﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [١]﴾ في هاتين الآيتين بيان بأن الساعة تحصل بغتة قال ابن عباس : (تهيج بالناس وهم في أسواقهم [٢]) .

قال الله تعالى﴿ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ [٣]﴾

قال القاسمي : (و(الساعة) الوقت الذي تقوم فيه القيامة . و(اللمح) النظر بسرعة أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها (أو أقرب) من ذلك -إي أسرع زمانا- بان يقع في بعض زمانه [٤]) .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام : **بعثت والساعة كهاتين** [٥]) .

وفي هذا بيان لقرب الساعة وأنها ملازمة لبعثته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ [٦]﴾ .

قال ابن جرير : (إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية (أكاد أخفيها) فعلى ضم الألف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الإسلام بمعنى أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد) [٧].

---

(١)تفسير البغوي ج ٢ ص ٤٥٣ دار المعرفة .

(٢)سورة النحل آية ٧٧ .

(٣)سورة النحل آية ٧٧ .

(٤)تفسير القاسمي ج ١٠ ص ١٤٠ م دار الفكر .

(٥)صحيح البخاري كتاب التفسير الحديث ٤٩٣٦ وله أطراف(٥٣٠١ ٦٥٠٣) ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٥٠ .

(٦)سورة طه آية ١٥ .

(٧)جامع البيان من تأويل أي القرآن ج ١٦ ص ١٤٩ مطبعة الحلبى .

وقد تحدث القرآن في آيات كثيرة [1] وكل آية فيها الساعة لها مناسبتها ويظهر ذلك واضحا جليا من سياق الآية وكذلك السنة تحدثت عن الساعة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الاناء إلى فيه حتى تقوم . والرجلان يتبايعان الثوب حتى تقوم . والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم** [2] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ،ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته** [3] **فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط** [4] **حوضه فلا يسقي منه ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها** [5] » .

في هذين الحديثين بيان لحصول الساعة بغته وسرعتها وعظم أمرها على الناس فتتوقف أمور الدنيا ويعرض الناس عن ذلك في استقبال أمر عظيم وخطب جسيم وهول فادح فيبطل البيع ويترك الطعام والشراب و يترك اصلاح الأمور الدنيوية المهمة يرغب عن ذلك دون إرادة ولكن لانتهاء العاجلة وقدوم الآخرة وتوقف الأعمال واستقبال الحساب وهذا سنة الله تعالى وما كان عباده يوعدون.

---

(١)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (س و ع) .

(٢)رواه مسلم صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٥٥ .

(٣)اللقحة : بكسر اللام وسكون القاف بعدها مهملة الناقة ذات الدر فتح الباري ١٣/ ٨٩ .

(٤)يليط حوضه : يصلحه بالطين والمدر فيسد شقوقه ليملأه وبسقي منه دوابه فتح الباري ١٣/ ٨٨ .

(٥)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٠ حديث٦٥٠٦ وروى مسلم نحوه كتاب الفتن حديث ٢٩٥٤ .

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [(١)]﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف** [(٢)] -يريد عوافى السباع والطير- **وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان** [(٣)] **بغنمهما فيجدانها وحشاً . حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما** [(٤)] »



(١)سورة الحج آية ١-٢ .

(٢)العواف : جمع عافية وهي التي تطلب أقواتها . فتح الباري ٤/ ٩٠ .

(٣)ينعقان : زجر الغنم يقال نعق بكسر العين وفتحها نعيقاً ونقاقاً نعقا ونعقانا إذا صاح بالغنم . فتح الباري٤/ ٩١ .

(٤)رواه البخاري في صحيحه فضائل المدينة باب ٥ حديث ١٨٧٤ ورواه أحمد في المسند ٢/ ٢٣٤ .

المبحث ا لثالث

الصاخة

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [(1)]﴾ .

الصاخة : (صيحة تصخّ الآذان صخّاً أي : بشدة وقعتها . وأصل الكلمة في اللغة الصكّ الشديد . وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر : إذا صكّه [(2)]) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذّره عباده [(3)]) .

وقد جاء ذكر الصاخة في الآية الكريمة وذلك بعد أن ذكر الله تعالى ما قد أنعم به على عباده من أنواع النعم في الدنيا ذكرهم بها بعد ذلك وهو معادهم وما سيكون فيه من الأهوال العظيمة ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ليكونوا على استعداد وليجدوا في الأعمال الصالحة .

---

(١)سورة عبس آية ٣٣-٣٧ .

(٢)الجامع لأحكام القرآن « للقرطبي »١٩/ ٢٢٤ .

(٣)تفسير القرآن العظيم « لابن كثير » ٤/ ٧٤٣ .

ومن هول ذلك اليوم فان الدواب تكون مصيخة [1] في يوم الجمعة شفقا من ذلك . ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما على الأرض من دآبة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصيخة حتى تطلع الشمس شفقا [2] من الساعة إلا ابن آدم . . [3]** »



(١)مصيخة : أي مستمعه منصتة ويروى بالسين . النهاية في غريب الحديث ٣/ ٦٤ .

(٢)شفقا : أي خوفا من قيامها . وفيه أن البهائم تعلم الأيام بعينها وأنها تعلم أن القيامة تقوم يوم الجمعة، ولا تعلم الوقائع التي بين زمانها وبين القيامة،أو ماتعلم أن تلك الوقائع ما وجدت إلى الآن.والله تعالى أعلم .

انظر سنن النسائي بحاشية الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الأمام السندي ٣/ ١١٤ .

(٣)رواه النسائي في سننه ٣/ ١١٤ ورواه أبو داود في سننه ١/ ٢٧٤ حديث ١٠٤٦ كتاب الصلاة . ورواه مالك في الموطأ ١/ ١٠٨ كتاب الجمعة باب ٧ حديث ١٦ . وهو صحيح، قاله الشيح الألباني أنظر صحيح الجامع ٣/ ١٣٤ حديث ٣٣٢٩ وهو قطعة من حديث طويل .

المبحث الرابع
الطامة

قال الله تعالى :﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ (1)

الطامـة : (الداهية تغلب ما سواها ويقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو . قد طمّ وهو يطم طما . وجاء السيل فطم كل شيء أي علاه . ومن ثم قيل : فوق كل شيء طامة ومنه سميت القيامة طامة . وقال الفراء في قوله ﷻ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ﴾ قال : « هي القيامة تطّم على كل شيء ويقال تطم وقال الزجاج : الطامة هي الصيحة التي تطم على كل شيء » (2) . « والطامة الكبرى هو يوم القيامة (3) » .

وقد جاءت هذه الآية الكريمة بذكر يوم القيامة بعد أن عدد سبحانه وتعالى عظم مخلوقاته المرئية على منكري البعث والتي يصل إليها البصر ثم يرجع خاسئاً وهو حسير .و أنها من أجل حياتهم واستقراهم ، وأنه قادر على الإعادة وهي أهون من البدء ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ (4) .ليرجع الناس عن غيهم ويلتزموا بأمر ربهم ويحسبوا لذلك اليوم حسابه . وتلك الساعة وقتها – فقال تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (5)﴾ .

---

(1)سورة النازعات آية ٣٤ .

(2)لسان العرب مادة (طمم) ١٢/ ٣٧٠ .

(3)تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٧٣٧ .

(4)سورة الأنبياء آية ١٠٤ .

(5)سورة النازعات آية ٢٧-٤١ .

المبحث الخامس
الراجفة

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ [1]﴾

الراجفة : الرجفان : الاضطراب الشديد . رجف الشيء يرجف رجفاً ورجوفاً ورجفاناً ورجيفاً ورجفاً ورجفت الأرض ترجف رجفاً . اضطربت ورجفت الأرض إذا تزلزلت وفي التنزيل العزيز ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ قال الفراء هي : النفخة الأولى والرادفة النفخة الثانية . قال أبو اسحق : الراجفة : الأرض ترجف تتحرك حركة شديدة . وقال مجاهد : هي زلزلة . وفي الحديث : أيها الناس : اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة « قال : الراجفة : النفخة الأولى تموت لها الخلائق والرادفة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة [2] » .

الرادفة : « الردف : ما تبع الشيء . وكل شيء تبع شيئاً . فهو ردفه. وإذا تتابع شيء خلف شيء [3] » .

وجاء في الحديث « عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ : إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : **يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه** قال أبيّ : قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي؟ فقال **ما شئت** . قال قلت الربع؟ قال : **ما شئت فإن**

---

(١)سورة النازعات آية ٦-٧ .

(٢)لسان العرب مادة(رجف) ٩/ ١١٣ .

(٣)لسان العرب مادة (ردف) ٩/ ١١٤ ١١٥ .

زدت فهو خير لك قلت : النصف؟ قال : **ما شئت فإن زدت فهو خير لك** قال : قلت : فالثلثين؟ قال : **ما شئت فإن زدت فهو خير لك** قلت : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : **إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك** [1] » .

قال أبو العلى المباركفوري : « (جاءت الراجفة تتبعها الرادفة) قال في النهاية : الراجفة : النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق والرادفة : النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة وأصل الرجف : الحركة الاضطراب . انتهى .

وفيه إشارة إلى قوله تعالى﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ وعبر بصيغة المضي لتحقيق وقوعها فكأنها جاءت. والمراد أنه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل أمرها [2] »

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (الراجفة : النفخة الأولى . الرادفة : النفخة الثانية [3]) .



(١)رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة –باب ٢٣ حديث وقال حديث حسن صحيح .

(٢)تحفة الأحوذي ٧/ ١٥٢ .

(٣)رواه البخاري كتاب الرقاق باب فتح الباري ١١/ ٣٦٧ .

المبحث السادس
الواقعة

قال الله تعالى﴿ **إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** [1]﴾ . وقال تعالى﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** ﴾[2] .

الواقعة : « اسم من أسماء يوم القيامة . وقولة تعالى﴿**إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** ﴿١﴾ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾ يعني يوم القيامة . وقال أبو اسحق : يقال لكل آت يتوقع قد وقع الأمر كقولك قد جاء الأمر قال : والواقعة هاهنا الساعة والقيامة [3] قال ابن كثير رحمه الله تعالى : »الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** ﴾[4] .

وقال والشوكاني رحمه الله تعالى : (قال المفسرون : والواقعة هنا هي النفخة الآخرة، ومعنى الآية أنها إذا وقعت النفخة الآخرة عند البعث لم يكن هناك تكذيب بها أصلاً أو لا يكون هناك نفس تكذب على الله وتكذيب بما أخبر عنه من أمور الآخرة)[5] .

قال الله تعالى﴿ **إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ** ﴿١﴾ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴿٢﴾ **خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ**﴾[6] لقد جاء ذكر الواقعة في بداية هذه السورة الكريمة لإيقاف العباد على حقيقة ذلك وأنه حاصل لا محالة وأن العباد على فريقين حسب أعمالهم فيخفض أقوام وإن كانوا في

(١)سورة الواقعة آية ١ .
(٢)سورة الحاقةآية ١٥ .
(٣)لسان العرب ٨/ ٤٠٣ (مادة وقع) .
(٤)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٤٠ .
(٥)فتح القدير ٥/ ١٤٧ .
(٦)سورة الواقعة آية ١-٣ .

رفعة دنيوية وقد أهملوا الجانب الديني ويرفع أقوام وإن كان لا يعبأ بهم في الدنيا ولا يعرفون من قبل أهلها إلا أنهم كانوا على جانب من البر والتقى . عن حارثه ابن وهب الخزاعي قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لأبره -ألا أخبركم بأهل النار؟ كل جواظ** [1] **مستكبر** [2] » .



(١)جواظ : الجواظ : الجموع . المنوع . وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته وقيل القصير البطن . انظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٣١٦ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة القلم باب ١ حديث ٤٩١٨ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث ٢٨٥٣ ورواه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٦ .

المبحث السابع
الحاقة

قال الله تعالى ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [1] الحاقة : (القيامة سميت بذلك لأن فيها حواق الأمور . وحاقه أي خاصمه وادعى كل منهما الحق . فإذا غلبه قيل حقه . ويقال للرجل إذا خاصم في صغار الأشياء .... إنه لنزق الحقاق . ويقال ماله فيه حق ولا حقاق ولا خصومة . والتحاق : التخاصم) [2].

قال القرطبي : الحاقة : القيامة وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها ، قاله الطبري . كأنه جعلها من باب « ليل نائم » . وقيل سميت الحاقة لأنها تكون من غير شك . وقيل سميت بذلك لأن فيها يصير كل إنسان حقيقا بجزاء عمله . وقال الأزهري : يقال حاققته فحققته ، أحقه أي غالبته فغلبته . فالقيامة حاقة لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي كل مخاصم[3]» .

هذا الاسم ليوم القيامة –الحاقة– ورد في هذه السورة الكريمة مبيناً فيه تبارك وتعالى أن هناك ساعة تحقق فيها أمور العباد صالحهم وطالحهم وما طرق أسماعهم من الدنيا من الوعد والوعيد والجزاء والحساب ليكون عظة وعبرة ولئلا يكون بعد ذلك حجة .



(١)سورة الحاقة آية ١-٣ .

(٢)الصحاح للجوهري ٤/ ١٤٦١ .

(٣)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ٢٥٦ .

المبحث الثامن
القارعة

قال الله تعالى ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ [1] ﴾ .

القارعة : « من شدائد الدهر.وهي الداهية . ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة . ويقال : قرعتهم قوارع الدهر أي أصابتهم . [2]

قال ابن جرير الطبري : « (القارعة) : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولها وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لا ليل بعدها . (ما القارعة) يقول تعالى ذكره معظما شأن القيامة والساعة التي يقرع الخلق هولها : أي ما أعظمها وأفظعها وأهولها . (وما أدراك ما القارعة) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ما **أشعرك يا محمد أي شيء القارعة** [3] » .

في هذه السورة السورة الكريمة يظهر لنا مسمى آخر ليوم القيامة للساعة التي يرى فيها الأهوال العظيمة والأمور الجسيمة فيبين تعالى الصفة المروعة وهو أنه في تلك الساعة تكون أحداث مرئية ومشاهدة فالناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش وأهل الصدق والوفاء بما أوجب الله عليهم في عيشة رضوها في الجنة . وأما المقسطون الذين خفت موازينهم فهم لجهنم حطبا. وهنا يقف الانسان على هذه الحقائق التي لا بد من تحقق وقوعها كما بين جل وعلا فيكون على بينة من أمره في حياته الدنيا وما هو قادم عليه .

---

(١)سورة القارعة آية ١-٣ .

(٢)لسان العرب مادة (قرع) ٨/ ٢٦٥ .

(٣)جامع البيان من تأ ويل آي القرآن ٣٠/ ٢٨١ مطبعة الحلبى .

المبحث التاسع
الغاشية

قال الله تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ (1) .

الغاشية : « الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة من قوله تعالى﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ : وقيل هي النار من قوله تعالى﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ وقوله تعالى﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ ﴾ والأول هو الحق فإن ما سيُروى من حديثها ليس مختصاً بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا (2) » .

قال ابن حجر : « وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : « الغاشية من أسماء يوم القيامة (3) » .

في هذه السورة إخبار من الله تبارك وتعالى لرسوله محمد ﷺ عن حديث القيامة وغشيانها الناس بشدائدها وأهوالها فترى﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣
تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ
۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ
جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ (4) ﴾ .

وهنا بيان لصفتي أهل العصيان وأهل الطاعة يوم القيامة فبين في الآيات الأول وجوه الأشقياء ثم بين تعالى وجوه السعداء .

---

(1)سورة الغاشية آية ١ .
(2)تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٩/ ١٤٨ .
(3)فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٧٠٠ .
(4)سورة الغاشية آية ٢-١٦ .

المبحث العاشر

اليوم الآخر

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [1]﴾ .

اليوم الآخر : « يحتمل أن يراد به الوقت الدائم من الحشر بحيث لا يتناهى أو ما عينه الله تعالى منه إلى استقرار كل من المؤمنين والكافرين فيما أعد له وسمي آخرا لأنه آخر الأوقات المحددة والأشبه هو الأول لأن اطلاق اليوم شائع عليه في القرآن سواء كان حقيقة أو مجازا لأن الإيمان به يتضمن الأيمان بالثاني لدخوله فيه من غير عكس [2] » .

الله ﷻ جعل لعباده دارين دار عمل وسماها الدار الدنيا وهي التي لا تزال قائمة بأهلها . ودارٌ أخرى هي دار الجزاء على ماكان في الدنيا وسماها سبحانه وتعالى اليوم الآخر وقد جاء ذكر هذا اليوم مصرحاً به في القرآن الكريم ففي آية [3] نجد عبادا يؤمنون به فيسعون في عمل الصالحات مثلما جاء في الآية آنفة الذكر وفي غيرها من الآيات . وفي أخرى نجد آخرين يكذبون به فيتخلفون عن عبادة ربهم فيندد بهم وبسوء أعمالهم الباطلة. قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ [4]﴾ . ويأتي اليوم الآخر بصيغة التأنيث .

---

(١)سورة التوبة آية١٨ .

(٢)روح المعاني ١/ ١٤٥ .

(٣)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (آخر) .

(٤)سورة البقرة آية ٨ .

قال الله تعالى ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

الآخرة : « تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة بدليل قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾[2] وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا » .

وقال الفخر الرازي : « الآخرة صفة الدار الآخرة وسميت بذلك لأنها متأخرة عن الدنيا و وقيل للدنيا دنيا لأنها أدنى من الآخرة [3] » .

وتأتي أحيانا بدون ذكر الدار كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[4] وقد جاءت في آيات كثيرة [5]من القرآن الكريم .



(١)سورة العنكبوت آية ٦٤ .

(٢)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل وجوه التأويل ١/ ١٣٧ .

(٣)تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٢/ ٣٦ .

(٤)سورة البقرة آية ٤ .

(٥)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (الآخرة) .

المبحث الحادي عشر

يوم الدين

قال الله تعالى﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ [1]﴾ .

الدين : « الجزاء والمكافأة . ودنته بفعله دينا : جزيته . . والدين : الحساب ومنه قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ وقيل معناه مالك يوم الجزاء وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي والدين : الطاعة . وقد دنته ودنت له أي (أطعته) [2].

ومن هذا التعريف ومما جاء في التنزيل يتبين لنا أن كلمة الدين تأتي على معنيين :

١ - ما يقع في الدنيا من عبادات .

٢ - الجزاء والمكافأة للمخلوقات في اليوم الآخر .

وقد ورد في ذكر هذا اليوم آيات كثيرة في القرآن الكريم [3] تؤكد وقوع هذا اليوم وتبين بعض ما فيه .

---

(١)سورة الفاتحة آية ٣-٤ .

(٢)لسان العرب مادة (دين) ١٣/ ١٦٩ .

(٣)أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د ي ن) .

وفى ذلك وعد للمتقين بالجنة ووعيد للكافرين بالنار . سنذكر طرفا منها :

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ [1]﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ [2]﴾ وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ [3]﴾ .



(١)سورة الذاريات ٥-٦ .

(٢)سورة الأنفطار آية ١٣-١٥ .

(٣)سورة الأنفطار آية ١٧-١٩ .

المبحث الثاني عشر

يوم الفصل

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ [(١)] ﴾ .

يوم الفصل : « وقوله ﷻ ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ [(٢)] ﴾ أي هذا يوم فصل فيه بين المحسن والمسيء ويجازي كل بعمله وبما يتفضل الله به على عبده المسلم . ويوم الفصل : هو يوم القيامة ، قال الله ﷻ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ [(٣)] ﴾ »[(٤)] .

قال ابن كثير : « هو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين » [(٥)].

لقد جاء ذكر يوم الفصل في آيات من الذكر الحكيم [(٦)]وذلك بيان للعباد أن يوم القيامة هو ميعادهم لفصل القضاء فيما كانوا فيه يختلفون وعلى ما كانوا يعملون وأن ذلك مؤقت بأجل معدود من الله تبارك وتعالى وحاصل وقته وإن

---

(١)سورة الدخان آية ٤٠ .

(٢)سورة المرسلات آية ٣٨ .

(٣)سورة المرسلات آية ١٤ .

(٤)لسان العرب مادة (ف ص ل)١١/ ٥٢١ .

(٥)تفسير بن كثير ٤/ ٢٢١ .

(٦)سورة الصافات آية ٢١ .

سورة الدخان آية ٤٠ .

سورة المرسلات آية ١٣١٤٣٨ .

سورة النبأ آية ١٧ .

كذب به المكذبون أو أنكره المنكـرون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [(١)] ﴾ .
وأحيانا يأتي يوم الفصل بصيغة الفعل كما في قوله تعـالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ [(٢)] ﴾ . وكما في قوله تعالى ﴿ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [(٣)] ﴾ .



(١)سورة الشعراء آية ٢٢٧ .
(٢)سورة الحج آية ١٧ .
(٣)سورة السجدة آية ٢٥ .

المبحث الثالث عشر

يوم الحساب

قال الله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ [1] ﴾ .

الحساب : « مصدر كالمحاسبة وقد سمي المحسوب حساباً . والحساب : العدد ويقال حسب يحسب حساباً وحسابة وحُسباناً وحِسباناً وحسْباً أي عداً [2] »

قال أبو السعود : « الحساب مبدؤه الصيحة الثانية – النفخة الثانية [3] وقال : « الحساب علة للوصول إلى الجزاء [4] » .

وقال الفارسي : « والحساب مصدر حاسب . وحسب الشيء يحسبه بالضم إذا عده سماعاً وهو معنى من قول من قال الحساب لغد العد . واصطلاحا توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً تفصيلاً لا بالوزن إلا من استثنى منهم [5] .

وقال ابن جرير : عند قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [6] إنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب لأنه جل ذكره يحصى ما يحصى من أعمال عباده بغير

---

(١)سورة غافر آية ٢٧ .

(٢)الجامح لأحكام القرآن ٢/ ٤٣٤ .

(٣)تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤/ ٢١٨ .

(٤)نفس المرجع ٤/ ٢٣١ .

(٥)لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ٢/ ١٧١-١٧٢ .

(٦)سورة البقرة آية ٢٠٢ .

عقد أصابع ولا فكر ولا روية فعل العجزة الضعفة من الخلق ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعزب عنه مقال ذرة فيهما ، ثم هو مجاز عباده على كل ذلك ، فلذلك جل ذكره امتدح بسرعة الحساب وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمثل ، فيحتاج في حسابه إلى عقد كف أو وعي صدر [1] » .

وفى هذا المعنى لذكر يوم الحساب الإنذار بيوم القيامة وأنه تبارك وتعالى يحصي أعمال العباد ويظهرهم عليها خيرها وشرها فكل يرى ما قدم في حياته الدنيا من خير وشر محصاة في صحف أعماله قال تعالى ﴿ **وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** [2]﴾ .

وقال تعالى ﴿ **يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** [3]﴾ وقد جاء ذكر القرآن الكريم مصرحا بذكر يوم الحساب [4] وفيه ظهور نتائج الأعمال التي كانت في الدنيا وأن الله سريع الحساب وأن الظلمة لهم سوء الحساب وأن المؤمنين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

قال تعالى ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ**

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٣٠٢ .

(٢)سورة الكهف آية ٤٩ .

(٣)سورة القيامة آية ١٣ .

(٤)أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ح س ب) .

إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ [(١)]﴾ وقال تعالى ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ [(٢)]﴾ وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ [(٣)]﴾ .



(١)سورة آل عمرآن آية ١٩٩ .

(٢)سورة الرعد آية ١٨ .

(٣)سورة الرعد آية ٢١ .

المبحث الرابع عشر

اليوم الموعود

قال الله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ [1]﴾ .

اليوم الموعود : « هو يوم القيامة بإجماع المفسرين وقد كانوا يوعدون به في الدنيا فهو الموعود به كل من الفريقين كما قال تعالى في حق المؤمنين ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ [2]﴾ وسيعترفون بذلك عند البعث حينما يقولون ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ [3][4]﴾ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : في هذه الآية ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال « الشاهد » يوم الجمعة و« المشهود » يوم عرفة و« الموعود » « يوم القيامة [5] » .

وقال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ [6]﴾ قال مقاتل « يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد [7] » .

---

(١)تفسير لبروج آية ١-٢ .

(٢)سورة الأنبياء آية ١٠٣ .

(٣)سورة يس آية ٥٢ .

(٤)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن طبعة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز .

(٥)رواه الأمام أحمد في المسند حديث ٧٩٦٠ تحقيق أحمد شاكر وقال : إسناده صحيح ولفظه موثق ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٩ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٦)سورة ق آية ٢٠ .

(٧)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٤/ ٢٢٣ .

المبحث الخامس عشر

يوم الجمع

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [1] ﴾ .

يوم الجمع : « هو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأ ولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر . كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [2] ﴾ وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [3] ﴾ [4] .

لقد أعد الله ﷻ موعداً لجميع المخلوقات يجمعهم فيه لفصل القضاء وهو يوم القيامة وقد جاء ذكر هذا في محكم التنزيل في آيات متعددة [5] تبين قدرته ﷻ على الجمع والسؤال والحكم بين الخلائق في الصغيرة والكبيرة .

قال تعالى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ [6] ﴾ وقال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [7] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ [8] ﴾ .

---

(١)سورة التغابن آية ٩ .

(٢)سورة هود آية ١٠٣ .

(٣)سورة الواقعة آية ٥٠ .

(٤)تفسير القرآن العظيم

(٥)أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ج . م . ع)

(٦)سورة النساء آية ٨٧ .

(٧)سورة آل عمران آية ٢٥ .

(٨)سورة الشورى آية ٢٩ .

المبحث السادس عشر

يوم التغابن

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [(١)] ﴾ .

الغبن : « الشعور بالنقص ومثله الخبن لاشتركتهما في حرفين من ثلاثة كما في فقه اللغة : فبينهما تقارب في المعنى كتقاربهم في الحرف المختلف وهو الغين والخاء ولخفاء الغين في الحلق وظهور الخاء عنها كان الغبن لما خفي والخبن لما ظهر [(٢)] » .

التغابن : « يوم القيامة هو يوم التغابن ، وذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضا فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل ، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر وأهل الطاعة أهل المعصية ولا غبن أعظم من غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار فكان أهل النار استبدلوا الخير بالشر والجيد بالرديء والنعيم بالعذاب وأهل الجنة على العكس من ذلك . يقال : غبنت فلانا : إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه والغلبة ، كذا قال المفسرون فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة [(٣)] . قال البخاري في صحيحه : « والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار [(٤)] » .

---

(١)سورة التغابن آية ٩ .

(٢)أضواء البيان ٨/ ٣٤١ تتمة عطية محمد سالم .

(٣)فتح القدير ٥/ ٢٣٧ .

(٤)صحيح البخاري كتاب الرقاق ٤٨ فتح الباري ١١/ ٣٩٥ .

قال ابن حجر : غبن بفتح المعجمة الموحدة بعدها نون والسبب في ذلك أن أهل الجنة ينزلون منازل الأشقياء التي كانت أعدت لهم لو كانوا سعداء فعلى هذا فالتغابن من طرف واحد ، ولكنه ذكر بهذه الصيغة للمبالغة » [1] .



(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٩٦ .

المبحث السابع عشر

يوم التناد

قال الله تعالى ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [1].

يوم التناد : « يوم القيامة يدعى كل أناس بأمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادى أصحاب الأعراف و ينادى بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وفلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود فلا موت و يا أهل النار خلود فلا موت .

وقرأ ابن عباس والضحاك : يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر وذلك أنهم هربوا فندّوا في الأرض كما تندّ الإبل إذا شردت عن أربابها . وقال الضحاك : وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا [2]﴾ وقوله ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ [3]﴾ »[4] .



(١)سورة غافر آية ٣٣ .

(٢)سورة الحاقة آية ١٧ .

(٣)سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٤)تفسير البغوي معالم التنزيل ٤/ ٧٩ .

المبحث الثامن عشر

يوم التلاق

قال الله تعالى ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾[1] .

يوم التلاق : « قال ابن عباس وقتاده : يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض وقال قتاده أيضا وأبو العالية ومقاتل : يلتقي فيه الخلق والخالق . وقيل : العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم . وقيل : يلقى كل إنسان جزاء عمله. قيل يلتقي الأولون والآخرون علق صيعد واحد روي معناه عن ابن عباس . وكله صحيح المعنى [2] » فلا مانع من إرادتها جميعا حيث لا تعارض وأن ذلك واقع كله لا محالة .

«وقال ابن عباس: يوم التلاق : اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده [3]» .



(١)سورة غافر آية ١٥ .

(٢)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٣٠٠ .

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١١٣ .

المبحث التاسع عشر

يوم الآزفة

قال الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ [1]﴾ .

قال القرطبي : « يوم القيامة سميت بـذلك لأنهـا قريبـة إذ كـل مـا هـو آت قريب وأزف فلان أي قرب يأزف أزفا . . . ونظـير هـذه الآيـة ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ [2] أي قربت [3] .

وكما قال الله تعالى ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ [4]﴾ وقولـه تعـالى ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ [5]﴾ .



---

(١)تفسير غافر آية ١٨ .

(٢)سورة النجم آية ٥٧ .

(٣)الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٠٢.

(٤)سورة القمر آية ١ .

(٥)سورة الأنبياء آية ١.

المبحث العشرون

يوم الحسرة

قال الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [(١)] ﴾

الحسرة : « أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه وقال ﷻ(ولا تذهب نفسك عليهم حسرات[(٢)]) أي حسرة وتحسراً [(٣)] » .

في يوم القيامة عندما يرى الكفار حقيقة الأمر وأخذهم كتبهم بشمائلهم وأنهم مساقون إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة يتحسرون على تفريطهم في الدنيا وإهمالهم .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ **يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة . هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت قال ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت . قال فيؤمر به فيذبح . قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت . ويا أهل النار خلود فلا موت** » .

---

(١)سورة مريم آية .

(٢)سورة فاطر آية ٨ .

(٣)لسان العرب مادة (حسر) ٤/ ١٨٩ .

ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا [1] .



(١)رواه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها حديث ٢٨٤٩ اللفظ له ورواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير حديث ٤٧٣٠ .

كبش أملح : قيل هو الأبيض الخالص ، وقيل هو الذي فيه بياض وسواد وبياضه أكثر صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٨ . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

فيشرئبون : أي يرفعون رءوسهم إلى المنادى . نفس الرجع .

المبحث الحادي والعشرون

ومن أسماء يوم القيامة

ذكر البخاري رحمه الله تعالى بعض أسماء يوم القيامة : الحاقة- القارعة- الغاشية- الصاخة- التغابن . وبعد أن تكلم ابن حجر رحمه الله تعالى عن ذلك قال : « وقد اقتصر المنصف من أسماء يوم القيامة على هذا القدر وجمعها الغزالي ثم القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسماً يوم الجمع ويوم الفزع الأكبر ويوم التناد ويوم الوعيد ويوم الحسرة ويوم التلاق ويوم المآب ويوم الفصل ويوم العرض على الله ويوم الخروج ويوم الخلود ومنها يوم عظيم ويوم عسير ويوم مشهود ويوم عبوس قمطرير ومنها يوم تبلى السرائر ومنها يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ويوم يدعون إلى نار جهنم ويوم تشخص الأبصار ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ويوم لا ينفع مال ولا بنون ويوم لايكتمون الله حديثا ويوم لا مرد له من الله ويوم لا بيع فيه ولا خلال ويوم لا ريب فيه فإذا ضمت هذه إلى ما ذكر في الأصل كانت أكثر من ثلاثين اسما معظمها ورد في القرآن بلفظه وسائر الأسماء المشار إليها أخذت بطريق الإشتقاق بما ورد منصوصاً كيوم الصدر من قوله ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا** [1]﴾ . ويوم الجدال من قوله ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا** [2] ﴾ ولو نتبع مثل هذا من القرآن زاد على ما ذكر والله أعلم [3] » .

---

(١)سورة القارعة آية ٦ .

(٢)سورة النحل آية ١١١ .

(٣)فتح الباري ١١/ ٣٩٦ .

ولقد تكرر ذكر يوم القيامة في مواضع متعددة في كتاب الله الكريم بأسماء متنوعة وكل اسم له دلالته البالغة في بيان الحال التي سمي من أجلها ، وهذا من اكتمال الدين وعدل رب العالمين ومن تبصير عباده في هذه الحياة الدنيا وحضهم على عبادته والالتزام بأمره واجتناب نهيه وتعريفهم ، بما هم آيلون إليه وما سيكون من مشاهد وأحوال تذهل فيها المراضع ويشيب فيها الوليد وتضع الحوامل حملها، وتحصل الحسرة والندامة ويعض الظالم على يديه ، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم توفى كل نفس ما كسبت وهو لا يظلمون .

١ – أن الله تعالى هو الرب الخالق لهذا الكون ومن فيه. المتصرف في ذلك حيث شاء ومتى شاء وأنه إليه المرجع والمآب في يوم من الأيام للمجازاة على ما كان في الدنيا .

٢ – توكيد تحقيق وقوع ذلك اليوم للفصل بين العباد .

٣ – تحذير العباد من سوء ذلك اليوم للأستعداد له بالأعمال الصالحة .

٤ – بيان مشاهد ذلك اليوم وما سيكون فيه من أهوال .

٥ – ومعلوم أن الشيء إذا عظم خطره كثرت أسماؤه ،كما روى الإمام علي رضي الله عنه : كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى . ومعلوم أن ذلك ليس من المترادفات فإن لكل اسم دلالة على معنى خاص به . فالواقعة : لصدق وقوعها والحاقة لتحقق وقوعها والطامة لأنها تطم وتعم بأحوالها والآزفة

من قرب وقوعها ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ [(١)]﴾ مثل ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ [(٢)]﴾ وهكذا [(٣)] . . » وقال القرطبي : « كل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم وله نظائر ، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها ،سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة [(٤)] » . ومما هو معلوم أن التكرار يكون بتكرار الاسم في آية واحدة كقوله تعالى ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وقد يكون بتكرار الاسم الواحد في آيات كثيرة كتكرار يوم القيامة وقد يكون بتكرار مسميات كثيرة تدور حول يوم القيامة لأداء الغرض المقصود وهو ما أشرت إليه . قال الزركشي : « وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه »[(٥)] .



(١)سورة النجم آية ٥٧ .

(٢)سورة القمر آية ١ .

(٣)أضواء البيان تتمه مطيه محمد سالم ٩/ ٤٥٧ .

(٤)التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٢٦٠ .

(٥)البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩ .

الفصل الثاني

علامات يوم القيامة

لقد أخفى الله ﷻ زمن قيام الساعة عن الخلق فلا أحد يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ [1]﴾ وقال تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [2]﴾ ولكن الله ﷻ أبان لنا علاماتها ليستعد الناس ويحذروا هول ذلك اليوم وما بعده وهذه العلامات منها الصغيرة ومنها الكبيرة .

قال السفاريني : ثم إعلم أن أشراط الساعة أماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر . القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها. فالأولى التي ظهرت ومضت وانقضت(منها) بعثة النبي ﷺ وموته وفتح بين المقدس(ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ و . . . . الثانية : الأمارات المتوسطة : وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهي كثيرة جدا . . .والثالثة : العلامات العظام والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة . . . . [3]« وقال الشيخ محمد بن

(١)سورة لقمان آية ٣٤ .

(٢)سورة الأعراف آية ١٨٧ .

(٣)لوامع الأنوار البهية ٢/ ٦٦٨٦٧٠ .

إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى (١) : قد وجد مباديء أوائل قرب الساعة . فإن نبينا ﷺ نبي الساعة وهو الذي تقوم الساعة على أمته وبعدها تتابعت الصغار الكثيرة جدا ثم علاماتها الكبار إلى الآن لم تأت وغير بعيد أن تقع فإن النبي ﷺ أخبر عن أمور هائلة وأمور تنكرونها بطريقة لا نسبة لها إلى ما قبل كأن الآن عالم والماضي قريباً عالم آخر (٢) »

وسأبين في هذا الفصل بمشيئة الله تعالى البعض من العلامات الصغيرة والعلامات الكبيرة وذلك في مبحثين :

المبحث الأول : العلامات الصغرى .

المبحث الثاني : العلامات الكبرى .



(١)هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب ينتهي نسبه إلى نزار بن معد عدنان ولد بالرياض في (حي دخنه) في محرم عام ١٣١١هـ بـدأ / من صغره في الأخذ بأسباب العلم والمعرفة حتى أصبح ممن يشار إليهم بالبنان وأصبح مفتيا للديار السعودية وله من المؤلفات مجموع الفتاوى ثلاثة عشر مجلدا ،وكان له باع طويل في جميع الفنون الشرعية مع أنه قد كف بصره وهو في السابعة عشر من عمره وقد أشغله القضاء والفتيا والتدريس عن التأليف لاهتمامه الكبير بأمور المسلمين وحل قضاياهم ومشاكلهم » انظر مقدمة الجزء الأول من فتاويه .

(٢)مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٢٤٣ .

المبحث الأول

العلامات الصغرى

العلامات الصغرى هي التي ظهرت ولم تزل مستمرة وتزيد وتكثر وهي كثيرة جداً في هذا الزمن وسأذكر بعضها في المطالب التالية :

المطلب الأول : أن تلد الأمة ربتها وتطاول رعاة الشاة في البنيان .

المطلب الثاني : رفع العلم كثرة الجهل كثرة الزنا كثرة شرب الخمر قلة الرجال كثرة النساء .

المطلب الثالث : كثرة المال .

المطلب الرابع : مرور الرجل على قبر الرجل وتمنيه أن يكون مكانه لكثرة البلاء .

المطلب الخامس : إحياء عبادة صنم ذي الخلصة .

المطلب السادس : إضاعة الأمانة .



المطلب الأول

أن تلد الأمة ربتها وتطاول رعاء الشاء في البنيان

عن عمر بن الخطاب ﵁ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه عنا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه [١] ووضع كفيه على فخذيه [٢] وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .** » قال : صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه [٣] .قال : فأخبرني عن الإيمان قال : « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » . قال صدقت قال : فأخبرني عن الإحسان قال : « **أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنه يراك** » قال : فأخبرني عن الساعة .قال : « **ما المسؤل عنها بأعلم من السائل** [٤] » . قال : فأخبرني عن أماراتها [٥] .قال : **أن تلد الأمة ربتها** [٦] **وأن ترى الحفاة العراة**

---

(١)فأسند ركبتيه إلى ركبتيه : أي الرجل المتعلم أسند أي قرب ركبتيه من ركبتي رسول الله ﷺ .

(٢)ووضع كفيه على فخذيه : أي الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه . » وجلس على هيئة المتعلم . صحيح مسلم ١/ ٣٧ .

(٣)فعجبنا له يسأله ويصدقه : سبب تعجبهم أن هذا خلاف عادة السائل . وإنما هذا كلام خبير بالمسؤل عنه ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذا غير النبي ﷺ . أنظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١/ ٣٧.

(٤)فيه أن ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن ذلك لا ينقصه بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٨ .

(٥)الأمارة والأمار بإثبات الهاء وحذفها هي العلامة . صحيح مسلم تحيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ٣٧ .

(٦)ربتها : فى رواية أخرى ربها ~على التذكير ، وفي أخرى بعلها وقال يعنى السراري ومعنى ربها وربتها سيدها ومالكتها صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ٣٨ .

العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان [1] قال : ثم انطلق فلبثت مليا [2] ثم قال لي : « **يا عمر أتدري من السائل ؟** »قلت الله ورسله أعلم . قال : « **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** [3] » . قال القاضي عياض ﷺ تعالى : « هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبه منه [4] »

في هذا الحديث الشريف نقف على علامتين من علامات الساعة :

١ - أن تلد الأمة ربتها : قال ابن حجر : « اختلف العلماء قديماً وحديثاً في معنى ذلكوقد لخصتها بلا تداخل فإذا هي أربعة أقوال :

الأول : قال الخطابي : معناه اتساع الإسلام واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربها ولد سيدها .

(١)العالة : الفقراء والعائل : الفقير ،والعيلة الفقر . وعال الرجل يعيل عيلة . أي افتقر . والرعاء ويقال رعاة ، ومعناها : أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان صحيح مسلم تحيق محمد فؤاد عبد الباقي١/ ٣٨ .

(٢)مليا : أي وقتا طويلاً-أنظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدا لباقي ١/ ٣٨ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم١ واللفظ له وبنحوه رواه البخاري في كتاب التفسير سورة لقمان باب ٢ حديث ٤٧٧٧ عن أبي هريرة ورواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ٤حديث ٢٦١٠ ورواه غيرهم .

(٤)شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ١٥٨ .

الثاني : أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك .

الثالث : وهو من نمط الذي قبله ، قال النووي : لا يختص شراء الولد أمه بأمهات الأولاد بل يتصور في غيرهن بأن تلد الأمة حراً من غير سيدها بوطء شبهةأو رقيقاً بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة في صورتين بيعاً صحيحاً وتدور في الأيدي حتى يشتريها إبنها أو ابنتها .

الرابع : أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام فأطلق عليه مجازا لذلك أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة . ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير العربي مربيا والسافل عالياً [1] » .

٢ – وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .

قال النووي : « معناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان [2] » .



(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأيمان١١/ ١٢٢ ،١٢٣ .
(٢)صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٩ .

المطلب الثاني

رفع العلم ، كثرة ،الجهل ، كثرة الزنا ، كثرة شرب الخمر ، قلة الرجال كثرة النساء .

عن أنس بن مالك أنه قال : « لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين إمرأة القيم الواحد** » [(١)] .

وفي هذا الحديث ستة أشراط للساعة :

الأول والثاني : رفع العلم وكثرة الجهل : معلوم أنه إذا ذهب العلم كان الجهل أي حل محله ولا حياة للعباد إلا بالعلم فهو الذي تقوم عليه الحياة الدنيا وتستقر عليه الأمور ويعرف به الخلق خالقهم وحقه سبحانه بل والحقوق فيما بينهم فإذا رفع العلم وحل الجهل آذنت الدنيا بصرم . وذهاب العلم هو بموت العلماء فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقى عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** [(٢)] » .

---

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح حديث ٥٢٣١ ورواه مسلم في صحيحه كتاب العلم ٨٩ حديث ٢٦٧١ ورواه الترمذي كتاب الفتن ٢٢٠٥ وابن ماجه كتاب الفتن ٢٥٢٦ وأحمد في المسند ١/ ٣٨٩-٤٠٢-٤٠٥-٤٥٠ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم حديث رقم ١٠٠ .

الثالث : كثرة الزنا : أي .ظهوره وانتشاره وهذا من الخلال المذمومة المذهبة للمروءة والشهامة الإنسانية حيث تأباه النفوس المؤمنة وتنفر منه الطباع المفطورة على الدين ، وفي هذا دلالة على تردى الأخلاق والإخلال بالنسب فيفسد الناس والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس .

الرابع : شرب الخمر : المراد كثرة ذلك واشتهاره [1] فإذا استبيحت الخمور وقع من المفاسد ما الله به عليم فيحصل القتل ويحصل الزنا وقد يقع على المحارم من الأمهات والأخوات والبنات وغيرهن حيث ذهاب العقل وذلك بتغطيته بذلك السكر ولا يحصل ذلك إلا بعد ذهاب الخير وأهله .

الخامس والسادس : كثرة الزنا وقلة الرجال : « قيل سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء . وقال أبو عبدالملك هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات وقال الحافظ فيه نظر لأنه صرح بالعلة في حديث أبي موسى الآتي يعني في الزكاة عند البخاري فقال« من قلة الرجال وكثرة النساء [2] » والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر بل يقدر الله في آخر أن يقل من يولد من الإناث وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم .قوله « الخمسين » يحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد أو يكون مجازا عن الكثرة .ويؤيده أن في حديث أبي موسى « وترى الرجل

---

(١)تحفة الأحوذي ٦/ ٤٤٨ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب ٩ حديث ١٤١٤ .

الواحد يتبعه أربعون أمرأة [(١)] » .قوله « القيّم » أي من يقوم بأمرهن واللّام للعهد إشعاراً بما هو معهود من كون الرجال قوامين على النساء [(٢)] » .

قال الكرماني : « وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنا بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملاً ولا نبي بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين فيتعين ذلك [(٣)] » .

إن هذه الأشراط معتادة الوقوع فقد يقل العلم ويكثر الجهل و يحصل الزنا ويشرب الخمرو لكن بأمر نسبي فإذا تفشت هذه الأمور وكثرت حان الأمر-قيام الساعة - فلا ينتظر إلا العلامات الكبرى والتي لم تكن معتادة عند الناس فإذا بدأت في الخروج انتظرت الساعة .



(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب ١١٠ ورواه مسلم كتاب الزكاة ٥٩ حديث ١٠١٢ .
(٢)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٧٩ .
(٣)نفس المرجع .

المطلب الثالث
كثرة المال

عن عدي بن حاتم ﵁ قال« كنت عند رسول الله ﷺ فجاء رجلان : أحدهما يشكو العيلة [١] والآخر يشكو قطع السبيل فقال : رسول الله ﷺ : **أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير [٢] إلى مكة بغير خفير [٣] . وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالاً؟ فليقولن بلى ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولاً . فليقولن : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار . فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة [٤]** » .

في هذا الحديث دلالة على أن المال يكثر في آخر الزمان فيفيض مع الناس جميعهم فلا يوجد من يأخذ الصدقة وهذا من علامات الساعة . عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب [٥] لي [٦]** » .

---

(١)العيلة : الفاقة . وفي التنزيل (وإن خفتم عيلة) لسان العرب ١١/ ٤٨٨ مادة (عيل) .
(٢)العير : مؤنث القافلة . وقيل الإبل التي تحمل الميرة لا واحد لها من لفظها وفي التنزيل (ولما فصلت العير). لسان العرب٤٢/ ٦٢٤ مادة (عير) .
(٣)الخفير : المجير . لسان العرب ٤/ ٢٥٢ مادة (خفر) .
(٤)رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة حديث ١٤١٣ .
(٥)لا أرب لي : أي لا حاجة لي به لاستغنائي عنه . فتح الباري ٣/ ٢٨٢ .
(٦)رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة حديث ١٤١٢ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة -٦١ حديث ١٥٧ .

المطلب الرابع

مرور الرجل على قبر الرجل وتمنيه أن يكون مكانه

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه** [1] » .

وهذه علامات القيامة الصغرى وهو أنه عند كثرة الفتن التي تحصل آخر الزمان أن الإنسان يتمنى الموت على الحياة والتي هي أحب شيء إليه وقد يكون ذلك لشدة البلاءوقد يكون عند ذهاب الدين وأهله ولم يبق إلا الأشرار وكل ذلك محتمل .

قال ابن بطال : « تغبط أهل القبور وتمنى الموت . عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر . قال الحافظ : وليس هذا عاماً في حق كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخيروأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحد هم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه وان لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه . ويؤيده ما أخرجه في رواية أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم »

«لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : يا ليتني مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء [2][3] » .

---

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن حديث ٧١١٥ورواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥٣ حديث ١٥٧ومالك في الموطأ ٥٣وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٦٥٣٠ .

(٢)ورواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥٤ حديث ١٥٧ .

(٣)فتح الباري ١٣/ ٧٥ .

المطلب الخامس

إحياء عبادة صنم ذي الخلصة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ و قال : « **لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات** [1] **نساء دوس على ذي الخلصة**[2] »[3] . وهنا واحدة من علامات قيام . الساعة وذلك بأن يعبد بعض الناس الأوثان التي قضى عليها الإسلام وانتهت فتقوم دوس وهي قبيلة باليمن فتحيي عبادة صنمها « ذي الخلصة » حتى أن النساء يتزاحمن عليه كما كان سابقاً طوافاً وتقبيلاً وتمسحاً فبظهور الشرك عند ذاك يكون الايذان بقيام الساعة فلتنتظر .

قال النووي : « أما قول آليات بفتح الهمزة واللام ومعناه أعجازهن جمع ألية كجفنة وجفنات والمراد يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها » [4] .

---

(١)تضطرب آليات نساء دوس : الأليات معناها الاعجاز : جمع ألية كجفنة وجفنات والمراد يضطربن من الطواف حول ذى الخلصة أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها . ودوس قبيلة من اليمن انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٤/ ٢٢٣٠ .

(٢)ذو الخلصة : هو بيت صنم ببلاد دوس . نفس المرجع السابق .

(٣)رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن حديث ٧١١٦ واللفظ له وروه مسلم في صحيحه كتاب الفتن باب ١٧ حديث ٢٩٠٦ وأحمد في المسند ٢/ ٢٧١ .

(٤)شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٣٣ .

وذو الخلصة بيت كان في الجاهلية ويطلق عليه الكعبة اليمانية وكان يفعل حوله مثلما يفعل في الكعبة وقد هدم في عهد النبي ﷺ . عن جرير بن عبدالله البجلي قال : كان في الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة . وكان يقال له الكعبة اليمانية والكعبة الشامية . فقال رسول الله ﷺ : « **هل أنت مريحي من ذي الخلصة والكعبة اليمانية والشامية** [1] »؟ فنفرت [2] إليه في مائة وخمسين من أحمس [3] فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيته فأخبرته قال : « **فدعا لنا ولأحمس** [4] » .



(١)الكعبة اليمانية : والكعبة الشامية : هذا اللفظ ايهام . والمراد أن ذا الخلصة كانوا يسمونها الكعبة اليمانية وكانت الكعبة التي بمكة تسمى الكعبة الشامية . ففرقوا بينهما للتمييز هذا هو المراد فيتأول اللفظ عليه وتقديره يقال له الكعبة اليمانية ويقال للتي بمكة الشامية . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فواد عبدالباقي ١٩٢٥/٤ .

(٢)نفرت : إي خرجت للقتال . انظر نفس المرجع السابق .

(٣)أحمس : اسم قريش . أي خرج للقتال . ومعه مائة وخمسين من قريش ، انظر لسان العرب مادة حمس ٥٦/٦ .

(٤)رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة فضائل جرير عبدالله البجلي حديث ٢٤٧٦.

المطلب السادس

إضاعة الأمانة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاء أعـرابي فقال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم : بل لم يسمع . حتى إذا قضى حديثه قال : « **إذا ضـيعت الأمانة فانتظر الساعة** » . قال : كيف إضاعتها؟ قال : **إذا وسد الأمر إلى غـير أهلـه فانتظر الساعة** [1] »

وهنا نقف على علامة من علامات الساعة وهي علامة مهمة وقد تكون قـد ظهرت لما نرى في هذا الزمن من إسناد بعض الأمور إلى غير أهلها من أجل القربى أو من أجل الرغبات مما أودى بضياع الحقوق الدينية والدنيويـة لعـدم كـفـء مـن أسند لهم الأمر ، وقد بين صلى عليه وسلم أن ضياع الأمانة هو في إسـناد الأمـر إلى غير الأكفاء لذلك وهو من علامات الساعة .

قال ابن بطال : « معنى أسند الأمر إلى غير أهله » . أن الأئمة قد أئتمـنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم فينبغي لهم تولية أهل الدين فإذا قلدوا غـير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها [2] » .



---

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب ٢ حديث ٥٩ ورواه أحمد في المسند ٢/ ٣٦١ .

(٢)فتح الباري ١١/ ٣٣٤ .

المبحث الثاني

العلامات الكبرى

العلامات الكبرى :

هي العلامات التي لم تأت بعد ، فإذا أتت تتابعت كنظام خرزات انقطع سلكها ثم تلتها الساعة . وهذا يبينه حديث حذيفة بن أسيد الفغاري ﵁ . عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي عنه قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر . فقال« **ما تذاكرون؟** » قالوا نذكر الساعة قال« **إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** » فذكر الدخان ، والدجال والدّابة ، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج ثلاث خسوفات : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم [(١)] » وذلك ليكون العبد على بصيرة من أمره وليقف على حقيقة من الحقائق العظيمة والآيات التي يجعلها الله تعالى عبرة وختاما للحياة الدنيا بين يدي الساعة . والوظيفة والشأن الذي من أجله أخرج الله تعالى هذه الآيات وأظهرها أمام مرأى عباده ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن ما جاء به محمد ﷺ وأخبر به صدق لامرية فيه ، فيحق الله الحق ويبطل الباطل .

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٠١ واللفظ له والترمذي في كتاب الفتن ٢١حديث ٢١٨٣ نحوه وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند ٤/ ٦٧ وأبو داود في الملاحم ١٢، وابن ماجه في الفتن ٢٥٢٨ .

وسأتكلم عن هذه العلامات في المطالب التالية وأكتفى بها لأهميتها :

المطب الأول : الدخان .

المطلب الثاني : الدجال .

المطلب الثالث : الدآبة .

المطلب الرابع : طلوع الشمس من مغربها .

المطلب الخامس : نزول عيسى بن مريم ﷺ .

المطلب السادس : يأجوج ومأجوج .

المطلب السابع : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب .

المطلب الثامن : نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر .



المطلب الأول

الدخان

الدخان : آية من الآيات المنتظرة والذي يغشى الناس ويعمهم عند ظهوره . قال الله تعالى ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** [1]﴾ .

وهناك خلاف في الدخان هل ظهر وانتهى أم لا زال منتظراً وقد استدل من قال بظهوره بما رواه مسروق قال : بينما رجل يحدث في كنده فقال : يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا . فأتيت ابن مسعود وكان متكئا ، فغضب فجلس فقال : من علم فليقل . ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم . فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم .

فأن الله قال لنبيه ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** [2]﴾ أن قريشا أبطأوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال : « **اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال : يا محمدجئت تأمرنا بصلة الرحم وأن قومك قد هلكوا ، فادع الله** . فقرأ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ إلى قوله﴿**عَائِدُونَ** ﴾ أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ، ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى﴿ **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ** [3]﴾ يوم بدر .

---

(١)سورة الدخان آية ١٠-١١ .

(٢)سورة ص آية ٨٦ .

(٣)سورة الدخان آية ١٦ .

و (لزاما [1] يوم بدر [2]) » . وقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على من قال : « إن الدخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام ويرى أن الدخان مضى وأن المراد بالبطشة الكبرى يوم بدر وقد وافقه جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطيه العوفي وهو اختيار ابن جرير [3] » .

وأما من يرى أن الدخان لم يأت بعد وأنه بين يدي الساعة ومن علاماتها فكان دليلهم الآتي : قال ابن كثير رحمه الله تعالى « عن عبد الله بن أبي مليكة : قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما في ذات يوم فقال : ما نمت الليلة حتى أصبحت . قلت : لم ؟ قال : قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت وهكذا رواه بن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبدالله بن أبي يزيد عن عبدالله ابن أبي مليكة عن ابن عباس فذكره .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن وكذا قول من وافقه من الصحابة والتا بعين – رضي الله عنهم أجمعين – مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ أي بين واضح يراه كل أحدوعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد ، وهكذا

---

(١)سورة الفرقان آية ٧٧ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة ٣٠ورواه الترمذي كتاب التفسير سورة٤٤ .

(٣)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢١١ بتصرف .

قوله تعالى :﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أي يتغشاهم ويعمهم ولو كان أمرا خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ [1] » .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة . قال ابن كثير وهذا إسناد صحيح عنه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم [2] »

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى : « وهذا الذي أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عن علي قال : « آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفد .إلى أن قال : « ويؤيد كون آية الدخان لم تمض ما أخرجه مسلم من حديث أبى شريحة رفعه » لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان الدآبة . . . » الحديث .

وروى الطبري من حديث ربعي عن حذيفة مرفوعا في خروج الآيات والدخان . قال حذيفة « يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية قال : أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيخرج من منخريه وأذنيه ودبره »وإسناده ضعيف أيضا . وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد نحوه وإسناده ضعيف أيضا . وأخرجه مرفوعا بأسناد أصلح منه . وللطبري من حديث أبي مالك الأشعري رفعه إن ربكم أنذركم ثلاثا : الدخان يأخذ ا لمؤمن كالزكمة »الحديث . ومن حديث ابن عمر نحوه وإسنادهما ضعيف أيضا ،لكن تضافر هذه الأحاديث

(١)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤١٣ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤١٤ .

يدل على أن لذلك أصلا [1] » وقال النـووي ﷺ تعـالى عنـد كلامـه عـلى حـديث حذيفة بن أسيد الغفاري : « هذا الحديث يؤيد قـول مـن قـال إن الـدخان دخـان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكـون قريبـا من قيام الساعة [2] » .

وقال ابن دحية : « الذي يقتضـيه النظـر الصـحيح حمـل أمـر الـدخان عـلى قضيتين إحداهما وقعت وكانت الآخرى ستقع [3] » . نأخـذ ممـا مـر معنـاه وذكـره العلماء أن الدخان من علامات الساعة الكبرى والذي لم يحصل بعد بل يكون بـين يدي الساعة ويراه جميع الناس يصيب المؤمن كهيئـة الزكـام وأمـا الكـافر فينفخـه حتى ينفذ . وأما ما قد مضى وانتهى فهو كهيئة الدخان أي خيـال رآه كفـار قـريش في أعينهم من شدة الخـوف والجهـد الـذي أصـابهم يقـول ابـن مسـعود ﷺ في حديثه « ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان » فلـم يكـن الـدخان المراد بعد. والله أعلم .



(١)فتح الباري ٨/ ٥٧٢٥٧٣ .

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/ ٢٧ .

(٣)عمدة القاري ٧/ ٢٩ .

المطلب الثاني

الدجال

أصل الدجل : الخلط : يقال : دجل إذا لبس وموه ومنه الحديث : « يكون في آخر الزمان دجالون » أي كذابون مموهون . وقد تكرر الدجال في الحديث ، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية . وفعال من أبنية المبالغة : أي يكثر منه الكذب والتدليس (١) » . إن خروج الدجال يكون في آخر عمر الدنياوإقبال الآخرة .

والدجال رجل من عباد الله تعالى له صفة في ذاته وله طريقة في منهاجه، وهو من الفتن التي تعوذ منها رسول الله ﷺ حتى في صلاته فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال (٢) » وصفة ذلك : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع** . يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال** (٣) » .

فالمسيح الدجال له محنة عظيمةوفتنة جسيمةيغطى الحق بباطله وذلك امتحان من الله تعالى لعباده ليرى من يثبت ممن ينقلب على عقبيه ، ولم يجعل الله العباد على عمى من ذلك بل بين ما سيكون من أمره وفتنته فقد حذر رسول

---

(١)النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٠٢ .

(٢)رواه مسلم في كتاب المساجد ١٢٧ حديث ٥٨٧ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ١٢٨ حديث ٥٨٨ .

الله ﷺ ذلك أمته ووردت أحاديث كثيرة عن هذا وسأكتفي في ذلك بحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه لشموله على خبر الدجال : قال رضي الله عنه : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع [١]حتى ظنناه في طائفة النخل فقال :

« غير الدجال أخوفني عليكم [٢] إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فأمرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلمإنه شاب قطط [٣] عينه طافئة [٤] كأنني أشبه بعبد العزى بن قطن [٥] . فمن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق [٦] فعاث يمينا وعات شمالا [٧] . يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال : « **أربعون يوما :**

(١)(خفض فيه ورفع) بتشديد الفاء فيهما : وفي معناه قولان : أحدهما أن خفض بمعنى حقر ، وقوله رفع أي عظمه وفخمه . فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « هو أهون على الله من ذلك » وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ، ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه . ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة ، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٤/ ٢٢٥١ .

(٢)(غير الدجال أخوفني عليكم) ثبت عنه ق فيما يرويه ثوبان ا أنه قال ق : « إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين » . رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٥١ وقال حسن صحيح . رواه غيره .

(٣)(قطط)أي شديد جعودة الشعرمباعد للجعودة المحبوبة صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٤/ ٢٢٥٢ .

(٤)(عينه طافئة)هي الحبّة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها ،فظهرت من بينها وارتفعت . وقيل أراد به الحبّة الطافية على وجه الماء . شبه عينه بها والله أعلم النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٣ .

(٥)عبدالعزي بن قطن : هو عبد العزى بن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية . فتح الباري ١٣/ ١٠١ وانظر عمدة القاري ٢٤/ ١٦٠ .

(٦)أنه خارج خلة بين الشام والعراق أي في طريق بينهما . النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٣ .

(٧)(فعاث يمينا وعاث شمالا) أصل العيث : الفساد .النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٢٧ .

يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة . وسائر أيامه كأيامكم » قلنا : يا رسول الله : فذلك اليوم الذي كسنه . أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « **لا أقدروا له قدره** [(١)] قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟**قال:كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنوا به ويستجيبوا له . فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً** [(٢)] **وأسبغه ضروعا وأمده خواصر . ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين** [(٣)] **ليس بأيديهم شيء من أموالهم . ويمر بالخربة** [(٤)] **فيقول لها: أخرجي كنوزك كيعاسيب النحل** [(٥)]. **ثم يدعو رجلاً ممتلئا شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض** [(٦)] **ثم**

---

(١)(أقدروا له قدره) : معنى أقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينهما وبين العصر فصلوا العصر وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها . انظر صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٤/ ٢٢٥٢ .

(٢)(فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً) : أما تروح فمعناه ترجع آخر النهار والسارحة هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى . والذرا الأعالي والأسنمة جمع ذروة بالضم والكسر . وأسبغة أي أطوله لكثرة اللبن وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٢ .

(٣)(ممحلين) : المحل : الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ . انظر الصحاح للجوهري ٥/ ١٨١٧ .

(٤)(الخربة) موضع الخراب ،والجمع خربات . لسان العرب مادة خرب ١/ ٣٤٧ .

(٥)كعاسيب النحل : جمع يعسوب وهو فحل النحل ، أي تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعاسيبها . أنظر لسان العرب مادة (عسب) ١/ ٥٩٩ .

(٦)رمية الغرض : أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين [(١)] واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طاطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ [(٢)] . فلا يحل [(٣)] لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد [(٤)] . فيقتله .ثم ياتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه.فيمسح عن وجوههم [(٥)] ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم [(٦)]. فحرز عبادي إلى الطور [(٧)] .

---

(١)(مهرودتين) المهرودتان : ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣ تحقيق محمد فؤاد الباقي .

(٢)(تحدر منه جمان كاللؤلؤ) الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار،والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه . فسمى الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣ . تحقيق محمد فؤاد عبدا لباقي .

(٣)لا يحل : لا يمكن .

(٤)(بباب لد) : مصروف . بلدة قريبة من بيت المقدس . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣ تحقيق محمد فؤاد الباقي .

(٥)فيمسح عن وجوههم : قال القرطبي : يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره فيمسح على وجوههم تبركاً وبرا ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ماهم فيه من الشدة والخوف . اهـ . وأقول والله أعلم أن الأحتمال الأخير هو الصحيح انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣ .

(٦)لا يدان لأحد بقتالهم : يدان تثنية يد . قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة . يقال : مالي بهذا الأمر ومالي به يدان . لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد . وكأن يديه معقوران لعجزه عن دفعه صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٣

(٧)(فحرز عبادي إلى الطور : أي ضمهم اليه ، واجعله لهم حرزاً. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٦٦ .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون [1] فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها . ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه . حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليومفيرغب نبي الله عيسى وأصحابه [2]فيرسل الله عليهم النغف [3] في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض .فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم [4] ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله . فيرسل الله طيراً كأعناق [5] البخت فتحملهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا بر . فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة [6] . ثم يقال للأرض . أنبتي ثمرتك وردي

---

(١)وهم من كل حدب ينسلون يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها . وجمعه حداب . النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤٩ .

(٢)فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه : أي تضرعوا وسألوا الله . لسان العرب مادة رغب ١/ ٤٢٢ .

(٣)النغف : بالتحريك دود يكون في أنوف الأبل والغنم ، واحدتها نغفة .النهاية في غريب الحديث ٥/ ٨٧ .

(٤)زهمهم : الزهم بالتحريك مصدر زهمت يده تزهم من رائحة اللحم والزهمة بالضم الريح المنتنة . أراد أن الأرض تنتن من جيفهم . النهاية في غريب الحديث٢/ ٣٢٣ .

(٥)كأعناق البخت : جمال طوال الأعناق . الأنثى : بخت والذكر : بختى . النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠١ .

(٦)الزلفة : الزلفة بالتحريك ، وجمعها زلف : مصانع الماء وتجمع على المزالف أيضا ،أراد أن المطر يغدّر في الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء . وقيل : الزلفة : المرآه شبهها بها لاستوائها ونظافتها . وقيل الزلفة الروضة . ويقال بالقاف أيضا . غريب الحديث ٢/ ٣٠٩ .

بركتك فيومئذ تأكل العصابة [1] من الرمانة ويستظلون بقحفها [2] ويبارك في الرسل [3] حتى أن اللقحة من الأبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر [4].

لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم [5] لتكفى الفخذ من الناس [6] فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة . فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر [7] فعليهم تقوم الساعة » [8].

---

(١)العصابة : الجماعة من الناس من العشره إلى الاربعين ولا واحد لها من لفظها غريب الحديث ٢/ ٣٠٩ .

(٢)ويستظلون بقحفها : أراد قشرها تشبيها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ . وقيل : هو ما انفلق من جمجته وانفصل غريب الحديث والأثر ٤/ ١٧ .

(٣)الرسل : هو اللبن . غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٢٢ .

(٤)الفئام : الفئام مهموز : الجماعة الكثيرة غريب الحديث ٣/ ٤٠٦ .

(٥)اللقحة : بالكسر والفتح- الناقة القريبة العهد بالنتاج . والجمع لقح . وقد لقحت لقحاً ولقاحاً وناقة لقوح : إذا كانت غزيرة اللبن . وناقة لاقح : إذا كانت حاملا . ونوق لوا قح . واللقاح : ذوات الألبان . الواحدة لقوح . غريب الحد يث والأثر٤/ ٢٦٢ .

(٦)الفخذ : أقرب العشيرة غريب الحديث والأثر ٣/ ٤١٨ .

(٧)يتهارجون فيها تهارج الحمر : أي يجامع الرجال النساء علانية تحضره الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك . والهرج باسكان الراء : الجماع يقال : هرج زوجته أي جامعها . يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٥ .

(٨)رواه الأمام مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٣٧ واللفظ له ورواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٥٩ ورواه ابن ماجه كتاب الفتن باب ٣٣ .

إن ما جاء في هذا الحديث عظيم الفائدة فيما سيق من أجله ليوقف المسلم على حقيقة المسيح الدجال وأنه حقير في ذاته وفى تصرفاته وادعاءاته ولكن ما أعظم فتنته وما يكون على يديه من الخوارق والأمور العجيبة والتي قد قدرها الله تعالى ابتلاء وامتحاناً للعباد فيما يكون منه من سرعة الأرض وما يعرض من فتنته وما يكون منه من فساد لا يضير المؤمنين ولا يزيدهم إلا إيماناً لأن هذه أمور تؤذن بقرب الساعة وقد أفصحت السنة عن ذلك والله ﷻ يقول ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ [1]﴾ فالظالمون هم أتباعه الموافقون له على طريقته المؤمنون بادعاءاته وما يكون على يديه من خوارق، وهذه الفتنة مصيرها النهاية وذلك بقتل الدجال ، يقتله عيسى بن مريم عليه السلام وهي علامة من علامات الساعة الكبرى التي تكون بين يدي الساعة .

(١)سورة إبراهيم آية ٢٧ .

المطلب الثالث

خروج الدابة

قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ (1)﴾ .

الدابة : من دب على الأرض دبيباً . وكل ماشي على الأرض دابة ودبيب . والدابة التي تركب ودابة الأرض : أحد أشراط الساعة (2) » .

قال ابن كثير : « هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض ، قيل من مكة ، وقيل من غيرها (3) » .

قال القرطبي : « واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن أين تخرج اختلافا كثيراً (4) » . عن أبي سريحة الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم يمكث زماناً طويلاً بعد ذلك ثم تخرج أخرى قريباً من مكة فينشر ذكرها في أهل البادية وينشر ذكرها بمكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأجلها إلى الله وأكرمها**

---

(1)سورة النمل آية ٨٢ .

(2)الصحاح للجوهري ١/ ١٢٤ .

(3)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٩٨ .

(4)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٢٣٥ .

على الله تعالى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو [١]أو تربو [٢] بين الركن الأسود وبين باب بني مخز وم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها شتّى ومعاً ويثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت إليهم تنفض عن رأسها التراب فبدت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرّية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أي فلان الآن تصلى فيلتفت إليها فتسمه في وجهه ثم تذهب فيجاور [٣]الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف المؤمن الكافر حتى أن الكافر يقول يا مؤمن اقضني حقي ويقول المؤمن يا كافر أقضني حقي [٤]» .

في هذا الحديث نقف على أمور :

١ – للدابة ثلاث خرجات آخرها في المسجد الحرام والتي منها تقوم بمهمتها التي وكلت بها .

٢ – تقسم الناس على وجوههم المسلم مسلما والكافر كافرا ويعرف الناس إذ ذاك المسلم من الكافر ، ولا يعجزها أحد في الأرض .

---

(١)تدنو : تقترب . النهاية في غريب الحديث والإثر ٢/ ١٣٨ .

(٢)تربو : تزداد وترتفع .النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢/ ١٩١ .

(٣)فيجاور الناس في ديارهم : كذا في المستدرك فيجاور وفي التلخيص فيتجاوز ولعل الصحة فيتجاوز ولعل الصحة من الجوار لأن سياق الكلام يدل على ذلك .

(٤)أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٤ . وقال هذا حديث صحيح الإسناد وهو أبين حديث ذكر في ذكر دابة الأرض ولم يخرجاه . قال الذهبي في « تلخيص المستدرك » صحيح » .

«طلحة ضعفوه وتركه أحمد »هو طلحة بن عمرو بن عثمان،الحضرمي المكي ضعيف تهذيب التهذيب ٥/ ٢٣ .

٣- ذات سرعة عظيمة تمر على جميع الناس في ديارهم لتقوم بما أمرت به من وسم الناس .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو** [(١)] **وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان** [(٢)] **ليجمعون فيقول ها ها يا كافر ويقول هذا يا كافر وهذا يا مؤمن** [(٣)] » . وعن عبدالله بن عمرو قال : حفظت عن رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالآخرى على أثرها قريبا** [(٤)] » .

إن خروج الدابة من علامات الساعة الكبرى ، وفي خروجها يكون الفيصل بين أهل الحق وأهل الضلال بين المؤمنين والكافرين . فينكشف الزيف وتظهر دسائس المكر والخديعة فيحيق السوء بأهله ، فتسود وجوه الكافرين وتظهر عليهم علامات كفرهم ونفاقهم وذلك بالكتابة على الوجوه « هذا كافر » . أما أهل التقوى والانقياد فتبيض وجوههم وتظهر سيماء إيمانهم على وجوههم « هذا مسلم »

(١)تجلو : تنور سنن أبى داود ٢/ ١٣٥١ .

(٢)الخوان : جمع خوان وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل . النهاية في غريب الحديث .

(٣)ورواه الترمذي في كتاب التفسير سورة النمل حديث ٣١٨٧ واللفظ له . وقال حديث حسن غريب ، ورواه ابن أبي ماجه كتاب الفتن ٣١ .

(٤)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٤١ واللفظ له وأبو داود في كتاب الملاحم ١٢ وكتاب الفتن ٣٢ وابن ماجه في كتاب الفتن ٣٢ .

إن هـذا لهـو الحـق والطـابع الألهـي ، المجـازى كـلا عـلى عملـه إن خـيراً فخـير وأن شرا فشر .

وما بعد تلك العلامات التي تتوالى في آخر الدنيا إلا قيام الساعة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها . والدجال . ودابة الأرض** [1] » . هذه العلامات الثلاث من أهم العلامات الكبرى لعظم فتنتها وقربها من الساعة.العبد إذا لم يكن قد آمن في ساعة المهلة وساعة الدعوة والبيان كيف يؤمن ساعة الضيق والفتن العجيبة والتي يسعى معها أصحاب الشر والأهواء وضعاف العقول وأنه لا يثبت أمام ذلك إلا أهل التقوى والإيمان الذين التزموا بدين الله . من أول لحظة عندما سمعوا نداء الإسلام فامتلأت قلوبهم بذلك وعضوا عليه . قال الله تعالى﴿ **رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ** [2]﴾ .

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٥٨ .

(٢)سورة آل عمران آية ١٩٣-١٩٥ .

المطلب الرابع

طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** [(١)]﴾ .

قال ابن جرير : « يقول جل ثناؤه هل ينتظر هؤلاء العادلون بـربهم الأوثـان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي بعض آيات ربك ، فيقول : أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوع الشمس من مغربها [(٢)].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه .ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه [(٣)] فلا يسقى فيه و لتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها** [(٤)] » .

---

(١)سورة الأنعام آية ١٥٨ .

(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٩٦ .

(٣)يليط : أي يطين ويصلح . النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٧٧ .

(٤)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق حديث ٦٥٠٦ واللفظ له ، وروى مسلم بعضه في صحيحه كتاب الأيمان حديث ١٥٧ .

قال ابن عطيه وغيره ما حاصله : « معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ومن لم يعمل صالحا من قبل ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب . وقال القاضي عياض : المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها . والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي ، فإذا شوهد ذلك الإيمان الضروري بالمعاينة وارتفع الايمان بالغيب فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع ، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله (١) » . اتنهى .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟** قالوا الله ورسوله أعلم . قال : « **إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة . ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي . ارجعي من حيث جئت . فترجع فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش . فتخر ساجدة . ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي . ارجعي من حيث جئت . فترجع فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش . فيقال لها : « ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك . فتصبح طالعة من مغربها** » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** (٢) » .

---

(١)فتح الباري ١١/ ٣٥٣٣٥٤ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب الايمان حديث ١٥٩ .

نأخذ من هذا الحديث الشريف أن الشمس د ائبة في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب ، وهي من مخلوقات الله تعالى المسخرة بأمره ، وتبقى على دئبها هذا مادامت الدنيا قائمة فاذا أذن الله تعالى بانصرام الدنيا وإقبال الآخرة أمر الشمس أن تطلع مـن المغرب وهذا إعلام منه ﷻ لعباده بأنه رفعت الأقلام وجفت الصحف وطويت على ما كان من خير أو شر و لا ينفع أحد أي عمل من الأعمال سواء الإيمان به تعالى أو التوبة من المعاصي أو الزيادة في الطاعات .

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذه العلامة اكتفي بما ذكرت لبيان المقصد وتحقق المراد .



المطلب الخامس

نزول عيسى بن مريم عليه السلام

إن نزول عيسى بن مريم عليه السلام من علامات الساعة الثابتة بالكتاب والسنة .

قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا [(١)] ﴾ أي قبل موت عيسى ، فالضمير في الموضعين عائد عليه على القول الصحيح في الآية فلا يبقى أحد من أهل الكتاب : وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى عليه السلام إلا آمن _ وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير باسناد صحيح [(٢)] » .

في هذه الآية دلالة على أن عيسى عليه السلام سينزل وسيؤمن به اليهود والنصارى ثم يموت الموتة الحقيقية وليست المنامية التي حصلت من قبل ورفعه الله تعالى إليه _ وسيكون نزوله عليه السلام علامة للساعة كما أخبر الله تعالى عن ذلك فقال ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ [(٣)] ﴾ قال محمد الأمين الشنقيطي : « التحقيق أن الضمير في قوله : (وإنه) راجع إلى عيسى لا إلى القرآن ولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم » . ومعنى قوله : « ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم ، والسنة المتواترة ، هو أن نزول عيسى في آخر الزمان حياً علم للساعة أي علامة لقرب مجيئها لأنه من أشراطها الدالة على قربها [(٤)] » . أهـ

(١)سورة النساء آية

(٢)البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح وأن نزوله من أشراط الساعة ص١٢ للشيخ/ سليمان بن حمدان أحد علماء نجد .

(٣)سورة الزخرف آية ٦١ .

(٤)أضواء البيان في إيضاح القرآن ٧/ ٢٦٣ لمؤلفه الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطي المتوفى في ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** (1)﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم** » (2) .

نأخذ مما جاء في الحديث الأول : نزول عيسى عليه السلام في آخر عمر الدنيا ويحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا تنسخ حيث هي خاتمة الشرائع ويحكم عيسى عليه السلام بالحكم العادل على ضوء ذلك ويبطل دين النصرانية ، فيكسر الصليب حقيقة ويبطل ما يزعمه المبطلون من النصارى وغيرهم من تعظيمه ، ويقتل الخنزير لنجاسته وتحريم أكله ويكون الدين واحد فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية ، ويكثر المال بسبب نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم ، وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة ، ويتقرب إلى الله بالعبادة (3) » .

---

(1)رواه الأمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء حديث ٣٤٤٨ورواه مسلم في كتاب الايمان –حديث ١٥٥ .

(2)رواه الأمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء حديث ٣٤٤٩ .

(3)أخد بتصرف من فتح الباري ٦/ ٤٩١-٤٩٢ .

وفي الحديث الثاني : إعلام منه ﷺ بنزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الدنيا ويكون على شريعة محمد ﷺ والمسلمون آنذاك إمامهم منهم. يقول الشيخ أحمد محمد شاكر : ولقد لعب المجددون والمجردون في عصرنا الذي نحيا فيه بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان قبل انقضاء الحياة الدنيا بالتأويل المنطوى على الإنكار تارة وبالإنكار الصريح تارة أخرى . ذلك أنهم في حقيقة أمرهم لا يؤمنون بالغيب . أو لا يكادون يؤمنون بالأحاديث وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة . فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل وقد ذكر الحافظ ابن كثير طائفة طيبة جمة من الأحاديث الصحاح الواردة في ذلك في تفسيره (٣ : ١٥-٢٣) ، ثم قال : «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن أبي العاص وأبي أمامة والنواس بن سمعان وعبدالله بن عمرو بن العاص ومجمع بن جارية وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية . و أن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح.وقد بينت في هذه الأعصار في سنة (٧٤١) أحدى وأربعين وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوته عوضا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم . وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية،فلا يقبل إلا الإسلام، كما تقدم في الصحيحين .وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان حيث تنزاح عللهم ،وترتفع شبههم من أنفسهم .ولهذا

كلهم يدخلون في دين الإسلام و متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ [1] ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن روح الله عيسى ابن مريم نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع [2] إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران [3] كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة على الأرض حتى ترعى الأسود مع الأبل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون [4]** » .

بعد أن رأينا حقيقة نزول عيسى بن مريم عليه السلام وما ورد من صحة القول وأن ذلك من علامات الساعة التي بين يديها نرى أن الله يحقق على يديه أمورا :

١ - يدعو إلى الإسلام وعلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ - يكسر الصليب .

٣ - يقتل الخنزير .

٤ - يضع الجزية .

---

(١)مسند الأمام أحمد ١٢/ ٢٥٧٢٥٨ تحقيق أحمد محمد شاكر . انظر ما ذكره ابن كثير / تعالى : تفسير القرآن العظيم ١/ ٨٨٧ . دار الكتب العلمية بيروت .

(٢)مربوع : أي بين الطويل والقصير . يقال رجل ربعة مربوع . النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٩٠ .

(٣)ممصران : الممصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٣٦ .

(٤)رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٩٥ وقال هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

٥ – يفيض المال في عهده .

٦ – يقتل المسيح الدجال .

٧ – يهلك الله يأجوج ومأجوج ببركة دعائه وأصحابه عليهم .

٨ – تقع الأمنة على أهل الأرض .

بعد أن يحقق الله على يدي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ما يحقق من الأمور الطيبة والأمن والاستقرار والنعم يتوفى الله عيسى عليه السلام ويصلي عليه المسلمون ثم يرسل الله تعالى ريحاً طيبة تأخذ المؤمنين تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة .



المطلب السادس

يأجوج ومأجوج

إن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى . وقد جاء ذكر يأجوج ومأجوج مصرحاً به في القرآن والسنة . قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ [1] يَنسِلُونَ [2]﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : « يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين » إن الله تعالى يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول : ابعث بعث النار، فيقول : وما بعث النار؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة ، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال : إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه :يأجوج مأجوج» [3][4]. وقال رحمه الله تعالى : « قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أي أبي الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين [5] » .

---

(١)حدب ينسلون : يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها وجمعه حدب . النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٤٩ . وقال الفراء : الحدب : كل أكمة ومكان مرتفع . ٢/ ٢١١ معاني القران . عالم الكتاب . بيروت .

(٢)سورة الأنبياء آية ٩٦ .

(٣)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة ٢٢،وفي الرقاق ٤٥٤٦ وفي كتاب الأنبياء ٧ وفي كتاب التوحيد ٣٢ورواه مسلم في كتاب الإيمان ٣٧٩ ،وكتاب الفتن ١١٦ وفي الترمذي كتاب التفسير سورة ٢٢ وعند أحمد في المسند ١/ ٣٨٨٢/ ١٦٦٣٢٣٣ ٤/ ٤٣٢ .٤٣٥ وهو في جميعها بنحو هذا اللفظ المذكور .

(٤)تفسير القران العظيم لابن كثير ٣/ ١٦٥

(٥)تفسير القران العظيم لابن كثير ٣/ ٣١١ .

قـــال الله تعـــالى ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ (١) ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ (٢) حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ (٣) قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا (٤)﴾ .

إن ذا القرنين رجل صالح مكن له الله تعالى في الارض فأخذ يجوب مشارقها ومغاربها وله السلطة والهيمنة وكلما مر على أمة قهرهم وغلبهم ودعـاهم إلى الله ﷻ وفي المشرق وجد أمة ليس لهم بناء يكنهم ولا أشـجار تظلهـم وتسـترهم مـن حـر الشمس، بل يدخلون في أسراب الأرض لتقيهم ذلك فإذا زاحت الشمس خرجوا لكسب معاشهم ،إنهم يأجوج ومأجوج وكان بينهم وبين الترك جبلان بينهما ثغـرة يخرجون منها على الترك فيعيثون فيها فسـاداً ويهلكـون الحـرث والنسـل ، فعنـدما وصل إليهم ذو القرنين قام ببناء مابين الجبلـين وجعلـه سـداً محكـماً منـع يـأجوج ومأجوج من الاتصال بالعالم . فهو وراء السد حتى يـأذن الله تعـالى لهـم بـالخروج عند قرب الساعة فيجعل الله السد دكا فيخرجون .

قال الله تعـالى ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا (٥)﴾ .

---

(١)ردماً : ردمت الثلمة ردماً إذا سددتها . النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢١٦ .

(٢)زبر الحديد : الزبر جمع زبرة وهي القطعة منه . تفسير القران العظيم لابن كثير ٣/ ١٦٩ .

(٣)الصدفين : الصدفان والصدفان جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج لسان العـرب مـادة صـدف ٩/ ١٨٨ .

(٤)سوره الكهف آية ٩٤_٩٧ .

(٥)سورة الكهف آية ٩٨-٩٩ .

قال القرطبي : الضمير في « تركنا » لله تعالى . أي تركنا الجن والانس يوم القيامة يموج بعضهم في بعض . وقيل : تركنا يأجوج ومأجوج « يومئذ » أي وقت كمال السد يموج بعضهم في بعض واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض ، كالمولهين من هم وخوف ، فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض . وقيل : تركنا يأجوج ومأجوج يوم انفتاح السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم . قلت : فهذه ثلاثة أقوال : أظهرها أوسطها أو بعدها آخرها ، وحسن الأول ، لأنه تقدم ذكر القيامة في تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى ﴾ والله أعلم [1] » .

إن خروج يأجوج ومأجوج فتنة عظيمة لما يحصل منهم من خراب ودمار وإيذاء في الأرض وذلك إيذان بدنو الساعة وقرب قيامها .

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في السد قال : « **يخرقونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا قال فيعيده الله عز وجل كأشد ما كان حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله واستثنى قال فيرجعون وهو كهيئة حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس . فيسقون المياه ويفر الناس منهم فيرمون سهامهم في السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا أهل الأرض وغلبنا من في السماء قوة وعلوا قال : فيبعث الله عز وجل عليهم نغفاً في أقفائهم ، قال : فيهلكهم ، قال : والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا وتسكر سكرا من لحومهم** [2] » .

---

(١)الجامع لأحكام القران للقرطبي ١١/ ٦٥ .

(٢)رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٨ وقال حديث صحيح على شرط الصحيحين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

بعد أن يأذن الله تعالى لخروج يأجوج ومأجوج فيخرجون في الأرض كـأنهم جراد منتشر يشربون ماءها ويقتلون أهلها ويفر الناس منهم ، فيشربون الميـاه التـي يمرون بها ، ويعيثون في الأرض فسادا وفي نهايـة المطـاف يرغـب نبـي الله عيسـى عليه السلام ومن معه من عباد الله الصالحين إلى الله تبارك وتعالى في إهلاكهـم فـيهلكهم الله تعالى بدود يصيبهم في رقابهم حتى تملاء الأرض من جـثهم ولا يبقـى موضـع شبر إلا ملأته رائحتهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسـل الله طـيراً كالجبال فتحملهم وتطرحهم حيـث شـاء الله ثـم يرسـل الله تعـالى مطـراً فيغسـل الأرض مـنهم حتـى تصـبح كـالمرآة ، ويـأمر الأرض أن تنبـت خيراتهـا فتحصـل الخيرات والبركات في الأرض ثم يرسل الله تعالى ريحاً طيبة د تحت الأبـاط تقـبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة [1] .

ولا شك في قرب خروج يأجوج ومأجوج وأن ذلك مـن علامـات السـاعة وذلك لما رواه عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعـا يقـول : **لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليـوم مـن ردم يـأجوج ومـأجوج مثل هذه** -وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليهـا [2]_ فقالـت زينـب بنـت جحـش : فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : **نعم ، إذا كثر الخبث** [3] » .

---

(١)انظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ١١٠ حديث النواس بن سمعان ا وقـد تقـدم عنـد ذكر الدجال .

(٢)« حلق بأ صبعيه الابهام والتي تليها » إى جعلهما مثل الحلقة . انظر فتح الباري ١٣/ ١٠٧ .

(٣)رواه الأمام البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء حديث ٣٣٤٦ واللفظ له ورواه مسلم في صحيحه كتـاب الفتن باب ١ نحوه ورواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٢٣ ونحوهورواه ابن ماجه كتاب الفتن باب ٩ نحوه .

ففي هذا الحديث يبين ﷺ أن السد الذي يحجز يأجوج ومأجوج قد بدئ في فتحه بل فتح منه مثل الحلقةحيث حلق بأصبعه الإبهام والتي تليها وكـذلك كثـرة الخبث من المعاصي التي تنوعت ووقع فيها أغلـب النـاس وكأنهـا دينـاً أمـروا بـه والذي بسبب ذلك يحصل الهلاك للأمة والعياذ بالله تعالى ...



المطلب السابع

خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب

هذه الخسوفات الثلاثة التي تحصل في أماكن متفرقة من الأرض بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب يكون لها شأن عظيم حتى يُعلم أمرها عند من هو على هذه البسيطة من الجن والإنس وليست كما يحصل من الخسوف المشاهدة الآن في الأرض : لأن ذلك علامة من علامات الساعة الكبرى الموالية لقيام الساعة فيكون لذلك شأنه وأمره العظيم المؤثر على الخليقة لزيادة ذلك على ما هو معهود من الخسوفات التي وقعت .

قال ابن الملك : « قد وجدت الخسف في مواضع لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم مكاناً وقدراً [1] » .

ولا يكون شيء من الخسوف المذكور إلا في آخر عمر الدنيا وذلك مصداقا لما أخبر به ﷺ وأنه من العلامات الغير معهودة عند الناس لعظم ذلك وفداحته سيما وأن هذه الخسوفات جاءت ضمن العلامات العشر العظيمة ، التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ .



(١)انظر تحفة الأحوذي ٦/ ٤١٤ .

المطلب الثامن

نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم

هذه عاشر علامة من العلامات التي ذكرها رسول الله ﷺ وأنها لا تقوم الساعة حتى يراها الناس وقد جاءت روايات غير ما جاء في حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد عن خروج النار وجهتها وكيفيتها وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى وتوجيه العلماء لتلك الروايات .

١ - رواية أبي سريحة بن أسيد رضي الله عنه « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم [١] » وقال شعبة : وأحسبه قال تنزل معهم إذا نزلوا وتقيل معهم [٢] حيث قالوا [٣] في رواية له « نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس [٤][٥] »

قال النووي : هذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صُرح به في الحديث [٦] . عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب** [٧] » .

---

(١)انظر صحيح مسلم كتاب الفتن حديث ٢٩٠١ وسنن الترمذي كتاب الفتن باب ٢١،ومسند أحمد ٤/ ٦٧ وسنن أبي داود الملاحم وسنن ابن ماجه الفتن ٢٥٢٨ .

(٢)تقيل معهم : من القيلولة . صحيح مسلم كتاب الفتن ٤/ ٢٢٢٧ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٣)صحيح مسلم كتاب الفتن ٤١ حديث ٢٩٠٢ .

(٤)(نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس) : ومعناه من أقصى قعر أرض عدن . وعدن : مدينة معروفة مشهورة باليمن (ترحل الناس) : معناه تأخذهم بالرحيل وتزعجهم . انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢٢٦ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

(٥)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن ٤٠ حديث ٢٩٠٢ .

(٦)شرح النووي على مسلم ١٨/ ٢٨ .

(٧)رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب ٢٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يحشر الناس على ثلاث طرائق** [1] **راغبين وراهبين ، وإثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير و تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا** [2] » .

وبذلك يفهم أن حشر الناس يتم بثلاثة طرق :

الطريقة الأولى : راغبين وراهبين .

الطريقة الثانية:إثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير

الطريقة الثالثة : تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا إلى أن يصلوا إلى مكان المحشر [3] .

قال الخطابي : « هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة ، تحشر الناس أحياء إلى الشام . وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب ، على الإبل والتعاقب عليها وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب [4] »حفاة عراة مشاة [5] » .

---

(١)طرائق : الطرائق جمع طريق وهي ذكر وتؤنث . فتح الباري ١١/ ٣٧٩ .

(٢)رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث ٦٥٢٢ .

(٣)أنظر فتح الباري ١١/ ٣٧٩ .

(٤)نذكر حديث ابن عباس لتتم الفائدة . قال : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : « إنكم محشورون عراة حفاة غرلا (كما بدأنا أول خلق نعيده) الايه وأن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل . وأنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصيحابي فيقول إنك لا تد ري ما احدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح (كنت عليهم شهيدا مادمت فيهم _ إلى قوله الحكيم) قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم » .

(٥)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق حديث ٦٥٢٦ وسيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاءا الله تعالى.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا يكون لها ماسقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل الكسير** [(١)] » .

إن الأحاديث التي مرت معنا بشأن النار التي تخرج من اليمن تطرد الناس إلى المحشر . وأحيانا تذكر الأحاديث أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وفي بعض الروايات أنها من عدن فعدن مدينة باليمن وقد خصصت الروايات أن خروج النار من عدن. وأما ما كان من حشرها للناس من المشرق إلى المغرب فنرى توجيه العلماء لذلك قال ابن حجر:« وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لاينا في حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك إن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها.

والمراد بقوله : « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب ، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق . ويؤيد ذلك أن ابتداء ا لفتن دائما من المشرق _ إلى أن قال _ وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب ، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب_ إلى أن قال_ والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها والله أعلم [(٢)] » .انتهى

---

(١)فتح الباري ١١/ ٣٧٩ .

(٢)أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٥٤٨ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري** [1][2] » .

هذه العلامة والله أعلم _ من العلامات الصغرى وقد ذكرتها هنا تنبيها أن لا تظن أنها النار التي تحشر الناس وقد بين العلماء هذا :

قال النووي في كلامه على النارين : « قد جعلها القاضي عياض حاشرة قال : لعلها ناران يجتمعان لحشر الناس ، قال أو يكون ابتداء خروجها من اليمن

ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز . هذا كلام القاضي . وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر بل هي من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة جدا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة [3] » .

بعد أن ذكرنا العلامات العشر العظام المؤذنة بقيام الساعة والتي بين يديها . سنبين ما قاله العلماء عن ترتيب ذلك في حدوثها :

---

(١)فتح الباري ١١/ ٣٧٨ وانظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ٢/ ١٥٠ .

(٢)(تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى) : هكذا الرواية تضيء أعناق وهو مفعول تضيء يقال : أضاءت النار وأضاءت غيرها . وبصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينهما وبين دمشق نحو ثلاث مراحل انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٣٠ .

(٣)رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن حديث ٧١١٨، ورواه مسلم في صحيحه حديث ٢٩٠٢ . ٤ انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٢٨ وقد تكلم ابن حجر كثيرا على هذا . انظر فتح الباري ١٣/ ٧٩٨٠

قال ابن حجر : « الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الأيات العظام الموذية بتغير أحوال العالم العلوى ، وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدآبة يقع ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب [1] » .

قال القرطبي : « إن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج فإذا قتلهم الله بالنغف في أعناقهم على ما يأتي وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منه وتطاولت الأيام على الناس وذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى وبينه وبينهم ثم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك لكافر ولا فاسق توبة وأزيل الخطاب والتكليف عنهم ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك لأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [2]﴾ فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زمانا طويلا هكذا ذكره بعض العلماء [3] » .

---

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٥٣ .

(٢)سورة الذاويات آية ٥٦ .

(٣)التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٢/ ٧٦٦ المكتبة العلمية .

وقال في فتح الودود : « قيل أول الآيات الخسوفات ثم خروج الـدجال ثـم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم الريح التي تقبض عندها أرواح أهل الإيمان فعند ذلك تخرج الشمس من مغربها ثـم تخـرج دابـة الأرض ثـم يـأتي الدخان .

قال صاحب فتح الودود والأقرب في مثله التوقف و التفويض إلى عالمه [1] » انتهى

وهناك أقوال كثيرة حول هذا كله وكـل ذلـك مجـرد اجتهـادات والله أعلـم بالصواب ولكن هذه أمور كلها شأنها المروع ومحنتها الفادحة وبلاؤها العظيم وأيا حصلت أحدها عقبت الأخرى مثل خـرزات المسـبحة إذا انقطـع حبلهـا تتابعـت وهي أمور حقيقية حاصلة لا محالة لثبوتها في الشريـعة وحـدوثها متقـارب الـزمن بعضها البعض والساعة في أثر ذلك .

---

(١)عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/ ٤٣٠ . انظر الصفحات ٤٢٤ـ ٤٣٣ من نفس المرجع تجد الأقـوال في هذا الشأن .


الباب الثاني
أحوال القيامة

الباب الثاني

أحوال القيامة

المراد بأحوال القيامة هي الأمور التي تحصل منذ نهاية الدنيا وحتى دخول أهل الجنة وأهل النار منازلهم ـ النفخ في الصور وبعث الناس من قبورهم وإتيانهم لأرض المحشر ومجيء الرب سبحانه وتعالى ليقضي ـ بين عباده قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1] الآيات .

ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية :

الفصل الأول : النفخ في الصور

الفصل الثاني : البعث والنشور .

الفصل الثالث : الحشر .

الفصل الرابع : الشفاعة .

الفصل الخامس : الحساب .

الفصل السادس : الميزان .

---

(١)سورة الزمر آية ٦٨-٧٠ .

الفصل السابع : الحوض .

الفصل الثامن : الصراط .

الفصل التاسع : الجنة .

الفصل العاشر : النار .

الفصل الحادي عشر : بداية الجنة والنار .



الفصل ا لأول

النفخ في الصور

في هذا الفصل سنتعرض لبداية قيام الساعةوأول ذلك النفخ في الصور إيذاناً ببدء حركة خراب الدنيا وما عليهاوقبل معرفة ما سيحدث في النفخات الثلاث أو النفختين على ما كان من خلاف عدد النفخات سنعرض أولا الصور الذي ينفخ فيه ثم النافخ في الصور ثم الخلاف في عدد النفخات والأثر المترتب على كل نفخة . وذلك في المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الصور والنافخ فيه

المبحث الثاني : عدد النفخات والأثر المترتب على ذلك .



المبحث الأول
الصور والنافخ فيه

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ [1] ﴾

قال ابن عباس ومجاهد الشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتاده والضحاك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ : الصور ، قال مجاهد : وهو كهيئة القرن [2] » .

الصور : « هو القرن الذي ينفخ فيه عند بعث الموتى إلى المحشر . وقال بعضهم : إن الصور جمع صورة يريد صور الموتى ينفخ فيه الأرواح . والصحيح الأول لأن الأحاديث تعاضدت عليه تارة بالصور وتارة بالقرن [3] » .

القرن : هو البوق يتخذ من القرون ينفخ فيه [4] . قال القرطبي : « الصور قرن من نور ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء والثانية للإنشاء وليس جمع صورة كما زعم بعضهم أي ينفخ في صور الموتى [5] » . ولم يقم دليل صحيح على أن الصور من نور أو غيره من الصفات الأخرى . والصور ثابت في القرآن الكريم والسنة المطهرة . وإن قول من قال الصور جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا فهذا القول لا يصح لمخالفته لما جاء في القرآن وفى السنة المفسرة له .

---

(١)سورة المدثر آية ٨-٩ .

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦٩١.

(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٦٠.

(٤)انظر تحقيق محمود محمد شاكر ، وأحمد محمد شاكر على تفسير الطبري ١١/ ٤٦٢.

(٥)الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٠ .

قال الله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ [1]﴾ وهنا النفخ في الأولى يؤدي إلى الصعق ثم الموت بينما رأي من قال النفخ هو في الصور فهذا لا يتناسب مع مفهوم الآية حيت النفخ في الصور يؤدي إلى الحياة .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصور . قال : « قرن ينفخ فيه [2] » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** [3] » .

قال ابن كثير : « والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام [4] » . وهنا نقف على صحة القول بأن الصور هو قرن - بوق - ينفخ فيه لقيام الساعة وخراب الدنيا وينفخ فيه بعد ذلك لقيام الناس من قبورهم للحساب وبدء اليوم الآخر والحساب قال الله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ

(١)سورة الزمر ٦٨ .

(٢)رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٠ وقال هذا الحديث صحيح لإسناد ولم يخرجاه ووافقه المذهبي ، ورواه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة في باب ماجاء في شأن الصور حدث رقم ٢٤٣٠ . وقال هذا الحديث حسن ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٩٢ .

(٣)رواه الترمذي في سننه « كتاب صفة القيامة » ما جاء في شأن الصور حديث رقم ٢٤٣١ ورواه في كتاب التفسير سورة الزمر . وقال هذا حديث حسن ، ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٩ .

(٤)تفسير القران العظيم لأبن كثير ٢/ ٢٣٤ . دار الفكر .

رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[1] وأما النافخ في الصور فلم أقف على آية آو حديث صحيح يذكر فيه اسم النافخ صراحة باسمه ، ولكن الوارد في الأحاديث الصحيحة أن النافخ في الصور واحد لا اثنان كما ورد بذلك أحاديث لا تصح بأن هناك ملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن طَرْف صاحب الصور مذ وكِّل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان**[2] » .

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن النافخ في الصور واحد ولم يذكر باسمه إلا أن المشهور عند العلماء أن النافخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام .

قال القرطبي : « والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل[3] » . وقال « والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام[4] » .

وقال ابن حجر : « اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام[5] » فيكون بهذا قد وفقنا على صحة القول بثبوت الصور وأنه بوق ينفخ فيه بخراب الدنيا فيحصل من الأهوال الشيء العظيم ثم ينفخ مرة أخرى فيقوم الناس من قبورهم لفصل القضاء وأن النافخ فيه هو إسرافيل عليه السلام كما اشتهر بذلك القول . والله أعلم .

---

(١)سورة يس آية ٥١ .

(٢)رواه الحاكم في المستدرك / ٥٥٩ . وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣)الجامع لأحكام القران ١٣/ ٢٣٩ دار أحياء التراث العربي .

(٤)الجامع لأحكام القران ٧/ ٢٠ دار أحياء التراث العربي .

(٥)فتح الباري ١١/ ٣٦٨ .

المبحث الثاني
عدد النفخات والأثر المترتب على ذلك

لكل شيء بداية ونهاية . والدنيا بأكملها وبكل ما فيها خاضعة لهذه الحقيقة المؤكدة وقد أوشك عمر الدنيا على الانتهاء لتبدأ الدار الآخرة ففي يوم الجمعة والله أعلم بذلك اليوم متى يكون تودع الدنيا وتستقبل الآخرة وذلك بصوت مفزع والناس في غفلة معرضون . قال تعالى ﴿ **ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** (١) ﴾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة** (٢) » . ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور فيفزع من في السموات ومن في الأرض من شدة الصوت إلا من شاء الله ومما يرى الناس مما حصل لمخلوقات الله تعالى من الخراب والدمار والأهوال المفجعة فيموتون وتتغير أحوال أخرى ولا يبقى أحد حي إلا الله الواحد القهار كما كان أولا كان آخراً ثم يامر سبحانه فينفخ في الصور أخرى فتحيا المخلوقات ، ويكون فصل القضاء . وسنرى إن شاء الله تعالى ما جاء في النفخ من آيات وأحاديث .

قال تعالى﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ** (٣)﴾ . و قال تعالى﴿ **وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** (٤)﴾ هاتان آيتان جاءتا

(١)سورة الأنبياء آية ١ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة ١٨ حديث ٨٥٤ .

(٣)سورة النمل آية ٨٧ .

(٤)سورة الزمر آية ٦٨ .

في كتاب الله تعالى تبين عدد النفخات في الصور ففي الأولى يخبر تعالى أنه عند النفخ في الصور النفخة الأولى يفزع من في السموات ومن في الأرض . والفزع : « هو الخوف [1] » .

وفي الآية الثانية بعد النفخ في الصور يصعق من في السموات ومن في الأرض . والصعق : « أن يغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا [2] » . قال القرطبي : في كلامه على آية الزمر : « فاستثنى . في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة [3] » .

ومن معرفة المعنى للصعق يجعله شاملاً لمعنى الفزع وعلى هذا يكون عدد النفخات اثنتين لا ثلاثا مما يضعف رأي من ذهب من العلماء إلى أن عدد النفخات ثلاث حيث لا حجة لهم إلا الآية التي في سورة النمل والتي ذكرناها آنفا أو بحديث الصور وحديث الصور لا يصح حيث ضعفه العلماء [4] . ولا نعرف دليلا صحيحا يعزز قولهم من كتاب ولا سنة .

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ [5]﴾قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة : هما الصيحتان . أي النفختان : أما الأولى : فتميت كل شيء بإذن الله تعالى . وأما الثانية : فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى [6] » .

(١)النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٤٣ .

(٢)النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣١، ٣٢ .

(٣)يوم الفزع الأكبر للأمام القرطبي ص ٤٣ أو انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٢٢٦ دار الكتب العلمية بيروت .

(٤)انظر فتح الباري ١١/ ٣٦٩ .

(٥)سورة النازعات آية ٦-٧ .

(٦)الجامع لأحكام القران ١٩/ ١٩٥ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **مابين النفختين أربعون . قالوا : يا أبا هريرة اربعون يوماً ؟ قال : أبيت . قالوا شهراً؟ قال : أبيت قالوا : أربعون سنة؟ قال : أبيت** [١] **ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل** [٢] . **قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحداً وهو عجب** [٣] **الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة** »[٤] .

وعن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال : سمعت عبدالله بن عمرو وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا . فقال : سبحان الله . أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها . لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا . إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيماً. يحرق البيت ويكون ويكون . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا ادرى : أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما** » . فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن الزبير فيطلبه فيهلكه . ثم يمكث الناس سبع سنين . ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ن ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه»قال سمعتها من رسول الله

---

(١)قوله « أبيت » أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما أو سنة أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة . أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٩١ وانظر التذكرة للقرطبي ص ٢٠٥ طبعة دار الكتب العلمية .

(٢)البقل : نبات عشبي يغتذي الانسان به أو بجزء منه دون تحويله صناعيا . المعجم الوسيط ١/ ٦٦ .

(٣)عجب الذنب : هو بفتح العين وإسكان الجيم إي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الادمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٩٢ .

(٤)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن واشراط الساعه باب ٢٨ حديث ٢٩٥٥ واللفظ له . رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير واللفظ له حديث ٤٨١٤ .

ﷺ . قال « **فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع [1] ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً . فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم . ثم ينفخ في الصور . فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا [2] . قال : وأول من يسمعه رجل يلوط [3] حوض إبله . قال :فيصعق ويصعق الناس . ثم يرسل الله ـ أو قال ينزل الله ـ مطراً كأنه الطل أو الظل [4] (النعمان الشاك) فتنبت منه أجساد الناس . ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس : هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون . قال : ثم يقال : أخرجوا بعث النار . فيقال من كم؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق[5]** » [6] . **في هذين الحديثين بيان على أن النفخات** اثنتان لا ثلاث ففي الحديث الأول يقول رسول الله ﷺ : « **ما بين النفختين أربعون** » وهذا يشعر بنفختين فقط .

---

(١)في خفة الطير وأحلام السباع : قال العلماء : معناه يكونون سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير . وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ٤/ ٢٢٥٩ .

(٢) آصفى ليتا ورفع ليتا : أمال . والليت صفحة العنق وهي جانبه . نفس المرجع .

(٣) يلوط حوض أبله : أي يطينه ويصلحه.

(٤)كآنه الطل أو الظل:قال العلماء الأصح الطل:وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمني الرجال .نفس المرجع.

(٥)المراد بالساق ساق حقيقية لله عز وجل ولكن لا يشبهها شيء وهذا معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات جميع صفات الرب سبحانه وتعالى على ما جاء في الكتاب والسنة دون تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءاً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً . صحيح البخاري كتاب التفسير حديث ٤٩١٩ وكتاب التوحيد حديث ٧٤٣٩ وصحيح مسلم كتاب الإيمان ٣٠٢ حديث ١٨٣ . والمستدرك للحاكم ٤/ ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

(٦)التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة من ٢٢٦ ، ٢٣٨ .

وفي الحديث الثاني : يقول ﷺ : « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ، وأول من يسمعه رجل يلوط خوض إبله . قال : فيصعق ويصعق الناس . ثم يرسل الله _أو قال ينزل الله_ مطرا كأنة الطل أو الظل (نعمان الشاك) فتنبت منه أجساد الناس . ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وهذا بيان آخر بأن النفخات اثنتان . وقد تكلم القرطبي عن ذلك وقرر أن النفخات اثنتان [1] وكذلك ابن حجر العسقلاني ورد على من قال بأن النفخات ثلاث أو أربع وقرر المسألة [1] . وأقتصر على الإحالة خشية الإطالة بذكر ذلك . والله أعلم .

وأما من استثنى الله تعالى من الصعق بعد النفخ في الصور فقد أوّل العلماء رحمهم الله تعالى ذلك دون دليل قطعي وقد كفانا شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى في هذه المسألة فقال : « وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين فإن الجنة ليس فيها موت ومتناول لغيرهم . ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله فإن الله أطلق في كتابه . وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال : « **إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يصعق فأجد موسى آخذ بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله** [2]؟ » وهذه الصعقة قيل أنها رابعة وقيل إنها من المذكورات في القرآن .

وبكل حال : النبي ﷺ قد توقف في موسى هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله : لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم [3] » .

---

(١)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء حديث ٣٤٠٨ .

(٣)مجموع الفتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمه ٤/ ٢٦١ .

الفصل الثاني
البعث والنشور

إذا فنيت الدنيا ومات كل من على الأرض ولم يبق إلا الواحد القهار ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [1] ﴾ وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله . يحي الله جميع الأموات من عباده مرة أخرى لفصل القضاء﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [2] ﴾ وذلك بالنفخ في الصور النفخة الثانية ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ [3] ﴾ فيخرجون منتشرين في الأرض مثلما كانوا وعلى ما كانوا ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ [4] ﴾ وقال ﷺ : « **يبعث كل عبد على ما مات عليه** [5] » .

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالبعث والنشر .

المبحث الثاني : تعدد صور إثباتها .

المبحث الثالث : الرد على منكري البعث .

(١)سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧ .

(٢)سورة المجادلة آية ٦ .

(٣)سورة الزمر آية ٦٨ .

(٤)سورة القمر آية ٦-٨ .

(٥)رواه مسلم في صحيحه من رواية .جابر بن عبدالله رضي الله عنهما كتاب الجنة ٨٣ حديث ٢٨٧٨ .

المبحث الأول
التعريف بالبعث والنشر

البعث : إشارة بارك أو قاعد ، نقول : بعثت البعير فانبعث أي فثار . والبعث أيضا ء الإحياء من الله للموتى ومنه قوله أي أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث وبعث الله الخلق يبعثهم بعثاً : نشرهم من ذلك [1] » .

النشور : « أنشر الله الموتى فنشروا هم إذا حيوا وأنشرهم الله أي أحياهم [2] » .

والنشور مرادف للبعث في المعنى » والمراد أن الله تعالى يحي الموتى مرة أخرى فيصبحوا منتشرين في الأرض ينتظرون النداء إلى أرض المحشر لفصل القضاء . وأول من تنشق عنه الأرض ويبعث هو رسول الله محمد ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئا كرهه ، فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال : أبا القاسم إن لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم لطم وجهي ؟ فقال : لم لطمت وجهه ؟فذكره ، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أولياء الله فانه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث فاذا

(١)لسان العرب مادة بعث ٢/ ١٦٦ .
(٢)لسان العرب مادة نشر ٥/ ٢٠٦ .

موسى اخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث [1] قبلي [2] » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة _ وأول من ينشق عنه القبر . وأول شافع وأول مشفع**[3] » . وأما ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم و موسى عليه السلام في البعث فقال النووي رحمه الله : « وفي رواية فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى . الصعق والصعقة الهلاك والموت ويقال منه صعق الإنسان وصعق بفتح الصاد وضمها وأنكر بعضهم الضم وصعقتهم الصاعقة بفتح الصاد والعين وأصعقتهم وبنو تميم يقولون الصاعقة بتقديم القاف . قال القاضي وهذا من أشكل الأحاديث لأن موسى قد مات فكيف تدركه الصعقة وإنما تصعق الإحياء .

---

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء الحديث ٣٤١٤ ،ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٣٧٣ .

(٢)جاءت روايات كثيرة بعضها « لا تفضلوا بين الأنبياء » وبعضها « لاتخيروني على موسى وبعضها « لا تفضلوا بين أولياء الله » وقدتكم العلماء عن هذا التفضيل فقال النووي أن الجواب عن هذا من خمسة أوجه :
الأول : أنه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به .
الثاني : قاله أدبا وتواضعاً .
الثالث : أن النهي إنما هو عن تفضيل يودي إلى تنقيص المفضول .
الرابع : إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى خصومة وفتنة كما هو المشهور فى سبب الحديث .
الخامس : أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيهما وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ولابد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ انظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الثامن الجزء الخامس عشر ص ٣٧٣٨ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٢٧٨ واللفظ له ورواه الامام أحمد في المسند و أبو داود ، كتاب السنة حديث ٤٦٧٣ .

قوله (ممن استثنى الله تعالى) يدل على أنه كان حياً ولم يأت أن موسى رجع إلى الحياة ولا أنه حي كما جاء في عيسى وقد قال ﷺ لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق . قال القاضي : يحتمل أن هذه الصعقة صعقة فزغ بعد البعث حين تنشق السموات والأرض فتنتظم حينئذ الآيات والأحاديث ويؤيده قوله ﷺ « **فأفاق** » لأنه إنما يقال، أفاق من الغشي وأما الموت فيقال : بعث منه ، وصعقة الطور لم تكن موتاً. وأما قوله ﷺ فلا أدرى أفاق قبلي فيحتمل أنه ﷺ قال قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الآرض إن كان هذا للفظ على ظاهره وأن نبينا ﷺ أول شخص تنشق الأرض عنه على الأطلاق . قال : ويجوز أن يكون معناه أنه من الزمرة الذين هم أول الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . هذا آخر كلامه القاضي[1] » .

والبعث والنشور من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها وقد أنكر البعض هذا الركن وقالوا إن الناس إذا ماتوا لا يبعثون .

قال الله تعالى حكاية عن أولئك القوم﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** [2]﴾ . ﴿ **ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** [3]﴾ . ﴿ **قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** [4]﴾ . ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا**

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٣١١٣٢ .

(٢)سورة النحل آية ٣٨ .

(٣)سورة الإسراء آية ٩٨ .

(٤)سورة المؤمنون آية ٨٢-٨٣ .

ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1] . ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[2] .

هذه مقالة أولئك المنكرين للبعث وما ذاك إلا روايات وحكايات لا صحة لها استصعبوا الإعادة بعد أن صاروا عظاما وترابا ونسوا البداية حيث لم يكونوا شيئا فيقولون كما أخبر الله عنهم ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾[3] ولكن الأمر من الله أعظم ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾[4] وما يشعرون وهم في قبورهم إلا وهم قيام ينظرون بين يديه ﷻ لفصل القضاء فماذا كان قولهم؟ ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[5] وماذا سيكون الرد عليهم؟ ﴿ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[6] وسنرى في المباحث القادمة أدلة المعاد والرد على هؤلاء المنكرين في مقالاتهم وحججهم الداحضة .



(١)سورة الصافات آية ١٦-١٧ .

(٢)سورة المؤمنون آية ٣٤-٣٧ .

(٣)سورة النازعات آية ١٠-١٢ .

(٤)سورة النازعات آية ١٣-١٤ .

(٥)سورة يس آية ٥٢ .

(٦)سورة يس آية ٦٣-٦٤ .

المبحث الثاني
صور إثبات البعث - والرد على منكريه

لقد تنكر بعض العباد على من خلقهم وأوجدهم من العدم إلى الوجود ، وهو يتفضل عليهم بالنعم ليلاً ونهاراً . نعمة الصحة ونعمة رغد العيش فهم يرون عظم مخلوقات الله تعالى ويقرون بذلك كما أخبر الله تعالى عنهم فقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ [(١)] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [(٢)] ﴾ ومع اعترافهم بالخالقية لله تعالى لهذه المخلوقات العظيمة فهم ينكرون البعث بعد الموت متجاهلون أن الإعادة أهون من البداءة . قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [(٣)] ﴾ ولقد ذكر الله تعالى مقالتهم الباطله في إنكارهم البعث بعد الموت في القران الكريم في آيات عديدة مع التأكد منه سبحانه على حصول ذلك كما سنرى :

١ - التأكيد بالقسم :

قال الله تعالى ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ [(٤)] ﴾ . ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ﴾ الزعم ادّعاء العلم . وأكثر ما يستعمل للأدعاء الباطل . وعن ابن عمر وابن شريح أنه كنية الكذب واشتهر أنه مطية

---

(١)سورة العنكبوت آية ٦١ .

(٢)سورة العنكبوت آية ٦٣ .

(٣)سورة الروم آية ٢٧ .

(٤)سورة التغابن آية ٧ .

الكذب ولما فيه من معنى العلم يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما هنا (أن) المخففة وما في حيزها والمراد بالموصول على ما في الكشاف أهل مكة فهو على ما سمعت في الخطاب من إقامة الظاهر مقام المضمر . ويؤيده ظاهراً قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ .

قال في الكشاف : ويحتمل التعميم فيتناولهم وأضرابهم لتقدم كفار مكة في الذكر وغيرهم ممن حملوا على الاعتبار بحالهم وهذا أبلغ أي زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم (قل) ردا عليهم وإظهاراً لبطلان زعمهم بإثبات ما نفوه بلى تبعثون وأكّد ذلك بالجملة القسمية فهي داخلة في حيز الأمر وكذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أي لتحاسبن وتجزون بأعمالكم وزيد ذلك لبيان تحقق أمر آخر متفرع على البعث منوط ففيه أيضا تأكيد له (ذلك) أي ما ذكر من البعث والجزاء لتحقيق القدرة التامة وقبول المادة[1] » .

قال ابن كثير رحمه الله : « وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ [2]﴾ .

والثانية في سورة سبأ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ [3]﴾ الآية الثالثة هي هذه ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ [4]﴾ ففي هذه الآية الكريمة أمر الله نبيه محمدا ﷺ

---

(١)روح المعاني ١٠/ ١٢٢١٢٣ .

(٢)سورة يونس آية ٥٣ .

(٣)سورة سبأ آية ٣ .

(٤)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٨٦

أن يؤكد للكافرين بالمعاد باليمين لهم بأن المعاد سيحصل وسيخبر كل بما عمل في حياته الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر وذلك على الله هين .

٢- التأكيد بإنّ وأنّ :

قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ** [(١)]﴾ .

بعد أن ذكر ﷻ أحوال السعداء ومنهجهم في حياتهم الدنيا السائر على اقتضاءالصراط المستقيم أعقب سبحانه ذلك بذكر مبدئهم ومآلهم فجاء التأكيد في الموت بإنّ واللام وصيغة النعت الذي هو للثبوت[(٢)] .

كما جاء البعث مؤكداً بأنّ . قال الألوسي : « ولم يؤكد سبحانه أمر البعث تأكيده لأمر الموت مع كثرة المترددين فيه والمفكرين له اكتفاء بتقديم ما يغنى عن كثرة التأكيد ويشيد أركان الدعوى أتم تشيد من خلقه تعالى الإنسان من سلالة من طين ثم نقله من طور إلى طور حتى أنشأه خلقاً آخر يستغرق العجائب ويستجمع الغرائب فإن في ذلك أول دليل على حكمته وعظيم قدرته ﷻ على بعثه وإعادته وأنه جل وعلا لا يهمل أمره ويتركه بعد موته نسيا منسيا مستقرا في رحم العدم كأن لم يكن شيئاً ولما تضمنت الجملة السابقة المبالغة في أنه تعالى شأنه أحكم خلق الانسان وأتقنه بالغ سبحانه ﷻ في تأكيد الجملة الدالة على الموت وعدم

---

(١)سورة المؤمنون آية ١٢-١٦ .

(٢)روح المعاني المجلد العاشر الجزء الثامن عشر ص ١٧ . المجلد السادس جزء ١٨ ص ١٧ .

زيادته في الجملة الدالة على البعث[1] » . وقال ﷻ ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ [2]﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ [3]﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ [4]﴾ أي من أمر المعاد .

هذه تأكيدات منه ﷻ بتحقق قيام الساعة والبعث والنشور مما لا يجعل مجالا للشك في ذلك ، إلا من انهزم أمام تيارات الغواية التي تكون سبباً للشك والكفر بالحقائق الربانية .

٣ - الاستدلال بالبداءة على الإعادة :

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا [5]﴾ وهنا رد على أولئك المستبعدين للأعادة بعد الموت يذكرهم الله تعالى بداية الخلقة حيث لم يكونوا شيئا فأوجدهم سبحانه من العدم حتى صاروا بهذه الخلقة السوية فليس هناك صعوبة في إعادتهم . عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له أحد**[6] » .

---

(١)روح المعاني المجلد العاشر الجزء الثامن عشر ص ١٧ . المجلد السادس جزء ١٨ ص ١٧ .

(٢)سورة الحج آية ١٧ .

(٣)سورة الذاريات آية٥-٦ .

(٤)سورة الأنعام آية ١٣٤ .

(٥)سورة مريم آية ٦٦-٦٧ .

(٦)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير حديث ٤٩٧٤وكتاب بدء الخلق حديث ٣١٩٣ . ورواه أحمد في المسند حديث ٨٥٩٥ تحقيق أحمد شاكر .

وحتى يقف الانسان على الحقيقة ويؤمن بمعاده فقد ذكره ﷻ بأساس خلقته فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ . . . ﴾[1] الآيات . فكما كانت بدايته تكون نهايته . وقد أرشده ﷻ ودله على دليل ينظره أمام عينيه وهو إظهار النبات من الأرض الميتة فينزل سبحانه الماء من السماء إلى الأرض فتتفتق عن نباتات مختلفة الأشكال والألوان قال تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ [2]﴾ وقال تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ [3]﴾ .

قال القرطبي : « المعنى أو لم يروا كيف يبديء الله الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبدا . وكذا يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق منه ولداً ، وخلق من الوالد ولدا . وكذا سائر الحيوان . إي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾لأنه إذا أراد أمرا قال له كن فيكون[4] وقال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ [5]﴾ .

---

(١)سورة الحج آية ٥ .
(٢)سورة الأنبياء آية ٣٠ .
(٣)سورة العنكبوت آية ١٩-٢٠ .
(٤)الجامع لأحكام لقران للقرطبي ١٣/ ٣٣٦ .
(٥)سورة فصلت آية ٥٣ .

٤ - إحياء بعض الأموات في هذه الحياة :

شاهد بعض البشر في فترات مختلفة من التاريخ عودة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بل شاهدوا الحياة تدب في بعض الجماد وقد حدثنا الله تبارك وتعالى عن شيء من هذه المعجزات الباهرة فمن ذلك : أن قوم موسى قالوا له ﴿ **يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً** (١)) فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ثم بعثهم الله بعد موتهم ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٢)﴾ .

وقتل بنو إسرائيل قتيلا واتهم كل قبيل الآخر بقتله فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة فذبحوا بعد أن تعنتوا في طلب صفاتها ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيل بجزء منها فأحياه الله وهم ينظرون ، فأخبر القتيل عمن قتله ﴿ **فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (٣)﴾ وأخبرنا عن الذين فروا من ديارهم وهم ألوف خشية الموت فأماتهم الله ثم أحياهم ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** (٤)﴾ .

وحدثنا عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فتعجب من إحياء الله لها بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه . فلما سئل كم لبثت ظن أنه لم يلبث إلا يوما أو بعض ويوم وبعد أحيائه أحيا الله له حماره وهو ينظر إلى قدرة الله كيف

---

(١)سورة البقرة آية ٥٥ .

(٢)سورة البقرة آية ٥٥-٥٦ .

(٣)سورة البقرة آية ٧٣ .

(٤)سورة البقرة آية ٢٤٣ .

يعيد الخلق : العظام تشكل وتتكون أولا ثم تكسى باللحم ، ثم تنفخ الروح ، أما طعامه الذي كان معه قبل أن يموت فقد بقي تلك الأزمان الطويلة سليما لم يفسد ولم يتعفن ، وتلك آية أخرى تدل على قدرة الله الباهرة ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ .

إبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحي الموتى فكان هذا المشهد الذي حدثنا الحق تبارك وتعالى عنه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢)﴾ أمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور فيذبحها ، ثم يفرق أجزاءها على عدة جبال ثم ناداها آمراً إياها بالاجتماع فكان كل عضو يأتي ويقع في مكانه ، فلما تكامل اجتماعها نفخ الله فيها الروح وانطلقت محلقة في الفضاء .

وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وكان يحي الموتى بإذن الله فقد قال لقومه﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

(١)سورة البقرة آية ٢٥٩ .

(٢)سورة البقرة آية ٢٦٠ .

طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ (١)﴾ وأصحاب الكهف ضرب الله على آذانهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا (٢)﴾﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ (٣)﴾﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا (٤)﴾ .

وكانت آية موسى الكبرى عصى- جامدة يلقيها على الأرض فتتحول _ بقدرة الله _ إلى ثعبان مبين﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٥)﴾ وعندما ألقى موسى عصاه فإذا هي تبتلع تلك العصي والجبال على كثرتها ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٦)(٧)﴾ . فهذه الأحداث دليل واضح على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى وإعادتهم إلى الحياة .

٥ - عظم القدرة الإلهية :

قال تعالى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٨)﴾ إن ما يدور في فلك الدنيا وما يذهب وما يأتي وما نشاهده من المخلوقات العظيمة المخلوقات الجسيمة كله من تدبير الباري ﷻ وذلك مما لا يجعل لأحد مجالا في

(١)سورة آل عمران آية ٤٩ .
(٢)سورة الكهف آية ١٢ .
(٣)سورة الكهف آية ١٩ .
(٤)سورة الكهف آية٢٥ .
(٥)سورة الشعراء آية ٣٢ .
(٦)سورة الشعراء آية ٤٥ .
(٧)انظر كتاب القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر ص ٨٣٨٤٨٥ .
(٨)سورة لقمان آية ٢٨ .

إنكار شيء مما يقدره المولى ﷻ ، لأن ذلك مصدر القوة الحكيمة ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ [(1)] ﴾ فإذا كانت السموات والأرض وما فيها وما بينهما قد خلقها ﷻ في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو قادر على أن يكون في لحظة ولكن اقتضت حكمته ذلك .

فلم يكن سبحانه بعاجز عن إعادة من قد مات فهو لا يساوى شيئا مع ما نرى من عظم مخلوقاته تعالى وقد أخبر في هذه الآية أن خلق جميع الناس وبعثهم يوم القيامة بالنسبة لقدرته تعالى ما هو إلا كنسبة خلق نفس واحدة فإلٰهٌ هذه صفته ليس إعادة الخلق بعد موتهم بصعب عليه بل كما بدأ خلقه يعيده وهو عليه أهون جل وعلا ، فلترجع الاعتراضات والإنكارات خاسئة حسيرة .

٦ - إحياء الأرض الميتة :

إن آيات الله الكونية المشاهدة وما يحصل من إحياء وإماتة فيها ليغرس الإيمان الكبير في القلوب الحية ويبين قدرة الله العظمية وإنه قادر على إحياء من يموت وأن ذلك صدق وحق لا مرية فيه .

قال تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ [(2)] ﴾ ويقول سبحانه ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [(3)] ﴾ .

---

(١)سورة يس آية ٨٢ .

(٢)سورة الحج آية ٤٦ .

(٣)سورة البقرة آية ١٦٤ .

فلو فكر أولئك المنكرون في حقائق مرئية _ يرونها بأم أعينهم _ ولم يغالطوا لكان في ذلك أدلة قاطعة على إحياء الله للموتى ثم الإيمان بذلك . والله سبحانه وتعالى قد ضرب الأمثال لأولئك المنكرين بإحيائه للأرض بعد موتها وذلك بإنزال المطر وإخراج النبات على اختلاف أنواعه وأشكاله . قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (1)﴾ . وفي هذه الآيات نرى القدرة الإلهية والتي ترد على المنكرين بالأمور الاتية :

١ – أصل الخلقة من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام ولم يكن شيئاً .

٢ – الأطوار العظيمة التي يمر بها ابن آدم في الرحم وحتى يخرج آدمياً ذو خلقة سوية ، والأصل من ماء مهين .

٣ – خروج النباتات من الأرض الميتة بعد نزول الماء عليها من السماء فتزدان بها الأرض .

هذه الأمور كانت معدومة أصلا فأوجدها الله تعالى من العدم إلى الوجود . أليس الذي أوجدها من العدم بقادر على إحياء الموتى؟ بلى وهو الخلاق العليم .

---

(١)سورة الحج آية ٥–٧ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : « أي كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها كذلك يحيي الأجساد بعد صيرورتها رمياً يوم القيامة . ينزل الله سبحانه وتعالى ماء من السماء فتمطر الأرض أربعين يوما فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض وهذا المعنى كثير في القران يضرب الله مثلا ليوم القيامة بإحياء الأرض بعد موتها ولهذا قال ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (2)﴾ وقال تعالى﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (3)﴾ .

وعن أبى رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ قال صلى الله عليه وسلم أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به ؟ قال : بلى قال :فالله أعظم . قال : قلت يارسول الله كيف يحي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال : « أما مررت بوادي أهلك ممحلاً؟ قال : بلى . قال : « أمررت به يهتز خضراً ؟ قال : قلت بلى . قال :« ثم مررت به ممحلاً ؟ قال : بلى قال : « فكذلك يحي الله الموتى وذلك آيته في خلقه »(4) .

(1)سورة الأعراف آية ٥٧ .

(2)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٥٦ .

(3)سورة فاطر آية ٩ .

(4)رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١١١٢ . وهو حديث حسن قاله الألباني انظر صحيح الجامع ١/ ٤٢٠ حديث ١٣٤٦ وتخريج المشكاة حديث ٥٥٣١ .

فاذا جاء الوعد الحق الذي فيه يحي الله تعالى من مات من عباده لمحاسبتهم أرسل _ أنزل _ مطرا كأنه الظل أو الطل . كما جاء في الحديث[1] فتنبت منه أجسام العباد من الأرض كما تظهر النباتات . وذلك من عجب ذنب الإنسان الموجود في الأرض والذي لا يأكله التراب فإذا قامت جميعا ونفخ في الصور النفخة الثانية دخلت الأرواح في الأجساد وتكون منتشرة في الأرض وعلى أهبة السعي إلى أرض المحشر لفصل القضاء والمحاسبة على ما كان في الأيام الخالية - أيام الدنيا-.

قال تعالى مبينا حالهم عند الخروج من الأرض ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [2]﴾ وقال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ [3]﴾ .

وقد رد المولى ﷻ على منكري البعث من أهل الزيغ والإلحاد في كتابه الكريم في آيات كثيرة مبينا لهم أنه أوجدهم من العدم فليست الإعادة بأصعب من البداءة بل الإعادة بطريق الأولى والأحرى . قال تعالى راداً عليهم في مقالتهم كما أخبر عنهم ﷻ ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ [4]﴾ بعد أن أكد جمع الأولين والآخرين وبيان نوع عذاب أولئك الملحدين الجاحدين .

---

(١)انظر المبحث الثاني من الفصل الأول « عدد النفخات والأثر المترتب على ذلك حيث ذكرنا الحديث بطولة هناك .

(٢)سورة القمر آية ٦-٨ .

(٣)سورة يس آية ٥١-٥٣ .

(٤)سورة الواقعة آية ٥٧-٧٢ .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ [1] ﴾ .

إيجاد الإنسان من المني . إخراج النبت من الأرض. وإنزال الماء من السماء إيقاد النار من الشجر الذي كان أخضر ثم يبس. كل هذه الأشياء المشاهدة وما دللنا به من أدلة في المباحث السابقة دليل على قدرة المولى ﷻ وأنه قادر على إعادة الموتى فليرجع المنكرون إلى صوابهم وليعلموا أن الموجد لهذه الأشياء من العدم ليس بعاجز على إعادة من يموت .



(١)سورة الواقعة آية ٥٧-٧٢ .

الفصل الثالث
المحشر

يقوم الناس من قبورهم بعد النفخة الثاية ثم يدعون إلى أرض المحشر ليفصل الله بينهم ويوفيهم حسابهم قال تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [(١)] ﴾ .

فيجتمعون جميعا على أرض المحشر لفصل القضاء .

المبحث الأول : التعريف بالمحشر .

المبحث الثاني : أرض المحشر .

المبحث الثالث : الوقوف على أرض المحشر .



(١)سورة القمر آية ٦-٨ .

المبحث الأول
التعريف بالمحشر

حشر : حشرهم وَيَحْشُرُهم و يَحْشِرُهم حشراً جمعهم . ومنه يوم المحشر . والحشر : جمع الناس يوم القيامة . والحشر : حشر يوم القيامة .

والمحشر : المجمع الذي يحشر إليه القوم[1] عندما تحين الساعة التي أراد الله ﷻ أن تجتمع فيها الخلائق للحكم فيما كان في الحياة الدنيا وما حصل من كل مخلوق مسئول من مخلوقات الله تعالى ، ينادون لأرض المحشر فيأتون مسرعين لفصل القضاء .

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا [2]﴾ يتبعون صوت داعي الله تعالى إلى الموقف لا يحيدون عن ذلك عليهم الهدوء والسكينة في السير والكلام مسرعين في سيرهم متجهين إلى ما دعوا إليه . قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ [3]﴾ أي يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون[4] » . وقال تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [5]﴾ .

(١)لسان العرب « حشر » ٤/ ١٩٠ .
(٢)سوره طه آية ١٠٨ .
(٣)سوره المعارج آية ٤٣ .
(٤)تفسر القران العظيم لابن كثير ٤/ ٦٦٢ .
(٥)سوره القمر آية ٦-٨ .

والإهطاع : هو الإسراع . وقد شبههم الله تعالى في مجيئهم بالجراد لكثرتهم وانتشارهم في الأرض وإتيانهم من كل حد وصوب . وقال تعالى ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ [(1)] ﴾ .

قال قتاده : قال كعب الأحبار : « يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[(2)] » .

فيأتون زمراً زمراً وجماعة جماعة كما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا [(3)] ﴾

وتحشر المخلوقات جميعها من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب . قال الله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [(4)] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ [(5)] ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ [(6)] ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ [(7)] ﴾ . قال ابن كثير : « قوله

(١)سورة ق آية ٤١-٤٤ .
(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٥٦ .
(٣)سورة النبأ آية ١٨ .
(٤)سورة الأنعام آية ٣٨ .
(٥)سورة الشورى آية ٢٩ .
(٦)سورة التكوير آية ٥ .
(٧)سورة هود آية ١٠٣ .

﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي أولهم وآخرهم كقوله ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا [1]﴾ .

أي عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة إن تك حسنة يضاعفها[2] » عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قام النبي ﷺ يخطب فقال : إنكم محشورون حفاة عراة غرلا[3] . ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ [4]﴾ الآية وأن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل ، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصيحابي فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ [5]﴾ قال : فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم[6] » .

في هذا الحديث يؤكد لنا ﷺ أن الله سيحشرنا يوم القيامة في صعيد واحد ثم يبين لنا الصفة في الحشر وهو أن العباد حفاة عراة غرلا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ : « **يقول يحشر الناس**

---

(١)سورة الكهف آية ٤٧ .

(٢)تفسير القران العظيم لأبن كثير ٢/ ٧١١ .

(٣)حفاة : بضم المهملة وتخفيف الفاء جمع حاف أي بلا خف ولا نعل . فتح الباري ١١/ ٣٨٤ . عراة : أي من الملابس مثلما حلقوا .

(٤)سورة الأنبياء آية ١٠٤ .

(٥)سورة المائدة آية ١١٧-١١٨ .

(٦)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق حديث ٦٥٢٦ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيمها حديث ٢٨٦٠ ورواه الترمذي كتاب القيامة باب ٣، والنسائي كتاب الجنائز ١١٩ وأحمد في المسند ٥/ ٣ .

يوم القيامة حفاة عراة غرلا »قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ : « **يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**[1] » وأول من يكسى من الخلائق وإبراهيم عليه السلام وقيل الحكمة في ذلك ترجع لأمور :

١ - لأنه جرد حين ألقي في النار .

٢ - لأنه لم يكن في الأرض من استن التستر بالسراويل .

٣ - لأنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فعجلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه[2] » .

أما الذين يؤخذون ذات الشمال والوارد ذكرهم في الحديث فقد ذكر فيهم أقوال كثيرة رجح منها : « أنهم الذين ارتدوا على عهد أبى بكر فقاتلهم أبو بكر يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر[3] » وجاء أن الناس يبعثون بثيابهم التي ماتوا عليها فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها[4] » .

وهذا الحديث يعارض حديث أبى هريرة رضي الله عنه قبله إلا أن العلماء رحمهم الله تعالى تكلموا على هذا الحديث جعلوا له تأويلات والله أعلم بالصواب . قال المنذري : « رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وفي اسناده يحي بن أيوب وهو

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيها حديث ٢٨٥٩ ورواه ابن ماجه كتاب الزهد ٣٣ .

(٢)فتح الباري ١١/ ٣٨٤ .

(٣)فتح الباري ١١/ ٣٨٥ . والظاهر أنهم أحدثوا في دين الله تعالى كما هو ظاهر الحديث . والله أعلم .

(٤)رواه الحاكم في المستدركه ١/ ٣٤٠ و قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ورواه أبو داود في كتاب الجنائز ١٤ . وصححه الألباني : انظر صحيح الجامع ٢/ ١٧١ حديث رقم ١٩٦٧ . وانظر سلسة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٢٣٤ حديث ١٦٧١ .

الغافقي المصري احتج به البخاري ومسلم وله مناكير وقال أبو حاتم لا يحتج به وقال أحمد : سيء الحفظ . وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقد قال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة : أن المراد بقوله : يبعث في ثيابه التي قبض فيهاأي أعماله. قال الهروي : وهذا كحديثه الآخر : يبعث العبد على مامات عليه ، قال وليس قول من ذهب إلى الأكفان بشيء لأن الميت إنما يكفن بعد الموت . انتهى . قال الحافظ المنذري : وفعل أبي سعيد راوي الحديث يدل على إجرائه على ظاهره ، وأن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها وفي الصحاح وغيرها أن الناس يبعثون عراة» وقال هذا السفاريني وزاد : « وحمل كثير العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر أن يدفنوا في ثيابهم التي قتلوا فيها وأن أبي سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم »[1] .

وقد بين ﷻ صفات المجرمين يوم القيامة عندما يحشرون فقال تعالى ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا [2]﴾ أي زرق العيون من شدة ما يرون من الهول وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ [3]﴾ جزاء على إعراضه عن دين الله تعالى في الحياة الدنيا لما جاءته به الرسل عن الله تبارك وتعالى واتباع الهوى . وقال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا [4]﴾ جزاء على صنيعهم في حياتهم الدنيا .

---

(١)الترغيب والترهيب ٤/ ٣٨٤ وانظر الأنوار البهية وسواطع الآسرار الأثرية شرح الدرة المعنية ٢/ ١٦٧ .
(٢)سورة طه آية ١٠٢ .
(٣)سورة طه آية ١٢٤ .
(٤)سورة الأسراء آية ٩٧ .

فتحشر الفئات الكافرة والمكذبة بآيات الله ورسله وبلقائه تعالى بعضهم إلى بعض . قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[1] يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب[2] وقال تعالى ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾[3] هو من قول الله تعالى للملائكة « احشروا » المشركين« وأزوجهم» أي اشياعهم في الشرك .

والشرك : الظلم قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [4]﴾ فيحشر الكافر مع الكافر قال قتاده وأبو العالية . وقال عمر بن الخطاب في قول الله ﷻ : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم « قال : الزاني مع الزاني وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة .

وقال ابن عباس : نساؤهم المرافقات على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب . وقال الضحاك : « وأزواجهم » قرناءهم من الشياطين . وهذا قول مقاتل أيضا : يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة[5] » . ثم يقسم تعالى على تحقق حشرهم وشياطينهم فيقول تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ الذين كانوا يعبدون من دون الله تعالى وسيتحقق ما أنكروه ويروه عياناً ثم يساقون إلى جهنم وساءت مصيرا ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾[6]

(١)سورة النمل اية ٨٣ .
(٢)الجامع لأحكام القران للقرطبي ١٣/ ٢٣٨ .
(٣)سورة الصافات اية ٢٢.
(٤)سورة لقمان آية ١٨ .
(٥)الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٥/ ٧٣ .
(٦)سورة مريم آية ٦٨ .

ويقول سبحانه في موضع آخر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(1) يسألهم تعالى عما كانوا يعبدون من الأصنام والأنداد ويفضحهم أمام الملأ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (2)﴾ فيميز الله ويفرق بين المشركين وشركائهم وذلك بتبريء كل معبود من دون الله ممن عبده ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ (3)﴾ وهنا يتبرأ المعبود من عابده ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ (4)﴾ .

وقد أيقظ ﷻ العقول بذكر نبأ عظيم وهو الحشر لجميع الخلق لمحاسبتهم على ما قدموا في حياتهم الدنيا فجاء ذلك في آيات كثيرة في القرآن العظيم قال تعالى ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (5)﴾ . ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ (6)﴾ أي في إغوائهم . ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ (7)﴾ وهذا تذكير بالحشر وأن مضيهم في الدنيا ما كأنه عندهم إلا ساعة من نهار فيعرف بعضهم بعضا في المحشر قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (8)﴾ وهنا

(١)سورة الأنعام آية ٢٢ .
(٢)سورة يونس آية ٢٨ .
(٣)سورة الفرقان آية ١٧ .
(٤)سورة الفرقان آية ١٨ .
(٥)سورة النساء آية ١٧٢ .
(٦)سورة الأنعام آية ٤٥ .
(٧)سورة يونس آية ٤٥ .
(٨)سورة سبأ آية ٤٠ .

يقرر سبحانه وتعالى المشركين سوء صنيعهم وتبرؤ الملائكة من ذلك قال تعالى ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2] فأينما كان العباد وكيفما ماتوا أو قتلوا أو حرقوا أو كانوا في البر أو البحر يأتي بهم الله ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾[3] . ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[4] . ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[5] . ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[6] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[7] . ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[8] . ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[9] .



المبحث الثاني

---

(١)سورة الأحقاف آية ٦ .

(٢)سورة البقرة آية ٢٠٣ .

(٣)سورة آل عمران آية ١٥٨ .

(٤)سورة الأنعام آية ٧٢ .

(٥)سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٦)سورة المؤمنون آية ٧٩ .

(٧)سورة المجادلة آية ٩ .

(٨)سورة الملك آية ٢٤ .

(٩)سورة الأنعام آية ٥١ .

أرض المحشر

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ [(1)]﴾ بعدما تقوم القيامة ويحدث خراب الأرض وموت من عليها والسماء وموت من فيها إلا قيوم السموات والأرضين﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ [(2)]﴾ له الأمر من قبل ومن بعد يحين الوقت الذي تجمع فيه الخلائق يبدل الله جل وعلا الأرض التي تحشر عليها الخلائق بأرض أخرى ، ويبدل السموات كذلك .

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون[(3)]؟** » .

(١)سورة إبراهيم آية ٤٨ .

(٢)سورة الرحمن آية ٢٧ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب صفة المنافقين وأحكامهم حديث ٢٧٨٨ ورواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة بلفظ ويقبض الله الأرض « ويطوى السماء » ولم يذكر « أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ » كتاب التوحيد باب ٦ حديث ٧٣٨٢ وابن ماجه مقدمة ١٣ والدرامي رقاق ٨٠ وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٧ .

وهذا بعد فناء المخلوقات يطوي ﷻ السموات ويأخذهن بيمينه والأرضين بشماله[١] وفي هذا دلالة على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته فهو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد أو يا أبا القاسم « إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول : أنا الملك أنا الملك فضحك

(١)لله صفات جاءت في القران والسنة وهي محمولة على الحقيقة لا على المجاز دون كيف ولا حد. منها اليدان . قال : أبو عمر بن عبد البر : أهل السنة مجمعون عل الإقرار بالصفات الواردة كلها في القران والسنة والإيمان بها حملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة . وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقربها مشبه وهم عند من أقربها نافون للمعبود والحق فيما قال القائلون : بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أئمة الجماعة . هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب . وقد أورد شيخ الاسلام / رحمه الله تعالى الآيات والأحاديث الواردة في يدي الله تعالى وأنهما من صفاته سبحانه وتعالى - وقال القاضي أبو يعلى في كتاب : « إبطال التأويل » لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها _ يعني اليدين – والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن الامام احمد وسائر الأئمة . وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري والأوزعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينه . والفضيل بن عياض ، ووكيع ، وعبد الرحمن بن مهدي والأسود بن سالم وإسحق بن راهويه وأبي عبيد ومحمد بن جرير الطبري » وغيرهم في هذا الباب وفي حكاية ألفاظهم طول إلى أن قال : ويدل على إبطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبه . انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ٥/ ٨٧-٩٠ قلت : ويقاس على هذا جميع الصفات لله تعالى ويحذر من تأويلها فإن ذلك مما حدى ببعض العلماء إلى الطعن في ثقاة الرواة ورد الأخبار الثابتة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وما جاء في القران الكريم . انظر كلام القرطبي صاحب المفهم وما دندن حوله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١٣/ ٣٩٨٣٩٩ . نسأل الله السلامة من الزيغ ونسأله الثبات على المعتقد الصحيح .

رسول الله ﷺ مما قاله الحبر تصديقا له ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [1][2]﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر يهودي بالنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « يا يهودي حدثنا فقال : كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه[3] والأرض على ذه والماء على ذه والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وأشار أبو جعفر بن الصلت بخنصره أولا ثم تابع حتى بلغ الإبهام فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ [4]﴾ .وهذه الأحاديث فيها الإخبار عن حال السموات والأرض يوم القيامة بل عن حال المخلوقات جميعا وعظم قدرته سبحانه ثم مآل المخلوقات ، وما سيكون منه ﷻ حيث يبدل الأرض غير الأرض والسموات كما ثبت ذلك في الأحاديث وكما هو ظاهر الآية .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله ﷻ والسموات﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ قال : أرض بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا حتى يلجمهم العرق[5] » .

---

(١)سورة الزمر آية ٦٧ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ١٩ حديث ٢٧٨٦ واللفظ له . ورواه البخاري في كتاب التوحيد حديث ٧٤١٥ ورواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الزمر حديث ٣٢٣٨ .

(٣)المراد ب« ذه » الأصبع فنقول : إن لله أصابع حقيقة دون أن نكيف وخلافا لمن ينفون ذلك من الجهمية والمعتزلة والخوارج ،أويؤلون مثل الأشاعرة .

(٤)رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الزمر حديث ٣٢٤٠ وقال ى هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه [من حديث ابن عباس] إلا من هذا الوجه .

(٥)رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٠ بإسنادين عن ابن مسعود وقال هذا الحديث صحيح الأسنادين جميعا على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال ابن حجر رجاله رجال الصحيح فتح الباري ١١/ ٣٧٥ .

وللعلماء في تبديل الأرض قولان :

القول الأول : تغير الصفات : قال ابن عباس رضي الله عنهما : « تبدل الأرض يزاد فيها وينقص منها ، وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي وتصير مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل السموات بذهاب الشمس وقمرها ونجومها وحاصله يغير كل عما هو عليه في الدنيا وأنشد : « وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعلم. القول الثاني : تغير الذات : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال ابن مسعود رضي الله عنه : تبدل الأرض أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة . وقال محمد بن كعب القرظي وسعيد بن جبير : تبدل الأرض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه[1] » .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : يوم تبدل الأرض غير الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه . وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة وجائز أن تكون ناراً وجائز أن تكون خبزاً ، وجائز أن تكون غير ذلك ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي

(١)روح المعاني ١٣/ ٢٥٤٢٥٥ .

ذلك يكون فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل[1] » ويؤيد ما قاله ابن جرير وغيره في اختيار الذات ما رواه ابن مسعود في الحديث المتقدم الذي رواه الحاكم وصححه، وما هو ظاهر الأحاديث.وأرض المحشر:تتصف بعدة صفات :

فعن سهل بن سعد رضي لله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد**[2][3] » قال عياض : « المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات كالجبال والصخرة البارزة . وفيه تعريف بأرض ر الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة بها[4] » .

وقال أبو محمد بن أبي جمرة[5] فيه دليل على عظيم القدرة والأعلام بجزيئات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة

(١)جامح البيان عن تأيل آي القران ١٣/ ٢٥٤ . وقال بهذا القرطبي« انظر الجامح لأحكام القران ٩/ ٣٨٣ وانظر فتح الباري ١١/ ٣٧٥ .

(٢)عفراء : بيضاء إلى الحمرة (النقي) هو الدقيق الحواي وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة . قال القاضي : كأن النار غيرت بياض وجه هذه الأرض إلى الحمرة (ليس فيها علم لأحد) أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فواد عبد الباقي ٤/ ٢١٥٠ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب صفة المنافقين وأحكامهم « باب في البعث والنشور صفة الأرض يوم القيامة حديث ٢٧٩٠ واللفظ له ورواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق حديث ٦٥٢١ .

(٤)فتح الباري ١١/ ٣٧٥ .

(٥)هو عبدالله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدى الأندلسي أبو محمد من العلماء بالحديث مالكي . أصله من الأندلس ووفاته بمصر من كتبه (جمع النهاية – ط) اختصر به صحيح البخاري ويعرف بمختصر ابن أبى جمرة و(بهجة النفوس – ط) في شرح جمع النهاية و(لمرائى الحسان– ط) في الحديث والرؤيا . توفي سنة ٩٦٥ . ولادته غير معروفة . الإعلام للرزكلى ٤/ ٨٩ .

جزيئات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة ، وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك ظاهراً عن عمل المعصية والظلم،وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده فناسب أن يكون المحل خالصا له وحده . انتهى ملخصا[١] » .

وعن مكان الناس عند تبديل الأرض والسموات بغيرها « سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ** ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال « على الصراط[٢] » .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر[٣] من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته كاد يصرع منها . فقال : لم تدفعني؟ فقلت : ألا تقول يارسول الله فقال رسول الله ﷺ : « **إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي** » فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال رسول الله ﷺ : « **أينفعك شيء إن حدثتك؟** قال : أسمع بأذني . فنكت[٤] رسول الله ﷺ بعود معه

---

(١)فتح الباري ١١/ ٣٧٥ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٢٩ حديث ٢٧٩١ واللفظ له ، ورواه الترمذي في كتاب التفسير سورة إبراهيم حديث ٣١٢١ وسورة الزمر حديث ٣٢٤٢ .

(٣)حبر : الحبر بفتح الحاء وكسرها لغتان مشهورتان وهو العالم . شرح النووي على مسلم المجلد الثاني ٣/ ٢٢٦ .

(٤)نكت : هو بفتح النون والكاف وبالتاء المثناه من فوق ومعناه يخط بالعود في الأرض ويؤثر به فيها وهذا يفعله المفكر . شرح النووي صحيح مسلم ٣/ ٢٢٦ .

فقال « **سل** » فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ « **هم فى الظلمة**[(١)] **دون الجسر** » قال : فمن أول الناس إجازة[(٢)] ؟ قال : « **فقراء المهاجرين** » قال اليهودي : فما تحفتهم[(٣)] حين يدخلون الجنة؟ قال : « **زيادة كبد النون**[(٤)] » قال : فما غذاؤهم[(٥)] على أثرها؟ قال : « **ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها** » قال : فما شرابهم عليه؟ قال : « **من عين تسمى سلسبيلا**[(٦)] » . قال صدقت .قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال :«**ينفعك إن حدثتك** » قال : أسمع بأذني قال :جئت أسألك عن الولد؟ قال « **ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله . وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنّثا بإذن الله** » قال اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ « **لقد سألني عن الذي سألني عنه ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به**[(٧)] » .

---

(١)هم في الظلمة دون الجسر : هو بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان والمراد به الصراط شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٢٧ .

(٢)فمن أول الناس إجازة : هو بكسر الهمزة وبالزاي ومعناه جوازا وعبورا . نفس المرجع قبله .

(٣)فما تحفتهم : بإسكان الحاء وفتحها لغتان وهي ما يهدي إلى الرجل ويخص به ويلاطف . نفس المرجع قبله

(٤)زيادة كبد النون : الزيادة والزائدة شيء واحد وهو طرف الكبد وهو أطيبها والنون هو الحوت وجمعه نينان . نفس المرجع قبله .

(٥)فما غذاؤهم : روى على الوجهين أحدهما بكسر الغين وبالذال المعجمة والثاني بفتح الغين وبالدال المهملة قال القاضي هذا الثاني هو الصحيح و هو رواية الأكثرين . نفس المرجع قبله .

(٦)سلسبيلا م قال جماعة من أهل اللغة والمفسرين السلسبيل اسم للعين وقال مجاهد وغيره هي شديدة الجري وقيل هي السلسة اللينة . نفس المرجح قبله .

(٧)رواه مسلم في صحيحه كتاب الحيض ٨ بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما حديث ٣١٥ .

عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أتدري ما سعة جهنم؟ قلت لا . قال : أجل والله ما تدري حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ قال : قلت : فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال : على جسر جهنم[1] » .

في الحديث الأول قال ﷺ عندما سئل عن الناس عندما تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال : « **هم على الصراط** » في الحديث الثاني : قال « **هم في الظلمة دون الجسر** » في الحديث الثالث قال : « **على جسر جهنم** » . المراد في هذا كله أو غيره هو الصراط : أي أن الناس يكونون على الصراط المنصوب على متن جهنم حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات .



(١)رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الزمر باب حديث ٣٢٤١ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه .

المبحث الثالث
الوقوف على أرض المحشر

الوقوف للحساب حقيقة يجب الإيمان بها وذلك بجمع الخلائق على اختلافهم في صعيد واحد ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ [(١)]﴾ أي على أرض المحشر قال تعالى ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا [(٢)]﴾ يأتي الخلائق من كل حدب وصوب من الأرض للموقف . والملائكة يتنزلون من السماء لهذا الأمر .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا [(٣)]﴾ قال تشقق سماء الدنيا وتنزل الملائكة على كل سماء وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس فيقول أهل الأرض أفيكم ربنا فيقولون : لا . ثم ينزل أهل السماء الثانية وهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا . ثم ينزل أهل السماء الثالثة وهم أكثر من أهل السماء الثانية وسماء الدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا؟ فيقولون لا . ثم ينزل أهل السماء الرابعة وهم أكثر من أهل السماء الثالثة والثانية والدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا ؟ فيقولون :لا . ثم ينزل أهل السماء الخامسة وهم أكثر من أهل السماء الرابعة والثالثة والثانية والدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا؟ فيقولون : لا . ثم ينزل أهل السماء السادسة وهم أكثر من أهل السماء الخامسة والرابعة والثالثة والثانية والدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا؟ فيقولون : لا . ثم ينزل أهل

---

(١)سورة النازعات آية ١٣-١٤ .

(٢)سورة الكهف آية ٤٧ .

(٣)سورة الفرقان آية ٢٥ .

السماء السابعة وهم أكثر من أهل السماء السادسة الخامسة والرابعة والثالثة والثانية والدنيا وأهل الأرض فيقولون أفيكم ربنا؟ فيقولون : لا . ثم ينزل الكروبيون[(١)] وهم أكثر من أهل السموات السبع والأرضين وحملة العرش لهم قرون كعوب[(٢)] ككعوب القنا[(٣)] ما بين قدم أحدهم كذا وكذا ومن أخمص قدمه إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة ومن ركبته إلى أرنبته[(٤)] مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته[(٥)] إلى موضع القرط[(٦)] مسيرة خمسمائة عام[(٧)] « تقف الخلائق على أرض المحشر ينتظرون وصول الرب الكريم لفصل القضاء بينهم ليذهب كل إلى داره وما أعده الله له في ذلك ، قال تعالى﴿ **يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** [(٨)]﴾ قال ابن كثير ﵀ تعالى « يقومون حفاة عراة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم يغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه[(٩)] »

---

(١)الكروبيون : كرب بمعنى دناه وقرب . « الكروبيون سادة الملائكة » وهم المقربون انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١٦١ .

(٢)كعوب : كل شيء علا وارتفع فهو كعب –انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١٧٩ .

(٣)القنا : جمع قناة وهي الرمح . انظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ١١

(٤)أرنبته : الأرنبة طرف الأنف وجمعها الأرانب . لسان العرب مادة أرنب ١/ ٤٣٥ .

(٥)ترقوته : التراقي : جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين . انظر النهاية في غريب الحديث ١/ ١٨٧ .

(٦)القرط : نوع من حلي الأذن معروف ويجمع على أقراط وأقرطة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٤١ .

(٧)رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٩ وقال رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي . وهو وإن كان موقوفا على ابن عباس فإنه عجيب بمرة . وقال الذهبي اسناده قوي .

(٨)سورة المطففين آية ٦ .

(٩)تفسير القران العظيم ٤/ ٧٦١ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع فأكله وكانت تعجبه فنهس[1] منها نهسة ثم قال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو لشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يتحملون**[2] » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**[3] » . إنهم لا يستطيعون في الأرض هرباً ولا يجدون من القول جدلاً . استسلموا لما في الدنيا . قد وعدوا وما في ساعتهم قد وجدوا ﴿ **يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ** ﴾[4]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « أي لا يستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم وهذا في مقام الحشر ، الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب(إلا بسلطان) أي بأمر الله ﴿ **يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ** ﴾[5] »[6] .

---

(١)نهس : النهس أخذ اللحم بأطراف الأسنان . والنهش الأخذ بجميعها . النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٦٥ .

(٢)رواه البخاري في كتاب التفسير سورة بنى إسرائيل باب ٥ حديث ٤٧١٢ ومسلم كتاب الإيمان باب ٨٤ حديث ١٩٤ والترمذي كتاب صفة القيامة باب ١٠ حديث ٢٤٣٤ .

(٣)رواه ابن منده وقال الذهبي اسناده حسن انظر معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ١/ ٢٦٥ .

(٤)سورة الرحمن آية ٣٣ .

(٥)سورة القيامة آية ١٠-١٢ .

(٦)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٢٧ .

قال الحكمي رحمه الله تعالى[1] :

ويجمـــع الخلـــق ليـــوم الفصـــل	**جمـــــيعهم علـــــويهم والســـــفلي**
في موقـــف يجـــل فيـــه الخطـــب	**ويعظـــم الهـــول بـــه والكـــرب**
وأحضـــروا للعـــرض والحســـاب	**وانقطعـــــت علائـــــق الأنســـــاب**
وارتكمــــت ســــحائب الأهـــوال	**وانعجـــــم البليـــــغ في المقـــــال**
وعنــــــت الوجـــــوه للقيـــــوم	**واقــتص مــن ذي الظلــم للمظلــوم**

كلهم في الموقف على حسب أعمالهم لا على حسب ما كانوا عليـه مـن الملـك والسلطان والغنى والجاه ، ذهبت الدنيا وما فيها ، نـزع الملـك مـن ملـوك الأرض وذهب الكبر والتجبر كل يتطلع إلى ماسيكون مـن أمـره ومـاهم فيـه مـن الهـول العظـيم والفـزع الأكـبر والجـن والملائكـة والوحـوش والـدواب والطـير ، كـل المخلوقات في الأمر سواء ينتظرون ماذا سيحل بهم .

ومَطلع الشمس وتقترب من الـرؤوس لتميـز الخبيـث مـن الطيـب بإذاقتـه العذاب وإلجامه بالعرق .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبـي صلى الله عليه وسلم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قـال : « **يـوم يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**[2] » فمن شدة حرارة الشمس لدنوها مـن الخلائق وكثرة الخلائـق يكثـر العـرق وحتـى يـذهب في الأرض سـبعين ذراعـاً .

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ص ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥١ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٧ حديث ٦٥٣١ ورواه مسلم في صـحيحه كتـاب الجنـة وصفة نعيمها ١٥ صفة يوم القيامة حديث ٢٨٦٢ ورواه الأمام أحمد في المسـند حـديث ٥٨٢٣ تحقيـق محمـد أحمد شاكر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا**[1] **ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**[2] » .

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعا**[3] **وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى أذانهم**[4] » **يشك ثور أيهما قال** » . وفي هذا الحديث دلالة على أن العرق يذهب في الأرض أكثر من سبعين ذراعا كما جاء في الحديث السابق وذلك لكثرته ولدنو الشمس ولغلبة عدد الكفار على عدد المسلمين قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : « ظاهر الحديث تعميم للناس بذلك ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة للكفار[5] » .

وعن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل** » قال سليم : فو الله ما أدري

---

(١)ذراعاً: الذرع مابين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى أنثى وقد تذكرّ . لسان العرب مدة ذرع٨/ ٩٣

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٧ حديث ٦٥٣٢ .

(٣)باعا : الباع والبَوع والبُوع : مسافة بين الكفين إذا بسطتهما لسان العرب مادة (بوع) ٨/ ٢١ .

(٤)رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٦١ حديث ٢٨٦٣ .

(٥)فتح الباري ١١/ ٣٩٤ وفي الحديث القدسي عن أبي سعيد الخدري ا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى « **يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . فيقول أخرج بعث النار قال : وما بعث النار؟ قال** : **من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين** . . الحديث صحيح البخاري الأنبياء باب ٧ حديث ٣٣٤٨ .

ما يعنى بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين . قال « **فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً** » قال وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه[1] » .

وليس المراد أن أهل الحشر يقعون في العرق جميعا ويلجمهم ذلك بل على قدر عمله في الدنيا وما جاء في حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما مجمل فصله حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه المتقدم ، وهناك من لم يقع له شيء ولم يتأثر بشيء من حرارة الشمس لحفظ الله تعالى له بسبب منهجه الحسن في دنياه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد و رجلان تحابا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأ ة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**[2] » .

فهؤلاء أصناف سبعة من الناس يقيهم الله شر ذلك اليوم العظيم وأهواله وذلك بظلهم في ظل عرشه سبحانه وتعالى يوم لا ملجأ من شر ذلك اليوم وأهواله إلا من تعامل مع الله وتاجر معه بالأعمال الصالحة والقربات الصادقة فأمنه سبحانه وتعالى في ذلك الموقف ، فالمؤمنون يخفف الله عليهم ذلك الموقف و يحاسبون حسابا يسيرا .

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها ٦٢ حديث ٢٨٦٤ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب ١٦ حديث ١٤٢٣ ورواه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة ٩١ ، ورواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٣ والنسائي كتاب القضاة ٢، وموطأ مالك كتاب الشعر ٤ ومسند أحمد ٢/ ٤٣٩ .

الفصل الرابع

الشفاعة ومجيء الرب سبحانه

بعد وقوف طويل ومرور زمن من السنين على الخلائق وهم على أرض المحشر منتظرين مجيء الرب لفصل القضاء يلجأون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة إلى الرب ﷻ ليقضي بينهم إلى الجنة أو إلى النار فيأتون آدم عليه السلام فيعتذر ويدفعهم إلى نوح عليه السلام وكذا نوح يعتذر ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام وإبراهيم يحيلهم إلى موسى عليه السلام وموسى عليه السلام يحيلهم إلى عيسى عليه السلام وعيسى إلى محمد ﷺ كلهم يعتذرون ويذكرون أن الرب غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولكن خاتم الأنبياء وسيد الخلق وأكرمهم على الله تعالى محمد ﷺ عندما تأتي إليه الخلائق يطلبون منه الشفاعة إلى ربهم ليريحهم من مقامهم ذلك يذهب فيسجد تحت العرش ثم يفتح الله عليه ويلهمه من محامده وحسن الثناء شيئا لم يفتحه على أحد قبله فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه اشفع تشفع . كما ورد في حديث الشفاعة فيشفع في أهل الموقف وهي الشفاعة الكبرى ثم يأتي الرب ﷻ لفصل القضاء بين الخليقة فيقضي بينهم ثم تكون الشفاعات الأخرى وفي هذا الفصل مباحث :

المبحث الأول : المراد بالشفاعة .

المبحث الثاني : الشفاعة العظمى .

المبحث الثالث : مجيء الرب ﷻ والملائكة .

المبحث الرابع : مجيء جهنم أعاذنا الله منها .

المبحث الخامس : الشفاعات الآخرى .

المبحث الأول

المراد بالشفاعة

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب .

وعرفاً : سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم . والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهملة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفوع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة والمشفوع الذي تقبل شفاعته[1] » .

والشفاعة نوعان :

١ – شفاعة منفية في القرآن وهي الشفاعة للكافر والمشرك قال تعالى ﴿ **مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ** [2]﴾ وقال تعالى ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ** [3]﴾ وقال تعالى ﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ** [4]﴾ ونحو هذه الآيات كقوله ﴿ **وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ** [5]﴾ يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك وما لا يعلمه لا وجود له فنفى وقوع هذه الشفاعة ، وأخبر أنها شرك بقوله ﴿**سُبۡحَٰنَهُۥ**

(١)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ٢/ ٢٠٤ .

(٢)سورة البقرة آية ٢٥٤ .

(٣)سورة المدثر آية ٤٨ .

(٤)سورة البقرة آية ٤٨ .

(٥)سورة يونس آية ١٨ .

﴿ **وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[1] وقـــال تعــــالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾[2] فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعاً يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته لأنه جعل لله شريكاً يرغـب إليـه ويرجـوه ويتوكـل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى وأعظم .

٢ - الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين :

الأول : إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾[3]

وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المـذنب فـإذا رحمـه تعـالى أذن للشافع أن يشفع له .

الثاني : رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه . كما قال تعالى ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ** ﴾[4] فالإذن بالشفاعة له بعد الرضا كما قال بعد هذه الآية وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد[5] » .

وما نحن بصدده هو الشفاعة المثبتة المقبولـة عنـد الله تعـالى . التـي يـأذن الله للشافع فيها ويرضى عن المشفوع له وسنرى أنواع الشفاعات في المباحـث القادمـة إن شاء الله تعالى .

---

(١)سورة يونس آية ١٨ .

(٢)سورة الزمر آية ٣ .

(٣)سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٤)سورة الأنبياء آية ٢٨ .

(٥)قرة عيون الموحدين ص ١٠٤١٠٥ .

المبحث الثاني
الشفاعة العظمى

الشفاعة العظمى مما اختص الله سبحانه به نبينا محمداً ﷺ كما بين الله تعالى ذلك في محكم التنزيل فقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا (1)﴾ قال ابن جرير : وعسى من الله واجبة وإنما وجه قول أهل العلم : عسى من الله واجبة ، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور ، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه إذا هو تعاهده ولزمه ، فإنه لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه من الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه فانه لصاحبه غار بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطعمه فيه بقوله الذي قال له . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صح ووجب أن يكون ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته أو على فعل من الأفعال أو أمر أو نهي أمرهم به أو نهاهم عنه فإنه موف لهم به وإنه منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها قالوا : عسى ولعلّ من الله واجبة وتأويل الكلام أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها .ومن الليل فتهجد فرضاً فرضته عليك ، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محموداً تحمده ، وتغبط فيه . ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم(2) » .

---

(1)سورة الإسراء آية ٧٩ .

(2)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٥ ص ١٤٣-١٤٤ .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل . وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة[1] » . والمراد بالشفاعة هنا العظمى .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً[2] كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[3] » قال ابن حجر : « وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة ودل عليها قوله تعالى ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ والجمهور على أن المراد الشفاعة [4] .

نعم إن المقام المحمود هو الشفاعة التي يحمد عليها صلى الله عليه وسلم من الخلق ، وأن أعظم ذلك ما هو ظاهر في حقيقته وفي عظم شأنه وهو الشفاعة العظمى التي يتخلى عنها أولوا العزم من الرسل عندما تطلب منهم من الأمم في أن يشفعوا لهم إلى ربهم ليريحهم من هول وعظيم ما هم فيه ، ويكون لها صلى الله عليه وسلم كما جاءت

---

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب التيمم باب حديث ٣٣٥ ورواه مسلم كتاب المساجد حديث ٥٢١ .

(٢)جثا تروى هذه اللفظة جثى بتشديد الياء جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبتيه انظر النهاية في غريب الحديث والأثر

(٣)صحيح البخاري كتاب التفسير باب ١١ حديث ٤٧١٨ .

(٤)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٤٢٦ . ﴾للعلماء أقوال كثيرة في المقام المحمود ذكروها في كتبهم عند ذكر هذه الآية ، ولكنني لم أذكر إلا ما ترجح وهو شفاعته في أهل الموقف ليريحهم الله من شدة وهول ذلك اليوم . وذلك خشية الإطالة .

الأحاديث مصرحة بذلك . عن أبى هريرة رضي الله عنه قال :أُتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة[1] فقال : « **أنا سيد الناس يوم القيامة . هل تدرون ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والأخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر**[2] **. وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : أئتوا آدم فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك . اشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي**[3] **نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول**

(١)فنهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان غريب الحديث والأثر ٥/ ١٣٦ .

(٢)وينفذهم البصر : يقال نفذ في بصره إذا بلغني وجاوزني وأنفذت القوم إذا خرقتهم ومشيت في وسطهم فإن جزتهم حتى تخلفهم قلت : نفذتهم بلا ألف . وقيل يقال فيها بالألف قيل المراد ينفذهم بصر الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم . وقيل أراد ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد النهاية في غريب الحديث ٥/ ٩١ .

(٣)دعوة نوح عليه السلام على قومه هي كما ذكرها الله تعالى في سورة نوح آية ٢٦ ﴿ **وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا** ﴾

لهم إبراهيم : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته[1] نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى ﷺ فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أومر يقتلها[2] نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلّمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنباً نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لكما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال يا محمد : ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي أمتي فيقال يا محمد : أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه

---

(١)كذبات إبراهيم عليه السلام هي ١ . قوله لقومه كما ذكر الله عنه﴿ **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾آية ٨٩ الصافات من أجل أن يبقى في البلد عندما يذهبوا إلى عيدهم ليكسر أصنامهم . ٢ .قوله عندما كسر الأصنام وسأله قومه عن ذلك ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ** ﴾ آية ٦٣ الأنبياء ٣ .قوله للجبار أن سارة أخته . انظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ٨ حديث ٣٣٥٨ وكل هذه الكذبات في ذات الله تعالى .

(٢)النفس التي قتلها موسى هي كما أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾الآية ١٥ القصص .

من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[1] أو كما بين مكة وبصرى[2][3] » .

كل الأحاديث الواردة في الشفاعة في الموقف تبين في مبدئها استشفاع الناس بالأنبياء لفصل القضاء وإراحتهم من شدة هول الموقف ، ويحولهم كل نبي إلى آخر وحتى يصلوا إلى محمد ﷺ ويطلبوا منه ذلك فيسجد تحت العرش ويفتح الله عليه ويلهمه من محامد الرب وحسن الثناء عليه ثم يقال له ارفع رأسك ويأذن الله لـه في الشفاعة ويقبل منه ذلك ، ولا شك أن أول ما يشفع فيه هو الأمر العظيم الذي من أجله سجد واستأذن ربه فيه ولكن ما وقع في نهاية الروايات أنه يقـول ﷺ يـا رب أمتي أمتي قد أشكل على العلماء . فنذكر أقوال بعضهم وتوجيهاته لهذا الإشكال :

قال القاضي عياض : وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله « أمتي أمتي » وقد جاء في حديث حذيفة قال : فيأتون محمد ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل له الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق وساق الحديث وبهذا يتصل الحديث لأن هذه الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها وهي الإراحة من

---

(١)هجر : اسم معروف بالبحرين وهو مذكر مصروف وإنما خصـها لكثـرة وبائهـا أي أن تاجرهـا وراكـب البحر سواء في الخطر . فأما هجر التي تنسب إليها القلال الهجرية فهي قرية من قرى المدينة .
انظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٤٦٢٤٧ . والمراد هو البلد التي في البحرين .

(٢)بصرى : بضم الباء مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهي مدينـة حـوران وبينهـا وبـين مكة شهر . شرح النووي على مسلم ج ٣ ص ٦٩ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ٣٢٧ ورواه البخاري في صحيحه كتـاب التفسـير بـاب ١٠ حديث ٢٤٣٤ ورواه أحمد في المسند ٢/ ٤٣٥٤٣٦ .

الموقف والفصل بين العباد ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته ﷺ وفي المذنبين وحلت الشفاعة للإنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم كما جاء في الأحاديث الأخر . وجاء في الأحاديث المتقدمة في الرؤية وحشر الناس اتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تمييز المؤمنين من المنافقين ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة في المذنبين على الصراط وهو ظاهر الأحاديث وأنها لنبينا محمد ﷺ ولغيره كما نص عليه في الأحاديث ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها إن شاء الله تعالى(١) » .

وقال القرطبي بعد أن ساق حديث الشفاعة : « فصل : هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المرادة بقوله عليه السلام » لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وأنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي(٢) » . و هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ وقوله أقول يا رب أمتي أمتي اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم وقوله فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى

---

(١)شرح : النووي على صحيح مسلم ج ٢جزء ٢ ص ٥٧٥٨ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب ٣١ حديث ٧٤٧٤ وكتاب الدعوات باب حديث ٦٣٠٤ ورواه مسلم كتاب الإيمان حديث ٣٣٩ .

يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده وذلك قال كل نبي : لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال : أنا لها[1] » .

وقال ابن أبي العز : والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى في مأتى الرب ﷻ لفصل القضاء كما ورد في حديث الصور فإنه المقصود في هذا المقام مقتضى سياق أول الحديث فإن الناس يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار وكان مقصود السلف في الاقتصاد على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث[2] » . وهناك أقوال كثيرة حول حديث الشفاعة وقد اخترنا هذه الأقوال لأمور حول هذا الحديث :

١ - توجيه الأحاديث كما بينه القاضي فيكون أول ما يشفع فيه ﷺ في أهل الموقف لإراحتهم من هول ما هم فيه .

٢ - الدلالة من ظاهر الحديث أن شفاعته ﷺ الأولى في أهل الموقف ليعجل الرب ﷻ حسابهم ويراحوا من هول الموقف ظاهر من قوله ﷺ كما استنتجه القرطبي :

---

(١)التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ٢٩٦ دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٢)شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ص ١٩٦ تحقيق شعيب الأرناؤوط .

أ - عندما يعتذر كل نبي : لست لها لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال : أنا لها . أي من مقتضى سياق أول الحديث .

ب - فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه : يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بادخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم .

ج - قوله ﷺ : أمتي أمتي إهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم.

٣ - أمر الشفاعة العظمى واضح من مقتضى سياق أول الحديث ، ومقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو _الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إلية من البدعة المخالفة للأحاديث . كما ارتآه ابن أبي العز فنكون بهذا وقفنا إن شاء الله تعالى على ثبوت شفاعته ﷺ بادئ ذي بدء في أهل الموقف ليحكم بينهم وإراحتهم من هول الموقف وشدة ما هم فيه .



المبحث الثالث

مجيء الرب ﷻ والملائكة

عندما يجتمع الخلق جميعهم على أرض المحشر ويبقون ما شاء الله تعالى وقوفاً في هول عظيم وأمر عصيب وشدة لا منتهى لها - وإن كان الأمر على الصالحين هين _ هول الموقف « ويشفع محمد ﷺ في ذلك إلى ربه تعالى ينزل ﷻ لفصل القضاء .

قال تعالى ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ** [(1)]﴾ والمراد هنا بالإتيان في الأية هو مجيء ذاته ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ** [(2)]﴾ وقال تعالى ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** [(3)]﴾فهذه الآيات صريحة في مجيء الرب ﷻ وملائكته أهل السموات كلهم يجيئون صفوفاً . وليس الأمر ما ذكر بعض المفسرين بأن المجيء هو أمره

---

(١)سورة البقرة آية ٢١٠ .

(٢)سورة الأنعام آية ١٥٨ .

(٣)سورة الفجر آية ٢٢ .

أو غير ذلك من التأويلات هروباً من إثبات صفة المجيء للرب ﷻ [(١)] .

فعن أبي هريرة رضي الله قال : قال : أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد

(١)قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : « وهذه الآية (٢١٠ البقرة) وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية كالإستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فيثبتونها لمعانيها على وجه يليق بجلال عظمته من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن ينفون هذه الصفات ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب . فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي بل ولا دليل عقلي . أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص . وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . أما العقل فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال . فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه . قيل لهم : الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات . فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات فلله صفات لا تشهها الصفات . فصفاته تبع لذاته . وصفات خلقه تبع لذواتهم فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه . ويقال أيضا لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً أو أثبت الأسماء دون الصفات : إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته رسوله ، وإما أن تنفي الجميع وتكون منكرا لرب العالمين . وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض . ففرق بين ما أثبته وبين ما نفيته ولن تجد إلى الفرق سبيلاً . فان قلت ما أثبته لا يقتض تشبيها قال لك أهل السنة : والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها . فإن قلت : لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه قال لك النفاة : ونحن لا نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه . فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة لما نفيته . والحامل أن من نفى شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي بل قد خالف المعقول والمنقول . « انظر تفسير كلام المنان ١/ ٢٥٦ .

شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه[1] » . الحديث.

فصفة المجيء للرب ﷻ من صفاته الثابتة بنص القرآن والسنة ومجيئه لفصل القضاء لا شك فيه ولا يغالط فيه أو ينكر إلا من عميت بصيرته وتردى حاله وحاد عن نهج الله القويم وصراطه المستقيم . قال ابن كثير : « (وجاء ربك) يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ بعد ما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول : « أنا لها أنالها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة(سبحان) فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون صفوفاً صفوفاً[2] » .

قال ابن جرير رحمه الله بعد أن ذكر أقوال في معنى الإتيان : فمعنى الكلام إذن : هل ينظرون التاركون الدخول في السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام فيقضي في أمرهم ما هو قاض[3] » إذن فالرب سبحانه

(١)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٢ حديث ٦٥٧٣ .

(٢)تفسير القران العظيم لابن كثير ٤/ ٨٠٦ .

(٣)جامح البيان عن تأويل آي القران ٢/ ٣٣٠ المطبعة الحلبيه بمصر .

يأتي إتيانا يليق بجلاله وعظمته – إلى أرض المحشر ومعه ملائكته الكرام صفوفا لفصل القضاء « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه[1] » فيحكم سبحانه بين عباده حكماً عدلاً لا يظلم فيه أحداً مثقال ذرة إن خيراً فخير وإن شراً فشر . ويكون الأمر له مثلما كان أولا يكون آخراً . ففي الدنيا كانت تجري الأحكام من الخلق على بعضهم فيكون فيها الصواب ويكون فيها الخطأ ويكون فيها العدل ويكون فيها الظلم . ولكن في ذلك اليوم قد انتهت الدنيا وأحكامها فلا حكم يومئذ إلا إليه سبحانه فلا ظلم ولا جور ولا خطأ ولا نسيان . ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** [2]﴾ إليه ترجع الأمور .



(١)رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب_ حديث ٢٥٧٧ .

(٢)سورة المدثر آية ٣٨ .

المبحث الرابع

مجيء جهنم أعاذنا الله منها

في الموقف المهول المروع كثير الشدائد ما تشعر الخليقة إلا ومطلع مهيب يأتي إليهم ألا إنه نار جهنم تجر بأزمتها إلى أرض المحشر ليرى المجرمون ما كانوا يوعدون وبه يكذبون فعندما تخرج إليهم ويرونها يخرج منها عنق له عينان وأذنان ولسان يتكلم ويقول إنه موكل بثلاثة أصناف من الناس « كل جبار عنيد وكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين »فلا هرب من ذلك ولا نجاة لمن كان من أولئك .

قال الله تعالى﴿ **وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ** [1]﴾ في يوم القيامة وعلى أرض المحشر عندما يؤتي بنار جهنم يتذكر العبد عمله في الدنيا ولكن لا ينفعه تذكره ذلك . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال: رسول الله ﷺ : « **يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام**[2] **ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**[3] » .

---

(١)سورة الفجر آية ٢٣ .

(٢)الزمام : الحبل الذي يجعل في البرّة والخشبة . وقد زم البعير بالزمام . لسان العرب مادة زمـم ١٢/ ٢٧٢ . والمراد أن جهنم يؤتى بها تجر بحبال الله أعلم بها .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب صفة النار حديث ٢٨٤٢ ورواه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم باب ١ حديث ٢٥٧٣ وقال : قال عبدالله : والثوري لا يرفعه . وقال النووي : هذا الحديث مما استدركه الدار قطني على مسلم وقال رفعه وهم رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً قلـت : وحفـص ثقـة حافظ إمام فزيادته الرفع مقبولة مما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين » شرح النووي على مسلم ١٧/ ١٧٨ .

وحينئذ يخرج منها ذلك العنق . عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « **يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار ،وبكل من دعا مع الله إلهاً أخر وبالمصورين**[(1)] » .

فهذه الصورة المفزعة من أهوال يوم القيامة التي تحصل على أرض المحشر ليُري الله سبحانه خلقه عظيم قدرته ، فالجمادات تتكلم بأمر الله تعالى ، فذلك العنق من النار يتكلم ويخبر بأن مهمته هو تعذيب الجبابرة العتاة الحائدين عن الحق في الدنيا الظالمين لأنفسهم ولغيرهم ، وبالمشركين بالله تعالى وبالمصورين الذين يضاهئون خلق الله تعالى . ولكل صنف من العصاة جزاء عند الله تعالى على صنيعه في الدنيا من الأعمال المخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ وكل يأخذ من العذاب قدر معصيته إلا أن يعفو سبحانه ويتجاوز فهو أهل لذلك وكل المعاصي تحت المشيئة إن شاء عذب ﷻ عليها وإن شاء غفر إلا من مات على الشرك فالله لا يغفر له ذلك كما أخبر تعالى﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** [(٢)]﴾ .



(١)رواه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم باب ١ حديث ٢٥٧٤ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح . وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن عطيه عن أبي سعيد عن النبي ق نحو هذا . وروى أشعث بن سوار عن عطيه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ نحوه .
(٢)سورة النساء آية ٤٨ .

المبحث الخامس

الشفاعات الآخرى

بعد شفاعة خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ في أهل الموقف وحكم رب العالمين فيهم يأذن الله تعالى لمن يشاء ويرضى بالشفاعة وحيث أن الشفاعات لم تكن في آن واحد ووقت بل كل شفاعة في مناسبتها ووقتها الذي يرضاه الله تعالى ويأذن فيه . إلا أنه جمعاً لذلك لمناسبته لهذا المبحث ولتحصل الفائدة ولتكون الشفاعات مسلسلة بياناً لا مكاناً نوردها هنا وبالله التوفيق .

١ -شفاعة الرسول ﷺ في عمه أبي طالب :

قال الله تعالى﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾[1] عن سعيد بن المسيب عن أبيه[2] قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة

---

(١)سورة القصص آية ٥٦ .

(٢)هو المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي والد سعيد وله ولأبيه حزن صحبة . انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٢٠٦ .

فقال : « أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبدا لمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه أنه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأستغفرن لك مالم أنه عنك** » فأنزل الله ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ** ﴾[1] وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ** ﴾[2] والمنفى هنا هداية التوفيق والقبول فإن أمر ذلك إلى الله وهو القادر عليه . وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ** ﴾[3] إنها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه[4] وأبو طالب له مواقف طيبة مع الرسول ﷺ وذلك بكفالته ثم مؤازرته

(١)سورة التوبة آية ١١٣ وتكملة الآيـة ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ** ﴾

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة القصص باب ١ حديث ٤٧٧٢

(٣)سورة الشورى آية ٥٢ .

(٤)قاله الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابة فتح المجيد ص ٢١٧ تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .

له في دعوته[1] ﷺ والذب عنه وعن رسالته واعترافه بأن هذا هو الدين الحق

---

(١)وضع أبو طالب نفسه ومن معه من أقاربه دون الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يحوطه ويحميه وحصر في الشعب سنوات من قبل قريش من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وقد قال الأ شعار في ذلك منها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهمو ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قياماً معاً مستقبلين رتاجة ... لدى حيث يقضي حلفه كل تافل

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونطعن إلا أمركم في بلابل

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... وننذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال :

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأخوته دأب المحب المواصل

وأبيض يستقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمن والاه رب المشاكل

فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالى إلاهاً ليس عنه بغافل

فو الله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على أي حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازل

فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول

حديت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقه غير باطل

أنظر الدر النضيد على أبواب التوحيد ص١٢٨ للشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان أحد علماء نجد رحمه الله رحمة واسعة .

ولكن لم يسلم ومات على دين عبد المطلب آبائه وأجداده « الشرك بالله تعالى » . فقد شفع فيه الرسول ﷺ كما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح[(١)] من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه[(٢)] » وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : « **ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال : هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**[(٣)] » .

وفي هذا الحديث دلالة على شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب ولكن ذلك لم يخرجه من النار بل يخفف عليه العذاب مثلما جاء في الحديث قال الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان : « فيه الرد على الرافضة الذين يزعمون إسلام أبي طالب وعلى الشيخ أحمد زيني دحلان الذي ألّف لهم كتاباً في إسلامه سماه أسنى المطالب في إسلام أبي طالب مع ماورد في قصة وفاته ومانزل في ذلك من الآيات. وما تظاهرت به الأحاديث من أن له نعلين من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل.

---

(١)ضحضاح : الضحضاح في الأصل مارقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٧٥ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب ٣٦٠ حديث ٢١٠ ،ورواه البخاري باختلاف بسيط كتاب مناقب الأنصار باب ٤٠ حديث ٣٨٨٥ ورواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٥٠٠٩٥٥ .

(٣)رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب ٤٠ حديث ٣٨٨٣ .

نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه ونعوذ به من زيغ القلوب ورين الذنوب وعمى البصائر[1] » .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : « ومن حكمة الرب تعالى عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه وهو القادر عليه دون سواه فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب ونحو ذلك شيء لكان أحق الناس بذلك وأولا هم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه ، فسبحان من بهرت حكمته العقول وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وأخلاص العمل له وتجريده[2] » .

مما مر من الآيات والأحاديث يتبين لنا :

١ – وفاة أبي طالب على الشرك بالله تعالى وأن ما كان منه من حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ومؤازرته له في رسالته لم يمنعه من الخلود في النار لأنه مات على الشرك .

٢ – شفاعته ﷺ له خفف عنه من العذاب فهو في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه أبد الآبدين .

٣ – هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب كل ذلك بيد الله سبحانه وتعالى .

٤ – الرد على الرافضة ومن نهج نهجهم الذين يقولون بإسلام أبي طالب .

---

(١)انظر كتاب الدر النضيد على أبواب التوحيد ص ١٢٩ للشيخ سليما بن عبدالرحمن الحمدان .

(٢)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢١٩ طبعة دار الفكر تعليق سماحة الشيخ عبدا لعزيز بن باز .

٢ - شفاعتة ﷺ لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : « لما فزع النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر[١] على جيش إلى أوطاس ، فلقي دريد بن الصمّة فقُتِل دريد وهزم الله أصحابه قال أبو موسى وبعثني مع أبي عامر فرُميَ أبو عامر في ركبته رماه جشمي[٢] بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت : يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته ، فلما رآني ولَّى ، فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ، ألا تثبت فكفّ فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم ، فزعته فنزل منه الماء قال يا ابن أخي أقرىء النبي ﷺ السلام وقل له : استغفر لي . واستخلفني أبو عامر على الناس. فمكث يسيراً ثم مات فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل[٣] وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبتيه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال : قل له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ورأيت بياض إبطيه ثم قال : اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من

---

(١)أبا عامر : هو عبيد بن سليم بن حضار أبو عامر الأشعري عم أبي موسى . انظر الأصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٣٦١ .

(٢)اختلف في قاتل أبي عامر : فقال ابن اسحاق زعموا أن سلمة بن دريد بن الصمّة هو الذي رمى أبا عامر بسهم فأصاب ركبته فقتله وأخذ الراية أبو موسى الأشعري فقاتلهم ففتح الله عليه وقال ابن هشام : حدثني من أثق به أن الذي رمى أبا عامر إخوان من بني جشم وهما أوفى والعلا أبناء الحارث وفي نسخة وافي بدل أوفى فأصاب أحدهما ركبته وقتلهما أبو موسى الأشعري وفي رواية عن أبي موسى الأشعري باسناد حسن ذكره ابن حجر بأن قاتل أبا عامر هو ابن دريد . وهذا مما يؤيد قول ابن اسحق . والجشمي بضم الجيم وضم المعجمة من بني جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن انظر فتح الباري ٨/ ٤٢ .

(٣)مرمل : براء مهملة ثم ميم ثقلة أي معمول بالرمال وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسرة . انظر فتح الباري ٨/ ٤٣ .

خلقك من الناس فقلت ولى فاستغفر . فقال : اللهم اغفر لعبد الله بن قيس[1] ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريماً » قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى[2] » . في هذا الحديث الشريف شفاعته صلى الله عليه وسلم لعبيد بن سليم بن حضار الأشعري لأن يرفع الله تعالى درجته فوق كثير من أهل الجنة وهذا جزاء على الفداء وبيع النفس للحصول على الثمن الغالي بل وفوق ما تستحق من الجزاء لأن الله يضاعف لمن يشاء﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[3] فهذا قرض الدم أعظم من المال وغيره، وعن أم سلمه رضي الله عنها [4] قالت « دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة[5] وقد شق بصر[6] فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله فقال « لا تدعوا على

(١)عبدالله بن قيس : هو أبو موسى الأشعري : واسمه : عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عذر بن وائل بن ناحية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري ـ انظر الاصابة في تمييز الصحابة ٦/ ١٩٤ .

(٢)رواه البخاري كتاب المغازي باب ٥٥ حديث ٤٣٢٣ ورواه مسلم فضائل الصحابة حديث ٢٤٩٨ .

(٣)سورة التغابن آية ١٧ .

(٤)أم سلمة : هند بنت أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية أم المؤمنين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في جمادي الآخرة سنة أربع وقيل سنة ثلاث بعد وفاة زوجها أبو سلمة وكانت ممن أسلم قديما هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة ثم عندما أرادا الهجرة إلى المدينة منعت من الهجرة مع زوجها إلى المدينة هي وولدها ثم لحقت به أخيرا وولدها أنظر الاصابة ١٣/ ٢٢١ « بتصرف » .

(٥)أبو سلمة : عبدالله بن عبدا لأسد بن هلال بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم المخزومي من السابقين الأولين بالإسلام . قال ابن اسحق : أسلم بعد عشرة أنفس وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة كما ثبت في الصحيحينوتزوج أم سلمة ثم صارت بعده إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن اسحق مات بالمدينة بعد أحد . قال ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن الأسد « انظر الاصابة ٦/ ١٤٠ .

(٦)شق بصره : شخص ونظر إلى شيء لا يرتد إليه طرفه . وهو الذي حضره الموت . انظر لسان العرب شقق ١٠/ ١٨١ .

أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون - ثم قال : « اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه[1] في الغابرين[2] واغفر لنا وله يارب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه[3] » .

في هذا الحديث بيان برفع درجة أبي سلمة رضي الله عنه فيمن قد هداهم الله إلى الحق وذلك في جنات النعيم بفضل شفاعة الرسول ﷺ في ذلك وذلك بدعائه كما جاء في الحديث ودعوته ﷺ مقبولة عند مولاه لأنه ﷺ لا يدعو إلا لمستحق وأهل لذلك وسيرة هذا الصحابي معروفة جهاده عظيم ومواقفه كلها مشرفة وما تكبد في سبيل هذا الدين من المصاعب هو وزوجته حيث هجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة رغم ما حصل من أعداء الإسلام من أهل الشرك ومواقفهم الإلحادية مع أبي سلمة وزوجه والحيلولة بينهما ،إلا أن الإيمان الراسخ جعلهما يصمدان حتى جمع الله شملهما في الدنيا ثم حصل الرجل في خاتمته على الشفاعة من الرسول ﷺ ورفع درجته في الجنة وظفرت الزوجة على المكانة المرموقة حيث أصبحت من أمهات المؤمنين ومن أزواج رسول الله ﷺ .

---

(١)عقبه عقب كل شيء وعقبة وعاقبة وعقبته وعقباه وعقبانه : آخره انظر لسان العرب عقب ١/ ٦١١ .

(٢)الغابرين : قال الأزهري : « يحتمل الغابر هنا الوجهين يعني الماضي والباقي فإنه من الأضداد قال والمعروف الكثير أن الغابر: الباقي قال : وقال غير واحد من الأئمة إنه يكون بمعنى الماضي انظر لسان العرب مادة غبر ٥/ ٣ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز حديث ٩٢٠ ورواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٩٧ .

٢ - الشفاعة في أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم :

إن الشفاعة لا تجدي لأحد إلا من مات على توحيد الله الخالص الذي لا يشوبه شيء من الشرك الذي توعد الله أهله بالخلود في النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين أما من دخل النار من أهل التوحيد بسبب معاصيهم فإنهم تنفعهم شفاعة الشافعين ويخرجون من النار ويدخلون الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : « **نعم . هل تضارون[١] في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟** قالوا : لا : يا رسول الله . قال : **ما تضارون في روية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في روية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّن : ليتبع كل أمة ما كانت تعبد . فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله** سبحانه وتعالى **من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبّرِ[٢] أهل الكتاب . فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون؟ قالوا : كنا نعبد عزير[٣] بن الله : فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا : يا ربنا فاسقنا . فيشار إليهم : ألا ترون؟ فيحشرون**

(١) ١ .تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف . فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر إليه لوضوحه وظهوره . وأما التخفيف فهو من الضير لغة في الضرـ والمعنى فيه كالأول . انظر النهاية في غريب الحديث ٣/ ٨٣ .

(٢) (غبّر أهل الكتاب) معناه بقاياهم جمع غابر صحيح مسلم تحقيق محمد فواد ١/ ١٦٨ .

(٣)عزير : قال ابن كثير : « المشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحى وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل كما قال وهب بن منبه أمر الله ملكا فنزل بمغرفة من نور فقذفها في عزير فنسخ التوراة حرفا بحرف حتى فرغ منها . انظر البداية والنهاية المجلد الأول الجزء الثاني صفحة ٤٦ دار الفكر .

إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا . فيتساقطون في النار . ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح بن الله فيقال لهم كذبتم : ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم : ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا : يا ربنا فاسقنا . فيشار إليهم : ألا ترون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب[1] يحطم بعضها بعضا . فيتساقطون في النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوه فيها . قال : « فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك . لا نشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاث) حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم . فيكشف عن ساق[2] . فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله لا بالسجود . ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة[3]كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة . فقال : أنا ربكم . فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة . ويقولون : اللهم سلم سلم « قيل يا رسول الله : وما الجسر؟ قال« دحض مزلة[4] فيه خطاطيف

---

(١)سراب : السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوى وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فواد عبد الباقي .

(٢)فيكشف عن ساق : أي فيكشف الرب سبحانه عن ساقه حيث له ساق حقيقة ولا نشبه ولا نمثل ذلك ولا نؤول مثل ما فعله بعض المبطلين .

(٣)طبقة واحدة : الطبق فقار الظهر واحدتها طبقة يريد أنه صار فقارهم كله كالفقارة الواحدة فلا يقدرون على السجود . انظر غريب الحديث ٣/ ١١٤ .

(٤)دحض مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد.وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.ومنه دحضت الشمس أي مالت.وحجة داحضة أي لا ثبات لها .انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ١٦٩.

وكلاليب وحسك[1] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل . ومكدوس في نار جهنم [2] حتى إلى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا : كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون . فقال لهم : اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار[3] . فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه . ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيراً ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به . ثم يقول : ارجعوا « فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقا كثيرا . ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا .

---

(١)خطاطيف وكلاليب وحسك : الخطاف : وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء ويجمع على خطاطيف . انظر لسان العرب ٩/ ٧٦ . والكلّوب والكلّاب : حديدة مطفوفة كالخطاف . انظر لسان العرب ١/ ٧٢٥ .

الحسك : نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم وكل ثمرة تشبهها معطوفة نحو ثمرة القطب والسعدان والهراس وما أشبهه حسك واحدته حسكة . لسان العرب ١٠/ ٤١١ .

(٢)(فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا . وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص . وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم . قال في النهاية : تكدّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط ويروى بالشين المعجمة من الكدش وهو السوق الشديد . والكدش : الطرد والجرح أيضا . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ١٦٩ .

(٣)فتحرم صورهم على النار : المراد هنا آثار السجود كما جاء في صحيح البخاري باب ٥٢ حديث ٦٥٧٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود الحديث .

ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً[1] » وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** [2]﴾ **فيقول الله** ﷻ « **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط**[3] **قد عادوا حمما**[4] **فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة**[5] **يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة**[6] **في حميل السيل . ألا ترونها**

(١)لم نذر فيها خيرا : هكذا هو خير باسكان الياء أي صاحب خير انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/ ١٧٠ .

(٢)سورة النساء آية ٤٠ .

(٣)لم يعملوا خيرا قط : من فضائل الإعمال إلا أنهم ماتوا على التوحيد الخالص ولم يكن عندهم شيء من الشرك فعذبوا على قدر ما عندهم من المعاصي . أما معصية الشرك فصاحبها خالد مخلد في نار جهنم ولا تنفعه شفاعة الشافعين ولا يرحمه رب العالمين . في حديث أنس فيشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته من أهل النار من الموحدين ثلاثا وفي الرابعة يقول « ثم أخر له ساجدا . فيقال لي يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع . فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله قال : ليس ذاك لك(أو قال ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال : لا إله إلا الله » صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٣ .

أما من مات على الشرك فهو في نار جهنم ولو كان أقرب قريب . فعن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار« فلما قفى دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار » انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث٢٠٣

(٤)قد عادوا حمما : الحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق من النار .انظر لسان العرب ١٢/ ١٥٧ . والمراد أن أولئك القوم الذين أدخلوا النار قد صاروا مثل الفحم في حرقان النار لهم . أعاذنا الله من النار .

(٥)في أفواه الجنة : الأفواه : جمع فوة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس وأفواه الأزقة والأنهار أو ائلها انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فواد عبد الباقي ١/ ١٧٠ .

(٦)الحبة في حميل السيل : « الحبة بكسر المهملة وتشديد الموحدة بزور الصحراء والجمع حبب بكسر المهملة وفتح الموحدة بعدها مثلها . وأما الحبة بفتح أوله وهو ما يزرعه الناس فجمعها حبوب بضمتين . انظر فتح الباري ١١/ ٤٥٨ .

تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى في البادية قال : « فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة . هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول : لكم عندي أفضل من هذا فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم أبداً[١] »

في هذا الحديث فوائد عظيمة :

مما يحصل على أرض المحشر وعلى الصراط وهي واضحة ظاهرة . وهذا النوع من الشفاعات والذي تواترت به الأحاديث فيه الرد على الخوارج والمعتزلة[٢] والرد أيضا في الرؤية على الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وما نحن بشأنه هو دخول أهل الكبائر من المؤمنين النار وعذابهم ثم الشفاعة فيهم وإخراجهم بعد أن محصوا في النار مما قد وقعوا فيه في الدنيا من الكبائر الذنوب كما بينه الحديث« فيمز المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب على الصراط فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار . . .« أي إذا نقوا من أدران المعاصي

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٣وروى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة كتاب الرقاق باب ٥٢حديث ٦٥٧٣ .

(٢)مذهب الخوارج والمعتزلة : أن من استحق النار لا بد أن يدخلها ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها والأحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله انظر شرح العقيدة الواسطية « محمد خليل هراس » ص ١٥٠ . انظر العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرناؤوط ص ١٤٦ .

التي ارتكبوها يأذن الله في الشفاعة فتشفع الملائكة ويشفع الأنبياء ويشفع المؤمنون ثم تكونرحمة أرحم الراحمين فيخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط فيدخل أولئك المشفوع فيهم الجنة كما صرحت به الأحاديث .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يدخل الله أهل الجنة الجنة. يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار . ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه . فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**[1] » وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر**[2] **فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل** » فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية[3] » .

آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إني أعلم آخر أهل النار خروج منهاوآخر أهل الجنة دخولاً الجنة . رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى**

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٤ .

(٢)ضبائر ضبائر : هم الجماعات في تفرقة واحدتها ضبارة مثل عمارة وعمائر وكل مجتمع : ضبارة انظر في غريب الحديث والأثر ٣/ ٧١ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٥ .

فيرجع فيقول : رب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا . قال : فيقول : أتسخر بي (أو تضحك بي) وأنت الملك؟ قال لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك ثم بدت نواجذه قال فكان يقول : ذاك أدنى أهل الجنة منزلة[1] » .

وفي الرواية الأخرى عنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل يمشي مرة ويكبوا مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك . لقد اعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين . فترفع له شجرة فيقول : أي رب إدنني من هذه الشجرة (أستظل بظلها وأشرب من مائها . فيقول الله عزوجل : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها . فيقول : لا . يارب . ويعاهده أن لا يسأله غيرها . وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها . فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى . فيقول أي رب . أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها . لا أسألك غيرها . فيقول يا ابن أدم ألم يعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها . وربه يعذره . لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها . فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين.فيقول : أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها و أشرب من مائها لا أسألك غيرها. فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى . يارب . هذه لا أسألك غيرها . وربه يعذره لأنه يرى مالا يرى ما لا صبر له عليها

(١)رواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٨٦ .

فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة . فيقول أي رب أدخلنيها . فيقول : يا ابن آدم مايصيرني منك[1] ؟ أيرضيك ان أعطيك الدنيا ومثلها معها [2]؟ قال : يارب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك فقالوا : مم تضحك ؟ قال هكذا . ضحك رسول الله ﷺ. فقالوا : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك يارسول الله ؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزئ منك . ولكني على ما أشاء قادر. »[3]

وهذا هو آخر أهل النار خروجاً . و آخر أهل الجنة دخولاً و أقلهم منزلة ممن شملتهم رحمة رب العالمين .

٤ - الشفاعة في دخول المؤمنين الجنة :

بعد فصل القضاء يستشفع المؤمنون الأنبياء في استئذان الرب ﷻ أن تفتح لهم الجنة ويدخلونها فيعتذرون من ذلك حتى يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ فيشفع في ذلك ﷺ .

عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا :قال رسول ﷺ:« يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف[4]لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا أستفتح

---

(١)يصيرني منك : صرى الشيء صرياً : قطعه ودفعه . أي مايقطع مسألتك عني ويمنعك من سؤالي .أنظر لسان العرب مادة صبري ١٤/ ٤٥٧ .

(٢)ومثلها معها : « وفي رواية هو لك وعشرة أمثاله » ، رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٨ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٧ وهناك روايات أخرى للحديث بألفاظ غير هذا . وأنظر آخر حديث الصراط عند البخاري كتاب الرقاق باب ٥٢ حديث ٦٥٧٣ .

(٤)تزلف لهم الجنة : أي تقرب انظر لسان العرب مادة زلف ٩/ ١٣٨ .

لنا الجنة فيقول:وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم .لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال : فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك. إنما كنت خليلا من وراء وراء[(١)] . اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً فيأتون موسى ﷺ فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى ﷺ : لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً ﷺ فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم[(٢)] فتقومان جنبتي الصراط[(٣)] يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال : قلت : بأبي أنت وأمي : أي شيء يمر كالبرق؟ قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير . وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد . حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً . قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به.فمخدوش ناج ومكدوس في النار[(٤)] ».

فرسول الله ﷺ هو أول الناس يشفع في دخول الجنة وأول من يقرع باب الجنة وأكثر الأنبياء تبعاً . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا**

---

(١)من وراء وراء : قال الإمام النووي : قد أفادني هذا الحرف الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن أمية أدام الله نعمه عليه وقال الفتح صحيح وتكون الكلمة مؤكدة كشذر مذر وشغر بغر وسقطوا بين بين فركبهما وبناهما على الفتح . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٧١ .

(٢)ترسل الأمانة والرحم : إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٧١ .

(٣)جنبتي الصراط : أي جانباه انظر النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٠٣ وكذا حافتاه .

(٤)رواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٥ .

أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً[1]» وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح . فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول : محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**[2] » . وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة**[3] » .

٥ - الشفاعة فيمن يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب :

هذا الصنف من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب هم الذين تعلقت قلوبهم بالله تعالى فطهروا أنفسهم من أدران المعاصي ما قل منها وما كثر ولم يسودّوا صحائفهم بما تكتب الحفظة الكاتبون ، بل كل ذلك أعمال صالحة وسير على هدي الله وصراطه المستقيم وإن حصل منهم أخطاء فسرعان ما يستغفرون ويتوبون .ثم توكلهم على ربهم في كل أمورهم عالمين أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن كل شيء قد كتب وكان . وقد بين ﷺ صفاتهم وشفع فيمن طلب منهم أن يكون منهم عندما أخبر بذلك . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : عرضت علي الأمم[4] .

فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير : قلت : يا

---

(١)رواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٦ .

(٢)رواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٧ .

(٣)رواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٦ .

(٤)عرضت علي الأمم : قال ابن حجر بعد ذكر بعض الروايات الواردة في رؤيا عرض الأمم : « وإنما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها النبي صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام » انظر فتح الباري ١١/ ٤٠٧ .

جبريل هؤلاء أمتي؟ قال : لا . ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير : قال: هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب . قلت : ولم؟ قال كانوا لا يكتوون(١) ولا يسترقون(٢) ولا يتطيرون(٣) وعلى ربهم يتوكلون(٤) . فقام عكاشة(٥) بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم قال : اللهم اجعله منهم . ثم قام رجل(٦) آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة(٧) » .

---

(١)اكتوى : الكي : معروف إحراق الجلد بحديدة ونحوها، كواه كياً. انظر لسان العرب مادة كوى ١٥/ ٢٣٥ .

(٢)يسترقون : الرقية : العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات . انظر النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٥٤ .

(٣)يتطيرون : الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء وهو مصدر تطير يقال : تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما . وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظبأ وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع أو أبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تاثير في جلب نفع أو دفع ضر » . انظر غريب الحديث والأثر ٣/ ١٥٢ .

(٤)يتوكلون : المتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره » انظر لسان العرب « وكل » ١١/ ٧٣٤ .

(٥)عكاشة : ابن محصن بن حرثان بن قبس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف لبني أمية يكنى أبا محصن كان من فضلاء الصحابة شهد بدراً وأبلى بلاء حسناً وانكسر سيفه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً أو عوداً فصار بيده سيفاً يومئذ وشهد أحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله عليه وسلم وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق . وكان من أجمل الرجال »انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١١٤ .

(٦)رجل آخر : لم أجد ما يثبت به صحة اسم ذلك الرجل .

(٧)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٠ حديث ٦٥٤١، ورواه مسلم كتاب الإيمان حديث ٢١٨ ،٢٢٠ورواه الترمذي كتاب القيامة باب ١٦حديث ٢٤٤٦ ورواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٧١ ،٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤ .

في هذا الحديث تظهر شفاعته ﷺ لعكاشة بن محصن حيث دعا ربه أن يجعله من أولئك القوم المتصفين بهذه الصفات الحميدة التي بسببها عافاهم الله من الحساب والعذاب وأدخلهم الجنة بسلام وإن لم يسبقوا غيرهم بكثرة الأعمال الصالحة .

٦ - الشفاعة في قوم من العصاة استوجبوا النار بذنوبهم أن لا يدخلوها وآخرين تساوت حسناتهم وسيئاتهم :

١ - قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاب الأهوال حدثنا إسماعيل ابن عبيد ابن أبي كريمة حدثني محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو قال : حدثني عبدالله بن الحارث أيضا أن النبي ﷺ قال : « **أمرُّ بقوم من أمتي قد أُمر بهم إلى النار قال : فيقولون يا محمد ننشدك الشفاعة . قال : فآمر الملائكة أن يقضوا بهم . قال : فأنطلق واستأذن على الرب ﷻ فيأذن لي فأسجد وأقول : يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار قال : فيقول لي : انطلق فأخرج منهم . قال : فأنطلق وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج ، ثم ينادى الباقون : يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستاذن فيؤذن لي فأسجد فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأثنى على ا لله بثناء لم يثن عليه أحد.أقول : ثَمَّ قوم من أمتي قد أُمر بهم إلى النار ، فيقول : انطلق فأخرج منهم قال : فأقول يا رب ، أخرج منهم من قال لا إله إلا الله ومن كان في قلبه حبة من إيمان ، قال : فيقول يا محمد**

ليست تلك لك تلك لي . قال : فأنطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج قال ويبقى قوم فيدخلون النار فَيُعَيِّرهم أهل النار . فيقولون : أنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار.قال : فيحزنون لذلك ، قال : فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار ويغبطهم أهل النار ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال : انطلقوا فتضيّفُوا الناس فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المحررين[1] » قال ابن كثير : وهذا السياق يقتضي تعدد الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات أن لا يدخلوها ، ويكون معنى قوله « فأخرج » أنقذ بدليل قوله بعد ذلك : ويبقى قوم فيدخلون النار والله أعلم[2] » .

٢ – وقال أبو نعيم رحمه الله ثنا محمد بن المظفر بن موسى الحافظ ثنا أبو حفص أحمد بن محمد بن عمر بن حفص الأوصابي ثنا بن حمير ثنا الثوري ثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ** [3]﴾ قال : « **أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف**[4] » غريب من

(١)النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٣١٣ دار الكتب العلمية الحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة وقد وثقه الدار قطني ،وقال الجعابي : يحدث عن ابن سلمة بعجائب كما في التهذيب والميزان ويخشى أيضا من إرساله فيحتمل أن يكون عبدالله بن الحارث سمعه من أبي هريرة ويحتمل أن يكون أرسله والله أعلم قاله أبى عبدالرحمن مقبل بن هادى الوادعي كتاب الشفاعة ص ١١١ .

(٢)النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٣١٤ .

(٣)سورة فاطر آية ٣٠ .

(٤)الحلية ٤/ ١٠٨ وانظر كتاب الشفاعة ص١١١ .

حديث الأعمش عزيز عجيب من حديث الثوري تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش وعن إسماعيل بقية بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ[1] .

٣ - قال الطبراني ﷺ في الكبير : حدثنا الحسين بن اسحق التستري وعبدان بن أحمد قالا : حدثنا محمد بن مصطفى ثنا بقية بن الوليد حدثنا إسماعيل بن عبدالله الكندي عن الأعمش عن أبي وائل عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ في قوله﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ قال : « أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن صنع إليهم المعروف في الدنيا[2] أما الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الصنف هم أهل الأعراف على قول من قال إنهم هم الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

---

(١)أما رجال الإسناد محمد بن المظفر حافظ كما وصفه أبو نعيم وله ترجمة في تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٨٠ وتاريخ بغداد ٣/ ٢٦٢ وأحمد بن محمد لم أقف على ترجمته، وقوله : ثنا أبي ، الظاهر أنه يعني جده فقد ذكر الحافظ في تهذيب التهذيب في ترجمة عمر بن حفص أنه روى عن محمد بن حمير و عمر مستور الحال يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات وبقية رجال الإسناد من محمد بن حمير إلى عبدالله وهو ابن مسعود رضي الله عنه رجال الصحيح . قاله الشيخ أبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي في كتابه « الشفاعة » ص ١١٢ .

(٢)رواه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٤٨ . وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٣ ورواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه إسماعيل بن عبدالله الكندي : ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال أتى بخبر منكر وبقية رجاله وثقوا انظر كتاب »الشفاعة للوادعي ص ٢٥٧ وقال : وعزاه الحافظ ابن كثير في التفسير ١/ ٥٩١ إلى ابن مردويه ثم قال: وهذا إسناد لا يثبت .

أخرج بن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير قال : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف؟فقال « **هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم**[1] »

وقال القرطبي بعد أن ذكر الأقوال في أهل الأعراف : « **فوقف عن التعيين لاضطراب الأثر والتفصيل والله بحقائق الأمور عليم**[2] » .



(١)فتح القدير ٢/ ٢٠٩ وقال ابن كثير وهذا مرسل حسن .

(٢)الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢١٣ .

الفصل الخامس
الحساب

الحياة الدنيا مزرعة الآخرة يعمل العبد في الحياة الدنيا ويحصي ماله أو عليه من الحسنات والسيئات حتى تنتهي حياته فتطوى الصحف حتى اليوم الآخر الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد ويحاسبهم على أعمالهم ويوفيهم أجورهم ويجازي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المراد بالحساب .

المبحث الثاني : صفة بداية الحساب .

المبحث الثالث : أول من يحاسب من الخلق .

المبحث الرابع : محاسبة الحيوانات .

المبحث الخامس : محاسبة الكفار .

المبحث السادس : حال المؤمنين في المحاسبة .

المبحث السابع : تسلم كتب الأعمال .



المبحث الأول
المراد بالحساب

الحساب والحسابة : عدك الشيء وحسب الشيء بالضم حسباً وحساباً وحسابة : عده[1] » .

واصطلاحاً : توقيف الله عباده قبل الإنصراف من الحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً تفصيلاً لا بالوزن إلا من استثنى منهم[2] » .

يحاسب الحكم العدل عباده جميعهم في اليوم الآخر على ما قدموه من الأعمال الصالحة أو الطالحة في حياتهم الدنيا قال تعالى﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [3]﴾ سؤال تقرير بما كان .وقال تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ [4]﴾ قال ابن عباس : لا يسألهم : هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لهم : لم عملتم كذا وكذا[5] . .؟

قال رجل لابن عباس رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال : من يرزقهم في ساعة واحدة[6] » . قال الله تعالى ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ [7]﴾ كل شيء على الله هين .

(١)لسان العرب (حسب) ١/ ٣١٣ .
(٢)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ٢/ ١٧١ .
(٣)سورة الحجر آية ٩٢-٩٣ .
(٤)سورة الرحمن آية ٣٩ .
(٥)تفسير الطبري ١٤/ ٦٧ المطبعة لحلبية بمصر .
(٦)مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه ٥/ ٤٧٩ .
(٧)سورة لقمان آية ٢٨ .

قـــــــــال تعـــــــــالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قـال العبـد : الحمـد لله رب العالين . قال الله تعالى : حمدني عبدي. وإذا قال العبـد : الـرحمن الـرحيم : قـال الله تعالى : أثنى علي عبدي. وإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدني عبدي (وقال مرة: فوّض إلي عبدي) فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بيني وبـين عبـدي ولعبدي ما سأل. فإذ قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال « هذا لعبد ولعبدي ما سأل**[2] » .

قال شيخ الإسلام بن تيميه : هذا يقوله ﷻ لكل مصل قرأ الفاتحة فلـو صـلى الرجل ما صلى من الركعات قيل له ذلك . وفى تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصى عدده إلا الله وحده وكل واحد منهم يقول الله له كـما يقـول لهـذا كـما يحاسبهم كذلك ، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة وكذلك سمعه لكلامهم كله مع اختلاف لغاتهم وتفـنن حاجـاتهم يسـمع دعـاءهم سـمع إجابة ، ويسمع ما يقولونه سمع علـم وإحاطـة ، لا يشـغله سـمع عـن سـمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين فإنه سبحانه هو الذي خلق هذا كله ، وهو الذي يرزق هذا كله وهو الذي يوصل الغذاء إلى كل جزء من البـدن عـلى مقـداره وصفته المناسبة له وكذلك من الزرع[3] » . وعن صفوان بن محرز قال : قـال رجـل لابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قـال : سـمعته يقـول :

(١)سورة يس آية ٨٢ .

(٢)رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة حديث ٣٩٥ واللفظ له وروى الترمـذي نحـوه في كتـاب التفسـير سورة الفاتحة باب ٢ حديث ٢٩٥٣ والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٤١ .

(٣)مجموع الفتاوى شيخ الإسلام بن تيميه ٥/ ٤٨٠ .

يدني المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف؟فيقول أي رب أعرف : قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم . فيعطي صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله[1] » .

في هذين الحديثين بيان ما يكون من المولى ﷻ في محاسبة عباده وإيقافهم على ما كان منهم من ذنوب وتقريرهم بذلك ، وما هو محفوظ في صحف أعمالهم وستره لهم في الدنيا ثم تجاوزه عنهم في الموقف وهذا من زادت حسناته على سيئاته ويعفو سبحانه وتعالى عمن تساوت سيئاته وحسناته ويمحص من زادت سيئاته على حسناته كما بينته الأحاديث الأخر ويفضح ﷻ الكفار والمنافقين ويخزيهم في الموقف على جرمهم وتكذيبهم لرسل الله تعالى والمحاسبة لكل على حده وما ذلك مع جميع الخلائق إلا في ساعة.

وعن عدي بن حاتم قال : قال النبي ﷺ : « **ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئا قدّامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمره**[2] » وفي هذا

---

(١)رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة حديث ٧٦٦٨ ورواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة هود باب ٤ حديث ٤٦٨٥ وابن ماجه مقدمة ١٣ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٩ حديث ٦٥٣٩ ورواه مسلم في كتاب الزكاة « الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار » حديث ١٠١٦ ورواه النسائي كتاب الزكاة باب ٦٣ والدرامي كتاب الزكاة باب ٢٤ والإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٥٦ ٢٥٩٢٥٨ والترمذي في كتاب صفة القيامة باب ١ حديث ٢٤١٥ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . حدثنا أبو السائب حدثنا وكيع يوما بهذا الحديث عن الأعمش فلما فرغ وكيع من هذا الحديث قال : من كان ها هنا من أهل خراسان فليحتسب في إظهار هذا الحديث بخراسان لأن الجهمية ينكرون هذا اسم أبي السائب سلم بن جنادة بن سلم بن خالد بن جابر بن سمرة الكوفي . انظر الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٤/ ٦١١ .

الحديث تحقيق تكليم الله تعالى لجميع الخلق مشافهة دون واسطة والرد على الجهمية والمعتزلة[1] وأن الله تعالى يقرر المؤمنين بأعمالهم ويوقفهم على ذلك ويوبخ من استحق التوبيخ على جرمه في الدنيا وأنه لا ينجي من النار إلا الأعمال الصالحة في الحياة والتي هي الوقاية من النار التي تكون تلقاء الناس في المحشر وعند المرور على الصراط وكلهم يراها [2] .



(١)الجهمية : فرقة ذات منهج باطل ومن منهجها أنها تنفي أسماء وصفات الرب ـ . انظر دقائق التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية / رحمه الله تعالى ٢/ ٤٢٠ مؤسسة علوم القران دمشق بيروت .

والمعتزلة : نفو الصفات دون الأسماء ولها منهج ليس هذا مجال ذكره . وهذا الحديث وغيره من الأحاديث والآيات تبطل قول هاتين الفرقتين فالكلام من صفات الرب سبحانه وتعالى الثابت بنص القران والسنة والذي يكون مشافهة دون واسطة بصفة ليست صفة كلام الخلق بل صفة لائقة به ـ . وكذا رؤيته لعباده ورؤية عباده له تعالى قال الله ﷻ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾يعني مشرقة﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾يعني رائية .

(٢)انظر الإبانة عن أصول الدين ص ١٢ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة هجرية . . وحديث جابر بن عبدالله ﷺ « ثم يأتينا بعد ذلك فيقول : : من تنظرون فيقولون ربنا . فيقول : أنا ربكم فيقولون : حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك . قال : فينطلق بهم ويتبعونه . . الحديث صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩١ .

المبحث الثاني
صفة بداية الحساب

قال تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [1]﴾ عندما يجيء الرب ﷻ لفصل القضاء تضيء الأرض بنوره ﷻ وتوضع كتب الأعمال ويشهد الأنبياء بتبليغهم رسالات الله لأممهم وكذا الحفظة من الملائكة بما كتبوا من خير أو شر . وقال تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [2]﴾ .

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : « ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكتاب يوضع يوم القيامة والمراد بالكتاب : جنس الكتاب فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا وأن المجرمين يشفقون مما فيه أي يخافون منه[3] » . ويحكم ﷻ بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا [4][5]﴾ في ذلك اليوم المهول تظهر أعمال العباد خيرها وشرها والتي

---

(١)سورة الزمر آية ٦٩-٧٠ .

(٢)سورة الكهف آية ٤٩ .

(٣)أضواء البيان ٤/ ١١٦ طبعة الأمير أحمد .

(٤)سورة النساء آية ٤٠ .

(٥)تفسير القران العظيم ٣/ ١٤٣ .

كانت نسياً منسياً عند بعضهم في حياتهم الدنيا . قال تعالى ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا** [1] ﴾ .

فلأعمال خيرها وشرها حاضرة فهي حصاد مازرع كلها معلقة في عنقه لا فكاك من سيئها وإن ودَّ ذلك قال تعالى ﴿ **وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** [2] ﴾ وكل في صمت ماذا يصدر من الإله الحق الحكم العدل ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** [3] ﴾ ﴿ **إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ** [4] ﴾ ﴿ **وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ** [5] ﴾ ﴿ **وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** [6] ﴾ ﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ** [7] ﴾ .



(١)سورة آل عمران آية ٣٠ .
(٢)سورة لإسراء آية ١٣-١٤ .
(٣)سورة هود آية ١٠٥ .
(٤)سورة غافر آية ١٨ .
(٥)سورة طه آية ١٠٨ .
(٦)سورة طه آية ١١١ .
(٧)سورة النازعات آية ٨-٩ .

المبحث الثالث
أول من يحاسب من الخلق

إن نبينا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأفضلهم بل أفضل المخلوقات وأمته خير الأمم وأفضلها لقوله تعالى ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** [1]﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ قال : خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام[2] » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء** » فقلنا يا رسول الله ما هو؟ قال : « **نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد وجعل التراب لي طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم**[3] » . وخيرية هذه الأمة وأفضليتها وعلى رأسها رسولها ﷺ هو لهذه الصفات التي ذكرها الله تعالى وتميزت بها عن غيرها- هي الأمر بالمعروف والنهي

---

(١)سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢)رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة آل عمران باب ٧ ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ حديث ٤٥٥٧ وهذا الحديث أتى من وجه آخر في صحيح البخاري مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل** » كتاب الجهاد باب ١٤٤ حديث ٣٠١٠ .

(٣)رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٩٨ . وقال ابن كثير تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناد حسن . انظر تفسير بن كثير ١/ ٥٨٥ عند تفسير الآية المشار إليها .

وقد عدد ابن حجر العسقلاني ما اختص به نبينا من الكرامات وقال : « وقد ذكر أبو سعيد(١) النيسابوري في كتاب شرف المصطفى أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة . انظر فتح الباري ١/ ٤٣٩ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز .

(١)اسمه : عبدالملك بن محمد النيسابوري الخركوشي المتوفي سنة ٤٠٦ كتاب شرف المصطفى . ثمان مجلدات – نفس المرجع

عن المنكر والإيمان بالله تعالى لهذا نالت الشرف العظيم على غيرها من الأمم وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنه قالا : قال رسول الله ﷺ : « **أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد. فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد . وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا . والأولون يوم القيامة . المقضي لهم قبل الخلائق**[1] » . وفي رواية واصل : « المقتضي بينهم » .

وهنا بيان أن أمة محمد ﷺ هم آخر الأمم حيث لا أمة بعدهم وهم الأولون يوم القيامة في الكثرة كما بينته الأحاديث وفي محاسبتهم قبل الخلائق والقضاء لبعضهم من بعض لينتهوا من هول ذلك اليوم كما في هذا الحديث .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها ﷺ فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[2] » .



(١)رواه سلم في صحيحه كتاب الجمعة ٢٢ حديث ٨٥٦ .

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٨٥ .

المبحث الرابع
محاسبة الحيوانات

إن من عدل الله تعالى أن لا يترك شيئاً لأحد من مخلوقاته إلا يحصحصه ويعطي كل ذي حق حقه على ما حصل وكان في دار الدنيا .

فالحيوانات من مخلوقاته ﷻ ولا شك أن بعضها يعتدي على بعض ففيها القوي وفيها الضعيف وفيها الكبير وفيها الصغير فعدل أحكم الحاكمين قائم على كل مخلوقاته لتصل الحقوق إلى أهلها . ومحاسبة الحيوانات إنما هو قصاص مقابلة لبعضها من بعض أمام مرأى من المخلوقات ، فإذا انتهى قصاص بعضها من بعض قال لها المولى الحق الله جل جلاله : « كوني تراباً » فتكون تراباً حينئذ يود الكافر أن يكون كذلك ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[2] من الشاه لقرناء** »[3] .

ففي هذا الحديث ثبوت محاسبة الحيوانات يوم القيامة والأقتصاص لبعضها من بعض قال النووي :« هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه

---

(١)سورة النبأ آية ٤ .

(٢)الجلحاء : بالمد هي التي لا قرن لها . انظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الثامن ١٦/ ١٣٧ .

(٣)رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة حديث ٢٥٨٢ ورواه الترمذي كتاب القيامة باب ٢ حديث ٢٤٢٠ وقال حديث صحيح ورواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٤١١ .

دعوة وعلى هذا تضافرت دلائل القرآن والسنة قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[1] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره . قال العلماء وليس من شرط الحشر والأعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم وأنه ليقيد فعند جماء من القرناء حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله : كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا**»[3] .

(١)سورة التكوير آية ٥ .

(٢)شرح النووي على مسلم المجلد الثامن ١٦/ ١٣٧ .

(٣)أخرجه بن جرير في تفسيره (٣٠/ ١٧-١٨) من طريق إسماعيل بن رافع المدني عن يزيد بن زياد عن محمد بن شحب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة مرفوعا به قال الألباني : « هذا إسناد ضعيف إسماعيل بن رافع المدني قال الحافظ « ضعيف الحفظ » والرجل الأنصاري لم أعرفه لكنه قد توبع فأخرجه بن جرير من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال « إن الله يحشر الخلق كلهم ، كل دابة وطائر وإنسان ، يقول للبهائم والطير : كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر « ياليتني كنت تراباً » قلت : وهذا إسناد صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم ، غير ابن ثور وهو محمد الصنعاني وهو وإن كان موقوفا فإنه شاهد قوى للمرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي ويشهد له ما عند ابن جرير أيضا من طريق عوف عن أبي المغيرة عن عبدالله بن عمرو قال « إذا كان يوم القيامة مد الأديم . وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يحصل القصاص بين الدواب ويقتص للشاه الجماء من الشاة القرناء نطحتها فإذا فرغ من القصاص بين الدواب قال لها « كوني تراباً » قال فعند ذلك يقول الكافر (ياليتني كنت ترابا) قلت وإسناده جيد ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي المغيرة هذا وهو القواس لا يسمى ، وقال الذهبي في الميزان « لينه سليمان التميمي وقال ابن المدني : لا أعلم أحداً روى عنه غير عوف » قلت : لكن قال : ابن معين إنه ثقة كما في الجرح والتعديل (٤/ ٢/ ٤٣٩) وذكره ابن حبان في الثقات فثبت الإسناد والحمد لله على توفيقه » انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٦٠٦ ٦٠٧ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة[1] من الذرة** »[2] وهذا من عظم عدل الله تعالى ، فينصف كل مخلوق ويعطي كل ذي حق حقه، ويجازي كل نفس على ما أسلفت في حياتها الدنيا فلا حقائق تخفى عليه ولا يغيب عنه صغيرة ولا كبيرة.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[3] ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾[4]

والحساب جار على كل من المخلوقات إلا من عافاه الله تعالى منهم بسبب ما قدم في حياته الدنيا من الأعمال الصالحة وتميز به على غيره[5] .

قال شيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله تعالى بعد أن تكلم عن حشر البهائم « فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها : كوني ترابا . فتصير تراباً ، فيقول الكافر حينئذ ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ ومن قال : إنها لا تحيا فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ ، بل هو ضال أو كافر والله أعلم .[6]

(١)الذرة : الذر : النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرة . أنظرا لنهاية في غريب الحديث والأثر . ٢/ ١٥٧ وأقول قد يكون أسود وغير ذلك والمراد أنه صغارا النمل والله أعلم .

(٢)رواه أحمد ٢/ ٣٦٣ وقال الألباني « وهذا إسناد صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم والحديث قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٥٢) تبعا للمنذري في « الترغيب (٤/ ٢٠١) »رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح »وقال الألباني : « وأصله في الصحيح من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ»لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء « أخرجه مسلم (٧/ ١٨١٩) والترمذي ٤/ ٢٩٢ بشرح التحفة . وأحمد ٢/ ٢٣٥ ٣٠١ ٤١١ من طرق عنه به وقال الترمذي « حديث حسن صحيح » « ١٠هـ » قلت هذا حديث الباب وتقدم قريبا « وقد ذكر الشيخ الألباني أحاديث وشواهد وتعليقات على هذا الموضوع مفيدة _ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة٤/ ٦٠٩-٦١٠-٦١١-٦١٢-٦١٣-٦١٤.

(٣)سوره لقمان آية ١٦ .

(٤)سورة الطارق آية ٩-١٠ .

(٥)مثل الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب كما صح بذلك الخبر وبيناه في أنواع الشفاعات .

(٦)انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيميه ٤/ ٢٤٨ .

المبحث الخامس
محاسبة الكفار

الكفر في اللغة : التغطية والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه كما يقال للابس السلاح كافر وهو الذي غطاه السلاح ومثله رجل كاس أي ذو كسوة وماء دافق ذو دفق قال وفيه قول آخر أحسن مما ذهب إليه وذلك أن الكافر لما دعاه الله إلى التوحيدفقد دعاه إلى نعيمه وأحبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه فلما أبى ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله أي مغطيا لها بإبائه حاجباً لها عنه(١) » .

والكفر نقيض الإيمان . . . قال بعض أهل العلم : الكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلا وكفر جحود ، وكفر معاندة ، وكفر نفاق ، من لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء(٢) » .

والكفار خلق من خلق الله تعالى بل عبيد من عبيده منحهم الله تعالى ما منح غيرهم من بني الإنسان من العقل والسمع والبصر والفؤاد ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا (٣)﴾ وأنعم عليهم مثلما أنعم على غيرهم من شتى النعم ولكنهم كفروا ربهم واتبعوا هواهم وأطاعوا شيطانهم وماتوا على الكفر والضلال ، فلا بد أن يبعثوا كغيرهم وأن يقفوا مع الناس في المحشر ويرون بأم

---

(١)لسان العرب مادة كفر ٥/ ١٤٦ .

(٢)لسان العرب مادة « كفر » ٥/ ١٤٤ وانظر الكلام على كل من هذه الأنواع هناك .

(٣)سورة الإسراء آية ٣٦ .

أعينهم حقيقة ما كانوا ينهون عنه في الحياة الدنيا وسيحاسبون على ما كان منهم فيها . سئل شيخ الإسلام بن تيمية ﷺ عن الكفار هل سيحاسبون يوم القيامة أم لا؟ فأجاب » هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم فمن قال لا يحاسبون : أبو بكر بن عبد العزيز وأبو الحسن التميمي والقاضي أبو يعلى وغيرهم وممن قال : أنهم يحاسبون : أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد وأبو سليمان الدمشقي وأبو طالب المكي .

وفصل الخطاب : أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار وإن أريد المعنى الثاني : فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب و قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ [(١)] ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ [(٢)]﴾ والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب ، لا لأجل دخولهم الجنة[(٣)] » .

---

(١)سورة النحل آية ٨٨ .

(٢)سورة التوبة آية ٣٧ .

(٣)فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ٤/ ٣٠٥-٣٠٦ .

والله ﷻ ينظر إلى الكفار ويكلمهم ولكن ليس كلاماً ونظراً يرحمهم به قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** [(1)]﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى أي برحمة منه لهم يعني لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿**وَلَا يُزَكِّيهِمْ** ﴾ أي من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار[(2)] » .

ومن ثبوت ذلك قوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ** [(3)]﴾ ويقول سبحانه ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ** [(4)]﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنه « احبسوهم إنهم محاسبون[(5)] » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول « **يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به؟ فيقول : نعم فيقال له : قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك**[(6)] » .

(١)سورة آل عمران آية ٧٧ .

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦١ .

(٣)سورة القصص آية ٦٢-٦٦ .

(٤)سورة الصافات آية ٢٤ .

(٥)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٩ .

(٦)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٩ حديث ٦٥٣٨ ورواه مسلم في صحية كتاب المنافقين حديث ٢٨٠٥ .

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ :« **يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له : ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع[1] فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا قال : فيقول: لا فيقول له : « اليوم أنساك كما نسيتني[2] »** .

قال القرطبي : « فإن قيل : فهل يلقى الكافر ربه ويسأله؟ قلنا نعم بدليل ما ذكرنا ه وقد قال تعالى ﴿ **فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ** ﴾[3] في أحد التأويلين وقال ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ** [4]﴾ وقال ﴿أولئك يعرضون على ربهم ﴾[5] وقال ﴿ **وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا** [6]﴾ الآيتين . وقال :﴿إنا إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾[7] وقال ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (١٣)** [8][9]﴾ .

---

(١)ترأس وتربع : أي ترأس على قومك بأن يكون رئيساً عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنايم والكسب وكانت عادتهم أن أمواءهم كانوا يأخذون من من الغنائم الربع ويسمونه المرباع . انظر التذكرة للقرطبي ص٣٤٢ .

(٢)رواه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة باب ٦ حديث ٢٤٢٨ وقال هذا حديث صحيح غريب ومعنى قوله اليوم أنساك يقول اليوم أتركك في العذاب هكذا فسروه .وقال أبو عيسى : وقد فسره بعض أهل العلم هذه الآية (فاليوم ننساهم﴾ قالوا إنما معناه اليوم نتركهم في العذاب .

(٣)سورة الأعراف آية ٦ .

(٤)سورة الأنعام آية ٣٠ .

(٥)سورة هود آية ٦ .

(٦)سورة الكهف آية ٧ .

(٧)سورة الغاشية آية ٢٥-٢٦ .

(٨)سورة العنكبوت آية ١٢-١٣ .

(٩)التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٤٣ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قالوا يا رسول الله هل نـرى ربنـا يـوم القيامـة؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا : لا. قال : فهل تضارون في رؤية القمـر ليلـة البـدر لـيس في سـحابة؟ قـالوا : لا. قـال : فـو الذينفسي بيد لا تضارون في روية ربكم إلا كما تضارون في رويـة أحـدهما قـال : فيلقى العبد فيقول : أي فل [1] ،ألم أكرمك ، وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول : بلى . فيقول أفظننت أنك ملاقي؟ فيقـول : لا فيقول : فاني أنساك كما نسيتني ، ثـم يلقـى الثـاني ، فيقـول : أى فـل : ألم أكرمـك وأسودك وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل ؟ وأذرك ترأس وتربـع ؟ فيقـول : بلى أى رب فيقول : أفظننت أنك ملاقي؟فيقـول : لا .فيقـول : فـإنى أنسـاك كـما نسيتنى ، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول : يارب آمنـت بـك وبكتابـك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير مااستطاع ، فيقول:هاهنا إذا » . ثم يقال له : الآن نبعث شاهدناعليك ويتفكر فى نفسه مـن ذا الـذى يشـهد عـلي ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخـذه ولحمـه وعظمـه : انطقـى ، فتنطـق فخـذه ولحمـه وعظامه بعمله . وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق الذى يسخط الله عليه [2] .

---

(١)فل : معناه يافلان وهو ترخيم على خلاف القياس . وقيل هى لغة بمعنى فلان . حكاهـا القـاضى . انظـر صحيح مسلم كتاب الزهد حديث ٢٩٦٨ص٢٢٧٩تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى – وانظر جـامع الأصـول فى أحاديث الرسول ١٠ / ٥٤٤٠

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد حديث ٢٩٦٨ .

فالكفار حالهم حال غيرهم من المخلوقات فى السؤال والحساب بكيفية تختلف عن غيرهم من المؤمنين من حيث النظر لهم وكلامهم ، فليس النظر والكلام الى المرضي عنهم مثل النظر والكلام الى المغضوب عليهم . فهو يسألهم ـ ويحاسبهم ويقررهم بأعمالهم الباطلة ويفضحهم أمام الجمع على كفرهم وضلالهم ويخزهم عل سوء صنيعهم في الحياة الدنيا ، وهذا من كمال عدل الله تعالى . وسنرى ان شاء الله تعالى في المشاهد ليوم القيامة تقريرهم بأعمالهم والاشهاد عليهم وخزيهم وندامتهم وسوء منقلبهم ومثواهم ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾ [1] .



(١)سورة الفرقان آيه ٢٧-٢٩ .

المبحث السادس
حال المؤمنين فى المحاسبة

المؤمنون يتفاوتون فى الإيمان بالزيادة والنقص وكل سؤاله على حساب مافرط فى حياته الدنيا وما ارتكب من المعاصى ومات ولم يتب منها ، وهناك من الكرامات فى الموقف لأهل التقى الذين برزوا بالأعمال المشرفة والسعي المحمود ، ولاتزول قدم عبد حتى يسأل ويقرر بما كان منه .

المؤمنون لهم كيفيات تختلف عن غير المؤمنين فى النظر والكلام والسؤال والتقرير فإذا كان للكفار الغضب والسخط ، فللمؤمنين الرضا والعفو .

قال السفارينى : « كيفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيت ومنه الفضل والصفح ومتولى ذلك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين[1] » .

عن أبى برزة الأسلمى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ؟ وعن عمله ماعمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه [2]؟** » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه؟وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وماذا عمل فيما علم ؟ [3]** » .

(١)لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٧٣

(٢)رواه الترمذى صفة القيامة باب ١ حديث ٢٤١٧ وقال حسن صحيح . وقال عبدالقادر الأرناؤوط وهو كما قال . انظر جامع الأصول فى أحاديث الرسول ١٠ / ٤٣٦ رقم الحديث ٧٩٦٩

(٣)رواه الترمذى صفة القيامة باب ١ حديث ٢٤١٦ وهو حديث حسن يشهد له الذى قبله . وانظر جامع الأصول فى أحاديث الرسول ١٠ / ٤٣٦.

قال المباركفوري : قوله (حتى يسأل عن خمس) قال الطيبي رحمه الله أنّثه بتأويل الخصال (عن عمره) بضمتين ويسكن الميم أي عن مدة أجله (فيما أفناه) أي صرفه (وعن شبابه) أي قوته فى وسط عمره (فيما أبلاه) أي ضيعه ، وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة فى طرفيه من حال صغره وكبره . وقال الطيبي : فإن قلت هذا داخل فى الخصلة الأولى فما وجهه ؟ قلت المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذى يتمكن منه على أقوى العبادة (وعن ماله من أين اكتسبه) أي أمن حرام أو حلال ؟ وفيما أنفقة) أي طاعة أو معصية (وماذا عمل فيما علم) .

قال القاري : لعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب. وقال الطيبي : إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل وعن عمله ماذا عمل به . لأنها أهم شيء وأولاه وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لايعتمد به لولا العمل . »انتهى .(وعن جسمه فيما أبلاه) كأنه من بلي الثوب وأبلاه كان الشباب في قوته كالثوب الجديد فلما ولى الشباب وضعف البدن فكأنما بلي)) . [1]

تحت هذه الأمور المذكورة فى الحديث يكون السؤال والحساب ويكون النجاح أو الخسارة يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « حاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخفف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا . ويروى عن ميمون بن مهران قال : لايكون العبد تقياً حتى يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه [2] . »

---

(١)انظر تحفة الأحوذى ٧/ ١٠٠ ،١٠١ ورقمه ٧٩٧٠

(٢)انظر سنن الترمذى ٤/ ٦٣٨ كتاب القيامة .

والحساب أمر لازم لابد منه على كل مخلوق ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ فمن خفف من أثقال الدنيا مالها ومعاصيها خفف حسابه ، ومن تحمل من أثقالها لايجاوز موقفه يوم القيامة حتى تعرض عليه أعماله ويحاسب عليها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام** [1] »

فى هذا الحديث بيان تأخر أغنياء المؤمنين فى دخول الجنة عن فقرائهم بسبب محاسبتهم عن الأموال التى اكتسبوها فى الحياة الدنيا ، وإن علت درجاتهم وزاد فضلهم وتفوقوا على غيرهم من الفقراء إلا أن العرض والسؤال والمحاسبة فيما كثر ليس مثل ماقل . فالمسلم يجب أن يكون اجتهاده وجلّ وقته فيما لاحساب فيه من الطاعات ويحذر حطام الدنيا الذى يلهي وقد يكون سببا في الهلاك حيث لايسلم من الوقوع فى فخاخ ذلك إلا من سلمه الله تعالى ، وقليل من يأخذه من حله وينفقه فى وجهه وعن عسيب [2] رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بى فدعانى إليه فخرجت ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط

(١)رواه الامام أحمد فى المسند ١٦/ ٩٢ رقم الحديث ٧٩٣٣ وفى مواضع أخر . وقال أحمد شاكر إسناده صحيح ، وانظر صحيح الجامع الصغير ٦/ ٣٣٨ . وتخريج المشكاة ٥٢٤٣، ورواه الترمذي فى كتاب الزهد باب ٣٧ حديث ٢٣٥٤ وزاد « بنصف يوم » وقال حديث صحيح .

(٢)أبو عسيب : اسمه : أحمر أبو عسيب مولى النبي ﷺ روى عنه أبو عمران الجونى وحازم بن القاسم ، مختلف فى اسمه روى يزيد بن هارون عن أبي نصيرة مسلم بن عبيد عن أبى عسيب مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنظر أسد الغابة ١/ ٦٨ ، ٥/ ٢١٤ .

« **أطعمنا بسراً** » (١) فجاء بعذق (٢) فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال « **لتسألن عن هذا يوم القيامة** » فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يارسول الله أإنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « **نعم . إلا من ثلاث : خرقة كف بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته أوجحراً يتدخل فيه من الحر (٣)والقر** » (٤) **فهذه أكلة من تمر وشربة من ماء وضيافة من رجل ، سيسأل الله عنها يوم القيامة والمخاطبون الذين أكلوا هم من خير من قلت الأرض من الناس – صديق وشهيد وصحابيان. فكيف بمن غيرهم من الناس ؟ ثم ليس للإنسان في الدنيا إلا مايستر به عورته من الملبس ، أو يأكله من الطعام عن الجوع أو يسكنه ليمنعه من الحر والبرد وهذا نعيم سيسأل عنه وهل أدى شكر ذلك أم لا ؟** » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن أول مايسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد (٥) » .

وعن عبدالله بن الزبير بن العوام عن أبيه قال : « لما نزلت ﴿ **ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ قال الزبير : يارسول الله فأي النعم نسأل عنه ، وإنما هما الأسودان

---

(١)البسر : التمر قبل أن يرطب لغضاضته . واحدته بسرة . انظر لسان العرب ٤/ ٥٨ مادة « بسر »

(٢)العذق : بالفتح النخلة وبالكسر : العرجون بما فيه الشماريخ ويجمع على عذاق – انظرلسان العرب ١٠ / ٢٣٨ . والانصارى هو مالك بن التيهان كما سيأتى قريبا .

(٣)القر : البرد عامة بالضم . انظر لسان العرب مادة « قرر » ٥/ ٨٢ .

(٤)رواه الامام أحمد فى المسند ٥/ ٨١ . وقال القرطبى سنده جيد – انظر التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢٩٣ . وانظر مجمع الزوائد للهيتمي ١٠ / ٢٦٧ قال رجاله ثقات .

(٥)رواه الترمذى فى كتاب التفسير سورة « التكاثر ، حديث ٣٣٥٨ وقال : هذا حديث غريب . وقال الألبانى فى مشكاة المصابيح ٢/ ٢٥٦ ورقمه ٥١٩٦ إسناده صحيح

التمر والماء . قال : « أما إنه سيكون [1] » إذا كان هذا أبسط الأشياء في نظر الانسان فى الدنيا وسيسأل عنه يوم القيامة فكيف بما هو أعظم من ذلك من زخارف الدنيا وما يحصل فيه من التبذير والإسراف ؟ إن الأمر يوم القيامة أعظم مما يتصوره الانسان . والرسول ﷺ وصاحباه أخرجهم الجوع وليس من أتى بعدهم أفضل منهم لما كان عليهم من صبابة العيش ورغده ولكن رجال طلقوا الدنيا وخففوا ثقل الحساب عن عواتقهم واختاروا الباقى على الفانى وكذا سلف الأمة الذين حسبوا لكل شيء حسابه وعلموا أن لكل شيء حساباً يوم العرض على الواحد الوهاب ، فهم رجال ونساء على الحد سواء .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها أحد[2] فأتاه أبو بكر فقال : **ما جاء بك يا أبا بكر** ؟ فقال : خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر فى وجهه والتسليم عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ماجاء بك ياعمر؟ قال : الجوع يا رسول الله . قال : فقال رسول الله ﷺ : **وأنا قد وجدت بعض ذلك** فانطلقوا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان [3] الأنصاري وكان رجلا كثير

(١)رواه الترمذي في كتاب التفسير » سورة التكاثر حديث ٣٣٥٦ وقال حديث حسن .

(٢)فى رواية مسلم عن أبي هريرة » خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة صحيح مسلم كتاب الأشربة ١٤٠ حديث ٢٠٣٨ والظاهرأن ذلك فى النهار لقول أبى بكر رضي الله عنه « وأنظر فى وجهه والتسليم عليه » .

(٣)هو : مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو – وهو النبيت – بن مالك بن الأوس الانصارى الأوسي وقيل انه بلويّ من بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وحلفه فى بنى عبد الأشهل .وكان أحد السته الذين لقوا رسول الله ﷺ أول مالقيه الانصار . وكان مالك نقيب بنى عبد الاشهل هو و أسيد بن حضير وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ انظر أسد الغابة ٤/ ٢٣٨- ٢٣٩ .

النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لأمرأته أين صاحبك ؟ فقالت : انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعبها [١] فوضعها ثم جاء يلتزم النبي ﷺ ويفديه بأبيه وأمه ، ثم انطلق بهم إلى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو[٢] فوضعه فقال النبي ﷺ : « **أفلا تنقيت لنا من رطبه؟** فقال يارسول الله إنى أردت أن تختاروا ، أو قال تخيّروا من رطبه وبسره ، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء ، فقال رسول الله ﷺ : **هذا والذى نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة : ظل بارد ورطب طيب ، وماء بارد** فانطلق أبو الهيثم ليضع لهم طعاماً ، فقال النبي ﷺ : « **لاتذبحن ذات در** » ، قال : فذبح لهم عناقاً أو جدياً [٣] فآتاهم بها فأكلوا . فقل النبي ﷺ : **هل لك خادم** ؟ قال : لا. قال : **فإذا أتانا سبي فائتنا** فأتي النبي ﷺ : برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ : « **اختر منها** » فقال : يانبي الله اختر لى . فقال النبي ﷺ : « **ان المستشار مؤتمن** ، خذ هذا فإنى رأيته يصلى واستوص به معروفاً ، فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ . فقالت امرأته : ما أنت ببالغ ماقال فيه النبي ﷺ إلا أن تعتقه ، قال : فهو عتيق . فقال النبي ﷺ : **إن الله لم يبعث نبياً**

(١)يزعبها : يتدافع بها ويحملها لثقلها انظر النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٠٢ .

(٢)القنو : العذق بما فيه من الرطب انظر المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٤ وقد سبق تعريفه سابقا .

(٣)العناق : هى الأنثى من أولاد المعز مالم يتم له سنة . غريب الحديث ٣/ ٣١١، الجدي : الذكر من أولاد المعز . المعجم الوسيط ١/ ١١٢ .

ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لاتألوه خبالاً [١] ومن يوق بطانة السوء فقد وقي » [٢] .

قال القاضي عياض فى السؤال هذا عن النعيم : « المراد السؤال عن القيام بحق شكره والذى نعتقده أن السؤال هاهنا سؤال تعداد النعم وأعلام بالامتنان بها وإظهار الكرامة بإسباغها لاسؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة » [٣].ا . هـ .

وأول مايحاسب به العبد من العبادات الصلاة : الصلاة هي الصلة بين العبد وبين ربه . وفى اللغة : « الدعاء »[٤] وهى الركن الثاني من أركان الاسلام وهى الفارق بين المسلم والكافر ، فلعظم شأنها وأهميتها كانت أول العبادات يحاسب العبد عليه فهى مفتاح السعادة لمن أداها تأدية صحيحة يتقبلها الله منه عند بدء الحساب .

فهذا علامة السعادة . ومن لم يتقبلها الله منه فهو الخاسر ، وسائر عمله لايقبل ، ويعلم أنه من الخاسرين .

---

(١)الخبال فى الأصل : الفساد ويكون فى الأفعال والأبدان والعقول . انظر غريب الحديث ٢/ ٨

(٢)رواه الترمذى فى سننه كتاب الزهد باب ٣٩ حديث ٢٣٦٩ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه مسلم فى صحيحه نحو كتاب الأشربة حديث ٢٠٣٨

(٣)تحفه الأحوذى ٧/ ٣٧

(٤)لسان العرب مادة « صلا » ١٤/ ٤٦٦ .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر فان انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل : « انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فيكمل[1] بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك [2]»**[3].

(١)قال الشارح (أحمد محمد شاكر) » قال ابن الملك : أي بالتطوع وتأنيث الضمير باعتبار النافلة . وقال الطيبى : الظاهر نصب فيكمل على أنه من كلام الله تعالى جوابا للاستفهام ويؤيده رواية أحمد : فكملو بها فريضته « أقول » أحمد شاكر » ويجوز رفع فيكمل على الاستئناف ولذلك ضبطناه بالوجهين . انظر سنن الترمذى تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ٢/ ٢٦٠ .

(٢)نقل الشارح « أحمد محمد شاكر » عن العراقى فى شرح الترمذى قال : يحتمل أن يراد به ما انتقص من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والاذكار والأدعية وأنه يحصل له الثواب ذلك فى الفريضة ، وإن لم يفعله فيها ، وأنما فعله فى التطوع ، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضا من فروضها وشروطها . ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسا فلم يصله ، فيعوض عنه من التطوع والله تعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضا عن الصلوات المفروضة وقال القاضى أبو بكر بن العربى فى العارضة : « يحتمل أن يكون يكمل له مانقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع . ويحتمل مانقصه من الخشوع . والأول – عندى أظهر ، لقوله : ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال . وليس فى الزكاة إلا فرض أو فضل ، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها كذلك الصلاة ، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ ، وعزمه أعم وأتم » وهذا هو الظاهر والصواب .

(٣)رواه الترمذى فى سننه كتاب الصلة باب ٣٠٥ حديث ٤١٣ ، ورواه النسائى كتاب الصلاة باب المحاسبه على الصلاه ١/ ٢٣٢ ، وروى الإمام أحمد فى المسند نحوه ٢/ ٢٩٠ ، ٤٢٥ ، وروى الدرامي نحوه عن تميم الداري فى كتاب الصلاة ١/ ٣١٣ باب أول مايحاسب به العبد ، وروى ابن ماجه نحوه من حديث أبى هريرة ، وحديث تميم الداري فى كتاب الإقامة ١/ ٤٥٨ .

ورواه أبو داود فى كتاب الصلاةباب « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » حديث ٨٦٤ ، ورواه مالك فى الموطأ فى كتاب قصر الصلاة فى السفر حديث ٨٩ . والحديث صحيح . قاله الألباني . انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٨٤ حديث ٢٠١٦ – ٨٨٢ .

وأول مايقضى فى الحقوق الدماء : فلعظم حقوق العباد وخاصة الدماء كان أول مايقضى الله سبحانه بين عباده فى ذلك لعظم أمره لأنه يقع فى النفس التى هى أغلى شئ عند الانسان فكل شئ له عوض إلا الدم فكان البدء منه سبحانه فى حقوق عباده والمحاسبة عليها فى الدماء .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **أول مايقضى بين الناس فى الدماء** »[1] قال الله تعالى ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ** [2]﴾ .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن[3] للخصومة يوم القيامة » قال قيس [4] : وفيهم نزلت ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ**

---

(١)رواه الإمام البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٨ حديث ٦٥٣٣ ، ورواه الترمذي فى كتاب الديات باب ٨ حديث ١٣٩٦ ، وحديث ١٣٩٧

(٢)سورة الحج آية ١٩ – ٢٢ .

(٣)يدي الرحمن : لله يدان بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة . قال أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى » فإن سئلنا أتقولون إن لله يدين ؟ قيل : نقول ذلك وقد دل عليه قوله ﷻ ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ ١٠ الفتح وقوله ﷻ ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ** ﴾ ٧٥ ص . انظر الإبانة عن أصول الديانه ص ١٣١ . والآيات فى هذا كثيرة . وفى الحديث قال ﷺ « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين . .** » الحديث. انظر صحيح مسلم كتاب الاماره حديث ١٨٢٧ . وفيه أحاديث كثيرة أيضا ولكن ليعلم أهل الزيغ والضلال من الفرق بهذا وغيره فليرجعوا الى الحق والصواب .

(٤)قيس بن عباد بضم المهملة وتخفيف الموحدة الضّبعى بضم المعجمة وفتح الموحدة أبو عبد الله البصرى ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عده فى الصحابه التقريب ٢ / ١٢٩ .

ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعه وعتبة بن ربيعه والوليد بن عتبة [1] » .

فاذا انهيت القضايا بين الناس فى الدماء كانت بقية القضايا الأخرى على مراد الله ﷻ وما أسهل ذلك اليوم وأيسره على المؤمنين وما أشده وأصعبه على الكافرين . قال الله تعالى ﴿ **وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** [2] ﴾ وقال تعالى ﴿ **وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا** [3] ﴾ . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أي شديداً صعباً لأنه يوم عدل وقضاء فصل ، كما قال تعالى ﴿ **فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ** ﴾ [4] فهذا حال الكافرين فى هذا اليوم ، وأما المؤمنون فكما قال تعالى : ﴿ **لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ** [5] ﴾ . [6]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله ﷺ : « **يوم القيامة على المؤمنين كقدر مابين الظهر والعصر** [7] » .

وما من قضية من القضايا ولاحق من الحقوق سواء مايتعلق بالله تعالى من العبادات أو مايتعلق بعباده من المعاملات إلا ويحكم فيها الحكيم العدل الذى لاتخفى عليه خافية ولا يغيب عنه صغيرة ولا كبيرة « **ياعبادي إنما هي أعمالكم**

(١)صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الحج باب ٣ حديث ٤٧٤٤ .

(٢)سورة الحج آية ٤٧

(٣)سورة الفرقان آية ٢٦

(٤)سورة المدثر آية ٩ – ١٠

(٥)سورة الأنبياء آية ١٠٣ .

(٦)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٠٦

(٧)صحيح الجامع الصغيروزيادته ٦/ ٣٦٦ حديث ٨٠٤٥ – ٣٧٣٦ وصححه الألباني وقال رواه الحاكم وهناك روايات أخرى تشهد لهذا « انظر الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى ٨/ ٢٨٠ سورة المعارج » .

أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه [1] » وننبه هنا أن الجن يدخلون فى الخطاب سواء للمؤمنين أو الكافرين حيث أنهم مكلفون وقد أبلغوا رسالات الله تعالى ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر . قال الله تعالى ﴿ **يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ** [2] ﴾ وقال الله تعالى حكاية عنهم ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا** ﴾[3] فهم يحاسبون ويجرى عليهم مايجرى على غيرهم من الإنس لعموم قوله تعالى ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ** ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ **إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم** ﴾[5] ولقوله تعالى ﴿ **وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ** ﴾ [6]

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة والآداب حديث ٢٥٧٧ وهوقطعة من حديث طويل رواه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « **ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستشهدونى أهدكم . ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم يعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم . يعبادي أنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم . ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكي شيئا . ياعبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد مانقص ذلك فى ملكي شيئا . ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** » .

(٢)سورة الانعام آية ١٣٠ .

(٣)سورة الجن آية ١٤ – ١٥ .

(٤)سورة الحجر آية ٩٢

(٥)سورة الغاشية آية ٢٥ – ٢٦

(٦)سورة الانعام اية ١٣٢

وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا [1]﴾ .

وقال ابن القيم : « وقد اتفق المسلمون على أن كفار الجن فى النار وأما حكم مؤمنيهم فى الدار الآخرة فجمهور السلف والخلف على أنهم فى الجنة وترجم على ذلك البخاري فى صحيحه [2] فقال « باب ثواب الجن وعقابهم » وقد ذكر رحمه الله أدلة كثيرة على ذلك [3] » .



(١)سورة الكهف آية ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢)فتح البارى ٦/ ٣٤٣ . كتاب بدء الخلق باب ١٢

(٣)طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٤١٧ ، ٤١٨

المبحث السابع
تسلم كتاب الاعمال

قال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١)

لم يترك ﷻ عباده سدى بل وكل بهم من يكتب مايكون منهم من خير وشر (عن اليمين وعن الشمال قعيده مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٢) فاذا كان يوم القيامة اخرج له ذلك الكتاب الذى جمع ماكان منه فى حياته الدنيا .

قال معمر : « وتلا الحسن البصرى (عن اليمين وعن الشمال مقيد) يابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك والاخر عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ماشئت اقلل واكثر حتى اذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا « اقرأكتابك »فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك »(٣)

قال قتادة : « سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا » (٤)

روى عن ابن أبى الدنيا عن ابن المبارك انه قال : (٥)

---

(١)سورة من سراء ١٣-١٤

(٢)سورة ق آيه ١٧-١٨

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٧

(٤)تفسير البغوى ٣/ ١٠٨

(٥)النهاية فى الفتن والملاحم ٢/ ٢٣٢

وطارت الصحف فى الايدى منشرة ... فيها السرائر والأبصار تطلع
فكيف سهوك والانباء واقعة ... عما قليل ولاتدرى بما يقع
أفى الجنان ونور لا انقطاع له ... أم الجحيم فلا يبقى ولا يدع
تهوى بساكنها طورا وترفعهم ... إذا رجو مخرجاً من عمقها قمعوا
قال البكاء فلم يرحم تضرعهم ... فيها ولا رقةً تغنى ولاجزع
لينتفع العلم قبل الموت عامله ... قد سأل قوم بها الرجعى فما رجعوا

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[1] .

وهذا منتهى السعادة والفوز حيث كان النجاح الذى اعلن عنه أمام الملأ ، وسلمت شهادته باليمين ليهنأ ويغبط من ذلك الجمع وحصول الرضا من الرب . وما أعظمها وأحلاها من ساعة ، فهو يعرض شهادته على أهل الموقف ويقول كما أخبر الله تعالى عنه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[2] كان موقنا بلقاء الله والسؤال والحساب فجد واجتهد وصبر على مشاق الدنيا وشق مسيرته على صراط الله المستقيم مستمسكا بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ عاضاً عليهما عاملاً بما فيهما وحتى قدم على ربه فرضي عنه وأرضاه . فينصرف من الموقف إلى أهله فى الجنة .

قال الله تعالى ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ[3] فَتِيلًا[4]﴾ هذا الكتاب محقق ومخرج لا ملاحظة ولاتعقيب لأحد عليه

(١)سورة الانشقاق آية ٧-٩
(٢)سورة الحاقه آيه ١٩ – ٢٠
(٣) الإسراء : ٧١ .
(٤)الفتيل : الخيط الذى فى شق النواة . انظر المعجم الوسيط ٢/ ٦٧٢

كل مافيه حق . فأولئك الذين تسلموا كتبهم بأيمانهم أخبر الله عنهم بقوله ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ [1]﴾ . ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا [2]﴾ على ذلك الصنيع الذى كان منهم فى حياتهم الدنيا .

وأما أهل الشقاوة أصحاب الشمال ، فكما أخبر الله تعالى عنهم ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا [3]﴾ فيعطى الشقي كتابه بشماله كما أخبر الله بذلك ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾[4] يندم المسكين ويتحسر ويود أنه لم يعط كتابه ولم ير حسابه ويتمنى الموت الذى يبغضه كل مخلوق على هذه النتيجة الفاضحة التى يرى وراءها العذاب الأليم ، فهو يتكلم بلسان حاله كما أخبر الله عنه ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ[5] ﴾ لا مال ولا جاه نفعه .

وصفة أخذ الكتاب مشينة فاضحة فلم تكن بالشمال فحسب بل بالشمال ومن وراء ظهره ليكون فى ذلك خزيه جزاء على قدومه علم معاص الله تعالى فى الحياة الدنيا وعدم الانقياد والطاعة . ثم الجزاء بعد ذلك .

قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [6].

---

(١)سورة الحاقة آيه ٢١ – ٢٣

(٢)سورة النبأ آية ٣٦ .

(٣)سورة الاسراء آية ٧٢

(٤)سورة الحاقة آية ٢٥ –٢٧ .

(٥)سورة الحاقة آية ٢٨ – ٢٩

(٦)سورة الانشقاق آيه ١٠ – ١١

قال ابن كثير رحمه الله تعالى « أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها [1] » . فهو ينادى بالخسارة والهلاك لما قد حل به ورآه بأم عينه وانتهى الأمر بما فيه ، فيسحب إلى النار وبئس القرار . لماذا هذا ؟

قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ [2] ﴾ ليس له هم فى الدنيا الا اتباع هواه وإشباع رغباته . وكان يظن أنه لن يبعث بعد موته ولن يرجع إلى الله ويحاسبه على ماكان منه فما كان يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً حتى أدركته المنيه وحصلت به البليّة . وأما محاسبة المؤمن كما أخبر الله بذلك ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ فهى محاسبة تقرير من الله للعبد بذنوبه حيث تعرض عليه ، ويرى كل ذلك ويقر بها ، ليس محاسبة مناقشة واستقصاء لأن من نوقش الحساب عذب كما جاءت بذلك الأحاديث .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ليس أحد يحاسب إلا هلك** » قالت: قلت يارسول الله جعلنى الله فداءك . أليس الله يقول عز وجل ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ . قال « **ذلك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك** [3] » . وعنها رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ومن حوسب يوم القيامة عذب** » فقلت أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ ؟ فقال « **ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب** [4] » .

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٧٠

(٢)سورة الانشقاق آية ١٣ – ١٤

(٣)رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الانشقاق حديث ٤٩٣٩ وروى الامام أحمد فى المسند نحوه ٦/ ٢٠٦ وروى مسلم نحوه كتاب الجنه حديث ٢٨٧٦

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٧٦ وروى الترمذى نحوه فى كتاب– التفسير سورة الانشقاق حديث ٣٣٣٧ ورواه الامام أحمد فى المسند ٦/ ٤٧ ، ٩١ ، ١٢٧ .

وقد وجه العلماء - رحمهم الله تعالى - هذه الأحاديث ببيان معناه مما لايجعل لأحد شك بأن من يأخذ كتابه بيمينه لا يحاسب .

قال القرطبي في المفهم « قوله (حوسب) أي حساب استقصاء . وقوله (عذّب) أي فى النار جزاء على السيئات التى أظهرها حسابه . وقوله (هلك) أي بالعذاب فى النار . قال : « وتمسكت عائشة بظاهر لفظ الحساب لأنه يتناول القليل والكثير» وقال : « معنى قوله (إنما ذلك العرض) أن الحساب المذكور فى الآية أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه فى سترها عليه فى الدنيا وفى عفوه عنها فى الآخرة . » .

وقال القاضي عياض : « قوله عذّب له معنيان :

أحدهما : أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ماسلف والتوبيخ تعذيب .

الثانى : أنه يفضى إلى استحقاق العذاب إذا لاحسة للعبد إلا من عند الله لإقداره عليها وتفضله عليه بها وهدايته لها ولأن الخالص لوجهه قليل ويؤيد هذا الثانى قوله فى الرواية الأخرى « هلك »)) .

قال النووي : التأويل الثانى هو الصحيح لأن التقصير غالب على الناس فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك .

وقال غيره : وجه المعارضة أن لفظ الحديث عام فى تعذيب كل من حوسب ولفظ الآية دال على أن بعضهم لايعذب [1] .

---

(١)انظر جميع هذه الأقوال فى فتح البارى ١١/ ٤٠٢

طريق الجمع : أن المراد بالحساب فى الآية العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها فيعرف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنه)) . والمراد فى الأحاديث هو المناقشة وأما الحساب اليسير فيختلف وهو الذى لايعذب صاحبه بل تعرض عليه سيئاته ويعرّف بها ثم يتجاوز عنها .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : « اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير؟قال : « **أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك** »[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ فيقول أي رب أعرف . قال : « فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم . فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله** [2] » .

وقال القرطبى : بعد أن تكلم فى حساب العباد « وأما ماكان بينه وبين العباد – يعنى العبد – فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات [3] » .

(١)رواه الامام أحمد فى المسند ٦/ ٤٨ . وقال ابن كثير صحيح على شرط مسلم انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ٧٧٩

(٢)تقدم تخريج هذا الحديث فى أول الفصل الخامس « الحساب »

(٣)التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣١٨

أى لايترك الله سبحانه شيئا من حق عباده ، وإن عفى وسامح فيما كان من حقه ﷻ ما لم يكن شركاً به ﷻ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما المفلس** [1] **؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع . فقال : « **إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار** [2] » .

فعلى هذا الحديث يكون الحساب بين الناس فى جميع الحقوق من الدماء والأموال والأعراض . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « **الدواوين ثلاثة** [3]**: ديوان لايغفره الله : الاشراك بالله . يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ** [4]﴾ وديوان لايتركه الله ظلم العباد فيما بينهم حتى يقتص بعضهم من بعض .

---

(١)إن المفلس من أمتى « معناه هذا حقيقة المفلس . أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلساً وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك فى حياته . وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور فى الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه . فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي فى النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه » انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد البقي ٤/ ١٩٩٧

(٢)رواه مسلم كتاب البر حديث ٢٥٨١ ورواه الترمذى فى كتاب القيامه باب ٢ حديث ٢٤١٨ وقال حسن صحيح وروى البخارى فى صحيحه نحوه فى كتاب الرقاق باب ٤٨ حديث ٦٥٣٤

(٣)الدواوين : يعنى صحائف الأعمال

(٤)سورة النساء آية ٤٨

وديوان لا يعبأ الله به ظلم العباد فيما بينهم وبين الله ، فذلك إلى الله إن شاء عذب وإن شاء تجاوز [1] عنه » .

هل المؤمن العاصى الذى زادت سيئاته على حسناته يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله ؟

الناس يوم القيامة فى تسلم الصحف على أمرين : إما باليمين وإما بالشمال فمن أخذ كتابه بيمينه فهو ناج من النار ، ومن أخذه بشماله فقد استوجب النار والذين يدخلون النار صنفان ، صنف مخلد فيها ، وصنف يعذب على قدر جرمه ثم يخرج ويدخل الجنة وهو من مات على التوحيد ولكن زادت سيئاته على حسناته .

قال السفارينى عند ذكر فوائد كيفية أخذ الصحف : « الفائدة الثانية : يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع أو يدخلها من صدره أو تلوى ، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه ، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه وقد جزم الماروى بأن المشهور أن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه ، ثم حكى قولاً بالوقوف قال : ولا قائل بأنه يأخذه بشماله .

(١)رواه الإمام أحمد المسند ٦/ ٢٤٠ بزيادة فى بعض ألفاظه وقد حسنه الألبانى لوجود شاهد له » عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « **الظلم ثلاثة فظلم لايتركه الله ، وظلم يغفر ، وظلم لا يغفر . فالشرك لا يغفره الله ، وأما الظلم الذى يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه ، وأما الظلم الذى لايترك فظلم العباد فيقتص الله بعضهم من بعض** » أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث ١٩٢٧ وانظر مشكاة المصابيح تحقيق الألبانى حديث ٥١٣٣ .

وقال يوسف بن عمر من المالكية : اختلف فى عصاة الموحدين ، فقيل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل بشمائلهم وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل يأخذونهم قبل الدخول فى النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها . والله أعلم [1]» .

فالذى يظهر والله أعلم أن المؤمن العاصى الذى زادت سيئاته على حسناته يأخذ كتابه بشماله لأنه استوجب النار بمعاصيه تلك وبعكسه المؤمن الذى زادت حسناته على سيئاته فإنه يأخذ كتابه بيمينه ، وفى ذلك إشعار بالنجاح والرسوب .



(١)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية فى عقيدة الفرقة المرضية ٢/ ١٨٣ . المكتب الاسلامى – بيروت

الفصل السادس

الميزان

من عدل الله ﷻ أن جعل فى يوم القيامة ميزاناً لوزن أعمال العباد ، ليوقف كل عبد على ماقدم فى حياته الدنيا من خير أو شر وذلك بوضع أعماله فى كفة الميزان .

قال تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ [(١)] ﴾ .

وسنرى فى هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الميزان وصفته .

المبحث الثاني : عدد الموازين

المبحث الثالث : الموزون .

المبحث الرابع : الحكمة فى وزن الأعمال .



(١)سورة الأنبياء آية ٤٧

المبحث الأول
تعريف الميزان وصفته

الميزان : أصله مِوْزان انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وجمعه موازين وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه موازين قال الله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾(١) قال شيخ الاسلام بن تيمية ﷺ تعالى « الميزان : هو مايوزن به الأعمال وهو غير العدل كمادل على ذلك الكتاب والسنة مثل قولة تعالى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾(٢) . ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾(٣) ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(٤) وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب (٥) » .

قال أبو اسحق الزجاج « أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال و أنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين (٦) » وأخرج اللالكائى في السنة عن سلمان : قال : يوضع الميزان وله

(١)لسان العرب مادة وزن ١٣/ ٤٤٦
(٢)سورة الأعراف آية ٨ . وسورة المؤمنون آية ١٠٢
(٣)سورة الأعراف آية ٩ . وسورة المؤمنون آية ١٠٣
(٤)سورة الأنبياء آية ٤٧
(٥)مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤/ ٣٠٢
(٦)فتح البارى ١٣/ ٥٣٨

كفتان لو وضع فى احدهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته [1] » . وعن سلمان الفارسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت . فتقول الملائكة : يارب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي . فتقول الملائكة: «سبحانك ماعبدناك حق عبادتك** [2] ». وكما جاء فى حديث صاحب البطاقة قال « فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة [3] » .



(١)تفسير المنار ٨/ ٣٢٢ . والمراد فى قوله (السموات والأرض ومن فيهن لوسعته)أي من المخلوقات

(٢)رواه الحاكم ٤/ ٥٨٦ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وصححه الألباني فى سلسلة الأحاديث الصحيحه ٢/ ٦٥٦ رقم ٩٤١

(٣)سيأتى قريبا فى المبحث الثالث « الوزن »

المبحث الثاني
عدد الموازين

قال تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾(1)

فى يوم القيامة ينصب الله الموازين العادلة لوزن أعمال العباد ، فلا تكون صغيرة ولاكبيرة إلا يؤتى بها وتوضع فى الميزان ليتحقق العبد من ذلك ويرى عدل الله تعالى فلا ظلم لأحد . وظاهر الآية على أن الموازين يوم القيامة متعددة وقد اختلف العلماء فى ذلك فمنهم من قال بتعددها ، ومنهم من قال إنه ميزان واحد .

فمن قال بتعددها أخذ بظاهر الآيات قوله تعلى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ . وقوله ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ (2)﴾ وقوله ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (3)﴾ وقوله ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (4)﴾

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه (5) » .

---

(1)سورة الأنبياء آية ٤٧

(2)سورة الأعراف آية ٨

(3)سورة المؤمنون آية ١٠٢ – ١٠٣

(4)سورة القارعة آية ٦ – ٩

(5)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٨٩

وقال الشوكاني : وظاهر جمع الموازين المضافة إلى العامل أن لكل واحد من العاملين موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله ، وقيل هو ميزان واحد عبّر عنه بلفظ الجمع كما يقال : خرج فلان إلى مكة على البغال [1] » .وقال ابن الجوزي : « فإن قيل : فإذا كان الميزان واحداً فما المعنى بذكر الموازين ؟ فالجواب : أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة سميت موازين [2] » .

والأحاديث الواردة فى ذكر الميزان لم نجد شيئا منها جاء بذكر الجمع بل كل ذلك بالمفرد . عن نواس بن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويخفض قوما آخرين** [3] » . أي فى وزن أعمال العباد فما كان ثقيلاً بالحسنات فهو الذي يكرمه الله ويرفع قدره ومن كان ثقيلاً بالسيئات فهو الذي يهان ويخفض ﴿ **وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ** [4] ﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **من احتبس فرساً فى سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريّه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامه** [5] » . فالرسول ﷺ فى حديث نواس بن سمعان الكلابى لم يقل الموازين بل قال : « إن الميزان » فهذا فيه دلالة على أن الميزان واحد .

---

(١)فتح القدير ٢/ ١٩١

(٢)زاد المسير فى علم التفسير ٥/ ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٣)كتاب السنة لأبى عاصم ٢/ ٣٦١ وهو حديث صحيح قاله الألباني

(٤)سورة الحج آية ١٨

(٥)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد باب ٤٥ حديث ٢٨٥٣ ، ورواه النسائي كتاب الخيل ٦/ ٢٢٥ ورواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ٣٧٤

وعن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال : سألت النبي ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة . فقال « **أنا فاعل** » . قال : قلت يارسول الله فأين أطلبك ؟ قال : « **اطلبنى أول ماتطلبنى على الصراط** » . قال : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال « **فاطلبنى عند الميزان** » . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « **فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاث المواطن** [1]» . وكذا فى هذا الحديث قال للصحابى اطلبني عند الميزان » ولم يقل الموازين . وبهذا نقول : إنه ميزان واحد توزن فيه أعمال العباد جميعا بطرق وكيفيات لا تخطر على العقول ولا تتصورها الأذهان من سرعتها ودقتها . فسبحان من بذلك عليم وهو على كل شئ قدير .



(١)رواه الترمذي فى كتاب القيامة باب ٩ حديث ٢٤٣٣ وقال حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه

المبحث الثالث

الموزون

قال الله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

تنصب الموازين يوم القيامة ويحقق بذلك عمل العبد فمن رجحت حسناته بسيئاته فقد فاز بالنعيم المقيم ، ومن رجحت سيئاته بحسناته فقد خسر نفسه بأيقاعها فى العذاب .

وقد اختلف العلماء فى كيفية الكائن فى الميزان فى ذلك اليوم على أقوال :

القول الأول : أن الذي يوزن الأعمال وإن كانت أعراضاً فان الله يقلبها أجساماً . عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . اقرأوا الزهراوين [2] البقرة وسورة آل عمران . فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان [3] أو كأنهما فرقان [4] من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة ، فان أخذها بركة ، وتركها**

(١)سورة الأعراف آية ٨-٩

(٢)الزهراوين : سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما . صحيح مسلم ١/ ٥٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

(٣)كأنهما غمامتان أو غيايتان : الغاية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها . غريب الحديث ٣/ ٤٠٣

(٤)فرقان : أى قطعتان . غريب الحديث ٣/ ٤٤٠

حسرة. **ولا يستطيعها البطلة [1]»** [2] وعن أبى الدرداء [3] أن النبي ﷺ قال : **« ماشيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وأن الله يبغض الفاحش البذئ »** [4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : **« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** [5] **»** .

وعن ابن مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ **« الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) مابين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها** [6] **»** .

---

(١)البطلة : السحرة . صحيح مسلم ١/ ٥٥٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

(٢)رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث ٨٠٤ ، ورواه الامام أحمد فى المسند ٤/ ١٨٣ ، ٥/ ٢٤٩

(٣)أبو الدرداء : عويمر أبو الدرداء مشهور بكنية وهو مختلف فى اسمه واسم أبيه فقيل اسم أبيه عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبدالله أو زيد وأبوه ابن قيس أنصاري خزرجى أسلم يوم بدر . الإصابة فى تمييز الصحابة ٧ / ١٨٢

(٤)رواه الترمذي فى كتاب البر والصلة باب ٦٢ حديث ٢٠٠٢ وقال حديث حسن صحيح وصححه الألبانى فى كتاب السنة لابن عاصم ٢/ ٣٦٣ حديث ٧٨٢ ، ٧٨٣

(٥)رواه البخاري فى صحيحه فى كتاب التوحيد باب ٥٨ حديث ٧٥٦٣ ورواه مسلم كتاب الذكر حديث ٢٦٩٤ ، والترمذى كتاب الدعوات باب ٦٠ حديث ٣٤٦٧ ، ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٢٣٢ ورواه ابن ماجه كتاب الأدب باب ٥٦ حديث ٣٨٠٦

(٦)رواه مسلم كتاب الطهارة حديث ٢٢٣

قال القاسمي : « فالأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصورة عرضية ، تبرز على هذا القول فى النشأة الآخرة بصورة جوهرية . مناسبة لها فى الحسن والقبح [1] » .

القول الثانى : ان الذى يوزن صحائف الأعمال .

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا [2] كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شئ ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول أفلك عذر ؟ فيقول لا يارب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة [3] فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات . فقال : « إنك لاتظلم » قال : فتوضع السجلات فى كفة ، فطاشت [4] السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ [5]** » .

---

(١)تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل ٧/ ١٠

(٢)السجل : الكتاب الكبير

(٣)البطاقة : رقعة صغيرة

(٤)طاشت : أى رفعت . انظر سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

(٥)رواه الترمذي كتاب الإيمان باب ١٧ حديث ٢٦٣٩ وقال حديث حسن غريب ورواه ابن ماجه كتاب الزهد باب ٣٥ حديث ٤٣٠٠ ورواه أحمد ٢ / ٢١٣ وقال أحمد محمد شاكر اسناد صحيح – انظر مسند أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر جزء ١١ حديث ٦٩٩٤ – ورواه الحاكم فى السمتدرك ١/ ٥٢٩ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

القول الثالث : إن الذي يوزن العامل نفسه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « **توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة ، فيوضع ما أحصي عليه فتمايل به الميزان ، قال : فيبعث به إلى النار . قال : فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول : لاتعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها « لا إله إلا الله » فتوضع مع الرجل فى كفة حتى تميل به الميزان** [1] »

وعن علي رضي الله عنه قال : أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشة [2] ساقية . فقال رسول الله ﷺ : **ماتضحكون ؟ لرجل عبدالله أثقل فى الميزان يوم القيامة من أحد** [3] » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة . وقال : اقرءوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ [4] وَزْنًا [5] ﴾ . هذه هى الكيفيات الواردة فى الوزن والأدلة على ذلك .

---

(١)رواه أحمد فى المسند ٢/ ٢٢١ وإسناد صحيح قاله أحمد محمد شاكر فى تحقيق المسند ١٢ / ٢٣ حديث ٧٠٦٦

(٢)حموشة ساقيه : يقال رجل حمش الساقين ، وأحمش الساقين : أى رقيقهما – النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٤٤٠

(٣)رواه أحمد فى المسند ١/ ١١٤ ، ٤٢٤ ، ٥/ ١٣١ وإسناده صحيح قاله أحمد محمد شاكر فى تحقيق المسند ٢/ ١٨٠ حديث ٩٢٠ وقال ابن الكثير تفرد به أحمد وإسناده جيد قوى – انظر النهاية فى الفتن والملاحم ٢/ ٢٢٥

(٤)سورة الكهف آيه ١٠٥ .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة ١٨ باب ٦ حديث ٤٧٢٩ ، ومسلم فى كتاب المنافقين . حديث ٢٧٨٥

ويتضح لنا أن كل صفة فى الوزن مما ذكرنا أدلتها صحيحة . ولا تعـارض فى ذلك فقد تحصل جميعا حسب مراد الله تعالى ، وزن العامل وعمله وصحف أعمالـه كما قرره العلماء ، وهناك أقـوال أخـرى فى كيفيـة الـوزن خـلاف ماذكرنـا ولكـن لايصح بذلك دليل . والله أعلم بالصواب .



المبحث الرابع

الحكمة فى وزن الأعمال

لاشك أن كل شيء قدره الله تعالى ومايحصل من العباد قد سجل فى لوح محفوظ وسبق فى علم الله تعالى ، وهو معلوم لديه دقه وجله ، ولكن من كمال عدله وعظم حكمته أن يبرز أعمال العباد يوم القيامة . لكلٍّ كتاب يقرأ ماسجل فيه من حسنات وسيئات وتوزن فى ميزان عدل ويرى ذلك بأم عينه وغيره يرون ، فيحصحص الحق ويبطل الباطل فتكون السعادة والسرور للطائعين الفائزين ، والحسرة والندامة للعصاة والكافرين ، فيغبط السعداء ، ويمقت الأشقياء . فبالحسنات تكون فى الجنة الدرجات ، وبالسيئات تكون فى النارالدركات ، كل على حسب ماكسب من الحسنات تكون درجته فى الجنة ، أو ماكسب من السيئات تكون دركته فى النار .

وذكر بعض العلماء شيئا من الحكمة فى وزن الأعمال فقال : [1] هى :

١ - امتحان الخلق بالإيمان بذلك فى الدنيا .

٢ - إظهار علامة السعادة والشقاوة فى الأخرى .

٣ - تعريف العباد مالهم من خير وشر .

٤ - إقامة الحجة عليهم .

٥ - الإعلام بأن الله عادل لا يظلم .

(١)الامام أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزي القرشى البغدادى (٥٠٨ – ٥٩٧) هـ

ونظير هذا أنه أثبت الأعمال فى كتاب واستنسخها من غير جواز النسيان عليه [1] » والمؤمنون لهم حسنات وسيئات فمن رجحت حسناته بسيئاته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته بحسناته ولو بسيئة واحدة استحق النار وهو تحت مشيئة ربه ﷻ وأما من تساوت حسناته وسيئاته قيل أنهم أصحاب الأعراف كما ذكر الله عنهم فى القرآن .

أما الكافرون فليس لهم أعمال صالحة تخرج لهم يوم القيامة لتوزن لأن الكفر عياذاً بالله تعالى ليس معه ثمة عمل صالح يقبل ، ولكنهم يتفاوتون فى الشر بكفرهم فى الحياة الدنيا ، فتأتى سيئاتهم وتوضع فى الميزان ليفضحوا بها فى الموقف ويعذبوا على قدرها فى النار .

قال الله تعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[2] قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ماعملوه من الخير والشر فأخبر أنه لايحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التى ظنوا أنها منجاة لهم شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعى ، أما الإخلاص فيها وأما المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل . فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حينئذ [3] » .



(١)زاد المسير فى علم التفسير ٣/ ١٧١

(٢)سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٠٢

الفصل السابع

الحوض

جعل الله ﷻ لكل نبي حوضاً يرده صالحو قومه ، وقد تميز حوض نبينا محمد ﷺ بميزات تدل على عظم ذلك الحوض وسنرى فى المباحث التالية صفة حوضه ﷺ ومن يرده ، وحوض غيره .

المبحث الأول : تعريف الحوض وصفته .

المبحث الثانى : من يرد الحوض ومن يطرد عنه وأن لكل نبى حوضاً .



المبحث الأول

تعريف الحوض وصفته

الحوض : مجتمع الماء ، معروف ، والجمع أحواض ، وحياض . وحوض الرسول ﷺ : « الذى يسقى منه أمته يوم القيامة [1] » .

والحوض ليس هو الكوثر الذى ذكره الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ نهر فى الجنة فيه من الخير الكثير والنعيم المقيم الذى أعطاه الله لرسوله محمد ﷺ ، والذى ذكره رسوله ﷺ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **بينما أنا أسير فى الجنة [2] إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف[3] . قلت ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طيبه أوطينه – مسك أذفر [4] – شك هدبة [5]** » . وفى رواية : قال رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « **بينا أنا أسير فى الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ . قلت للملك : ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله . قال ثم ضرب بيده إلى طينة فأستخرج مسكاً ثم رفعت لى سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً [6]** »

---

(١)لسان العرب مادة « حوض » ٧/ ١٤١

(٢)هذا كان ليلة عرج به ﷺ إلى ربه ﷻ عندما فرضت عليه الصلوات الخمس وأُري الجنة وأُري النار

(٣)حافتاه قباب الدر المجوف : القباب : البناء المستدير المقوس المجوف : انظر المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٩ . أي : النهر الذى أعطاه الله ﷻ للرسول محمد ﷺ فى الجنة شواطؤه من اللؤلؤ العظيم المستدير المقوس المجوف

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق ، باب ٥٣ حديث ٦٥٨١

(٥)قال ابن حجر : وقوله فى آخره« طيبّه أو طيّنه » شك هدبه هل هو بموحدة من الطيب أو بنون من الطين وأراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك فى روايته أنه بالنون وهو المعتمد . « فتح البارى ١١/ ٤٧٣ » وهدبة بضم أوله وسكون الدال بعدها موحدة ان خالد الأسود القيسي أبو خالد البصري ويقال له هداب بالتثقيل وفتح أوله . ثقة عابد – انظر تقريب التهذيب ٢/ ٣١٥

(٦)رواه الترمذى كتاب التفسير سورة الكوثر باب ٩٠ حديث ٣٣٦ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الكوثر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت** [1] **تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج** [2] » إن الحوض موجود فى أرض المحشر يمده الله عز وجل بالماء من نهر الكوثر الذى بالجنة ، ويرد الناس عليه فيشرب منه المؤمنون ويذاد عنه المحرفون المبدلون لدين الله تعالى .

عن ثوبان[3] رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم : قال : « **إنى** [4] **لبِعْقر حوض أذود الناس لأهل اليمن** [5] **أضرب بعصاي حتى يرفضّ عليهم** [6] » . فسئل عن عرضه فقال : « **من مقامى إلى عمان** [7] » وسئل عن شرابه فقال : « **أشد بياضاً من اللبن**

(١)الياقوت : حجر من الأحجار الكريمة وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ويتركب من أكسيد الألمنيوم ولونه فى الغالب شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة ويستعمل للزينة . واحدته أو القطعة منه ياقوته – انظر المعجم الوسيط ٢/ ١٠٦٥

(٢)رواه الترمذى كتاب التفسير سورة الكوثر باب ٩٠ حديث ٣٣٦١

(٣)ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ثوبان بن بجرد وقيل بن جحدر يكنى أبا عبدالله وقيل أبا عبدالرحمن والأول أصح وهو من حمير من اليمن وقيل هو من السراة موضع بين مكة واليمن وقيل هو من سعد العشيرة من مذبح أصابه سباء فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وقال له : « **إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم وإن شئت أن تكون منّا أهل البيت** » فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل معه سفراً و حضراً إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة وابتنى بها داراً وابتنى بمصر داراً وبحمص داراً وتوفى بها سنة أربع وخمسين وشهد فتح مصر – أنظر أسد الغابة ١/ ٢٩٦

(٤)لللبعقر حوضى : هو موقف الأبل من الحوض إذا وردته وقيل مؤخره

(٥)أذود الناس لأهل اليمن : معناه أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن وهذه كرامة لأهل اليمن فى تقديمهم فى الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنعيهم وتقدمهم فى الإسلام والأنصار من اليمن فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا فى الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه والمكروهات

(٦)يرفض عليهم : يسيل عليهم . قال أهل اللغة والغريب : وأصله من الدمع يقال ارفض الدمع إذا سال متفرقاً من رقم (٣) إلى نهاية (٥) انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٤/ ١٧٩٩

(٧)عمّان : هي بلدة بالبلقاء من الشام – انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد ٤/ ١٧٩٩

وأحلى من العسل يغت [١] فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق[٢]». وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله . ما آنية الحوض؟ قال : **والذى نفسى بيده لأنية أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها . ألا فى الليلة المظلمة [٣] المصحية . آنية [٤] الجنة . من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه . يشخب [٥] فيه ميزا بان [٦] من الجنة من شرب منه لم يظمأ . عرضه مثل طوله . مابين عمان إلى أيلة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل [٧] . »**

أردنا فى هذين الحديثين البيان أن حوض الرسول ﷺ يمد بالماء من نهر الكوثر الخاص بالرسول محمد ﷺ فى الجنة ، فهناك ميزا بان ينزلان من نهر الكوثر إلى الحوض بالمحشر يزودانه بالماء ليشرب منه من وفق لذلك ممن عمل صالحاً ثم اهتدى ، وسار على نهج كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ولم يرجع القهقرى .

---

(١)يغث فيه ميزابان : يمدانه : معناه : يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً . قالوا وأصله من اتباع الشىء الشىء وقيل يصبان فيه دائما صبا شديدا .انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ١٧٩٩ .

(٢)رواه مسلم كتاب الفضائل حديث ٢٣٠١ ، ورواه الامام أحمد فى المسند ٥/ ١٤٩

(٣)ألافى الليلة المظلمة : بتخفيض ألاء وهي التى للاستفتاح . وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر . والمراد بالمظلمة التى لا قمر فيها . مع أن النجوم طالعة . فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم – انظر صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٨

(٤)آنية الجنة : ضبطه بعضهم برفع آنية ، وبعضهم بنصبها . وهما صحيحان فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف . أي هي آنية الجنة ومن نصب فبإ ضمار أعني أو نحوه نفس المرجع السابق

(٥)يشخب : الخاء مضمومة ومفتوحة . والشخب السيلان وأصله ماخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة . نفس المرجع السابق

(٦)ميزابان : قال فى اللسان : وزب الشىء يزب وزوبا اذا سال . والميزاب : المثعب ، فارسى معرب . قال : وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز . والجمع مآزيب اذا همزت وميازيب اذا لم تهمز – لسان العرب مادة « وزب » ١ / ٧٩٦

(٧)رواه مسلم فى كتاب الفضائل حديث ٢٣٠١ ورواه الترمذى كتاب القيامة باب ١٥ حديث ٢٤٤٥.

وعن أنس رضي الله عنه قال : بينا [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا [2] إذ أغفى إغفاءة [3] ثم رفع رأسه مبتسماً . فقلنا : ماأضحكك يارسول الله : قال : **أنزلت علي آنفا** [4]**سورة** . « فقرأ» بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر[5][6] ؟ ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم .قال : **فإنه نهر وعدنيه ربى** عز وجل **عليه خير كثير . هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة . آنيته عدد النجوم فيختلج** [7] **العبد منهم . فأقول : رب إنه من أمتى . فيقول :** « **ماتدري ما أحدثت بعدك** [8] » وهذا الحديث قد يشعر أن الذى يرد عليه الناس هو الكوثر الذى فى الجنة مع أن الأمر ليس كذلك ، حيث الحوض الذى يرد عليه الناس هو فى أرض المحشر، وماؤه من الكوثر الذى فى الجنة ، والحوض يرد عليه البر والفاجر ، والجنة لا يصل إليها إلا البررة ، أما الفجرة فنهايتهم من فوق الصراط يتهافتون إلى النار .

والحوض عليه من الكؤوس أكثر من نجوم السماء يرد عليه المؤمنون فيشربون بكؤوسه من مائه الذى مثل اللبن وأحلى من العسل وأطيب من ريح المسك فلا يظمأون بعد ذلك .

---

(١)بينا : قال الجوهرى : بينا : فَعْلَى : أشبعت الفتحة فصارت ألفا . وأصله : بين قال : وبينما : بمعناه زيدت فيه ما تقول بينا نحن نرقبه أتانا . أى : أتانا بين أوقات رقبتنا إياه . ثم حذف المضاف الذى هو أوقات . قال وكان الأصمعي يخفض مابعد بينا إذا صلح فى موضعه بين ، وغيره يرفع مابعد بينا وبينما على الابتداء والخبر

(٢)بين أظهرنا : أى بيننا

(٣)أغفى إغفاءة : أي نام نومة

(٤)آنفا : أي قريبا

(٥)شانئك : الشانيء المبغض

(٦)الأبتر : هو المنقطع العقب . وقيل : المنقطع عن كل خير

(٧)يختلج : أى ينتزع ويقتطع من (٤) إلى (١٠) انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ١/ ٣٠٠

(٨)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة حديث ٤٠٠

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسـول الله ﷺ : « **حـوضي مسـيرة شـهر ، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أ طيب من المسك وكيزانه** [1] **كنجوم السماء مـن شرب منها فلا يظمأ أبداً** [2] » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن قدر حوضي كما بين أيلة** [3] **وصنعاء من اليمن وإن فيه مـن الأبـاريق** [4] **كعـدد نجـوم السـماء** [5] » . [6]

وعن حارثة [7] أنه سمع النبي ﷺ قال : « **حوضه مابين صنعاء والمدينه** » فقال لـه

---

(١)الكيزان : جمع كوز من الأواني ، معروف ، وهو مشتق من ذلك . لسان العرب مادة « كوز » ٥/ ٤٠٢

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٩/ ٦٥ . ومسلم فى صـحيحه كتـاب الفضـائل حديث ٢٢٩٢ وزاد « وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الـورق » وزوايـاه سـواء : قـال العلـماء معنـاه طولـه كعرضه كما قال فى حديث أبى ذر المذكور فى الكتاب : عرضه مثل طوله « انظر صـحيح مسـلم تحقيـق محمـد فؤاد عبدالباقى ٤/ ١٧٩٣

(٣)أيلة : مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة الرسول ﷺ ودمشـق ومصرـ ، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل . قال الحازمي : قيل آخر الحجاز وأول الشام . صحيح مسلم تحقيق محمـد فؤاد ٤/ ١٧٩٦

(٤)الأبريق : إناء . وجمعه أباريق فارسي معرب . لسان العرب مادة « برق » ١٠/ ١٧

(٥)كنجوم السماء : المختار الصواب أن هذا العدد للآنية على ظاهرة . وأنها أكثـر عـدداً مـن نجـوم السـماء . ولامانع عقلي ولا شرعي يمنع من ذلك . بل ورد الشرع به مؤكدا كما قال ﷺ : « **والذى نفسـى محمـد بيـده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء** » صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ١٧٩٤

(٦)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٠ ورواه مسـلم كتـاب الفضـائل حـديث ٢٣٠٣

(٧)حارثة : هو حارثة بن وهب الخزاعي . أُمُّهُ أم كلثوم بنت جرول بن مالك الخزاعية فهو أخو عبيد الله بـن عمر لأمه – أنظر الاصابة فى تمييز الصحابة ٢ / ١٩١ .

المستورد [1] : ألم تسمعه قال الأواني ؟ قال : لا . قال المستورد : ترى فيه الأنية مثل الكواكب [2] » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **أمامكم حوض كما بين جرباء [3] وأذرح [4]** » [5] .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « **مابين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة [6]** » .

---

(١)المستورد : بضم الميم وسكون المهملة وفتح المثناة بعدها واو ساكنة ثم راء مكسورة ثم مهملة هو ابن شداد بن عمرو بن حسل بكسر أوله وسكون ثانيه وإهمالها ثم لام . القرشي الفهري صحابي بن صحابي شهد فتح مصر وسكن الكوفة ويقال مات سنة خمس وأربعين . وليس له فى البخاري إلا هذا الموضع . وحديثه مرفوع وإن لم يصرح به – فتح البارى ١١/ ٤٧٥

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٩٢ ورواه مسلم كتاب الفضائل حديث ٢٢٩٨

(٣)جرباء : بألف مقصورة . هذا هو الصواب المشهور أنها مقصورة . وكذا قيدها الحازمي فى كتابه (المؤتلف فى الأماكن) وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور . وقال القاضى وصاحب المطالع : ووقع عند بعض رواة البخاري ممدوداً قال : وهو خطأ . وقال صاحب التحرير : هى بالمد وقد تقصر . قال الحازمى : كان أهل جرباء يهوداً ، كتب لهم النبي ﷺ الأمان لما قدم عليه لحية بن رؤبة صاحب أيلة بقوم منهم ومن أهل أذرح يطلبون الأمان – صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ١٧٩٧

(٤)أذرح : هي مدينة فى طرف الشام فى قبلة الشويك . بينها وبينه نحو نصف يوم وهى فى طرف الشراة فى طرفها الشمالى ، وتبوك فى قبلة أذرح بينهما نحو أربع مراحل . وبين تبوك ومدينة النبي ﷺ نحو أربع عشر مرحلة – نفس المرجع السابق

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٧٧ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٢٩٩

(٦)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٣٠٣ .

وعن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قـال : « **ألا إني فـرط** [1] **لكـم عـلى حوضي . وإن بعد مابين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة كأن الأباريق فيه النجـوم** [2] » في هذه الأحاديث التى مرت معنا يبين ﷺ صفة الحوض فماؤه أحلى مـن العسـل وأبيض من الثلج ومن اللـبن وأوانيـه أكثـر مـن عـدد نجـوم السـماء وكواكبهـا ، وعرضه مثل طوله « وزواياه سواء » ونجد فى الأحاديث أنه ﷺ تكلم عن مسـافة الحوض فقال : « **مسيرة شهر** » « **من مقامى إلى عمان** » ، « **مـابين عـمان إلى أيلـة** » ، « **كما بين أيلة وصنعاء من اليمن** » ، « **مـابين صـنعاء والمدينـة** » ، كـما بـين جربـاء وأذرح » ، « **كما بين صنعاء وأيلة** » .

وللعلماء – رحمهم الله تعالى – أقوال حول تحديد هذه المسافة منه ﷺ حيـث طول المسافة أحياناً وقصرها أحياناً ، وقد ذكر ابن حجر العسقلانى تلـك الأقـوال ثم قال : « واذا تقرر ذلك رجع جميـع المختلـف إلى أنـه لاخـتلاف السـير البطـيء والسير السريع [3] » .



(١)إنى فرط لكم على الحوض : قال أهل اللغة : الفرط والفـارط هـو الـذى يتقـدم الـواردين ليصـلح لهـم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء . فمعنى فرطكم على الحوض : سابقكم إليه كالمهيء له

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٣٠٥

(٣)فتح البارى ١١/ ٤٧٢ .

المبحث الثانى
من يرد الحوض ومن يطرد عنه وأن لكل نبى حوضا

فى الموقف العظيم « على أرض المحشر » تظهر حاجة الانسان الى ربـه ﷻ ومعرفتـه الحقيقة لذلك ، والمولى ﷻ يعز الطائعين ويكـرمهم ، ويـذل الكـافرين ويمقـتهم ، فقد جعل ﷻ حوضا وأمده بالماء ووضع عليه الأوانى ليشرب منه من وفق للطاعة والالتزام بأمره ﷻ وأمر رسله ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا وهـذا مـن كرم الله وجوده ، ويطرد عنه من حـرَّفَ وبـدَّلَ فى ديـن الله تعـالى . وورد أن لكـل نبى حوضاً .

فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **إن لكل نبـي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**[1] »

قال ابن حجر العسقلانى : « **أخرج الترمذى من حـديث سـمرة رفعـه « أن لكل نبي حوضاً** » وأشار إلى أنه اختلف فى وصـله وإرسـاله وأن المرسـل أصـح . قلت : « والمرسل أخرجه بن أبى الـدنيا . بسـند صـحيح عـن الحسـن قـال : قـال رسول الله ﷺ : « **إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه بيده عصا يـدعو مـن عرف من أمته ألا إنهم يتباهون أيهم أكثـر تبعـاً ، وأنـى لأرجـو أن أكـون أكثـرهم تبعاً** » وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولاً مرفوعا مثلـه وفى سـنده لين وأخرج بن أبى الدنيا أيضا من حديث أبى سعيد رفعه » وكل نبـي يـدعو أمتـه

---

(١)رواه الترمذى كتاب القيامة باب ١٤ حديث ٢٤٤٢ وقال حديث غريب ، وقد روى الأشعث بن عبدالملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى صلى الله عليه ويلم مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.

ولكل نبي حوض . فمنهم من يأتيه الفئام [1] ومنهم من يأتيه العصبة [2] ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الإثنان ومنهم من لا يأتيه أحد ، وأنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » وفى إسناده لين وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به فى السورة المذكورة [3] » والله ﷻ أعلم بالصواب .

وأما حوض نبينا محمد ﷺ فهو ثابت ومصرح به وبصفته فى الأحاديث الصحيحة التى يحصل بها العلم القطعى . وسنبين هنا مانحن بصدده وهو « من يرده ويشرب منه ومن يطرد عنه » .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **أنا فرطكم على الحوض** [4] » .

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن النبى ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف على المنبر فقال : « **إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم وأنى والله لأنظر إلى حوضي الآن** [5] . **وأنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض – وأني والله ماأخاف عليكم أن تشركوا بعدى ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها** [6] » .

---

(١)الفئام : مهموز : الجماعة الكثيرة . غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٠٦

(٢)العصبة : هم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٤٣

(٣)فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١/ ٤٦٧

(٤)رواه البخارى فى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٧٥ وعن جندب مثله فى صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٩ ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل حديث ٢٢٨٩

(٥)وأنى والله لأنظر إلى حوضى الآن : هذا تصريح بأن الحوض حقيقي على ظاهره . وأنه مخلوق موجود اليوم . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ١٧٩٥ .

(٦)رواه البخارى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٩٠ ورواه مسلم كتاب الفضائل حديث ٢٢٩٦

قال النـووي : « وفى هـذا الحـديث معجـزات لرسـول الله ﷺ فـإن معنـاه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض وقـد وقـع ذلـك وأنهـا لا ترتـد جملـة وقـد عصمها الله تعالى من ذلك وأنها تتنافس فى الدنيا وقد وقع كل ذلك [1] » .

وفى هذين الحديثين جملة أنه ﷺ صاحب الحوض الذى أكرمه الله تعـالى بـه فهو واقف عليه يوم القيامة فى انتظارورود أمته عليه ليشربوا من ذلـك . فهـم بـين وارد وشارب وبين مطرود عن ذلك .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **أنا فرطكم على الحـوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن[2] دونى فأقول : يارب أصحابى فيقال لاتدرى ماأحدثوا بعدك** [3] » .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لـيردن عـلي نـاس مـن أصـيحابي** [4] **الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فـأقول أصـحابي ، فيقـول : لاتـدري مـا أحدثوا بعدك** [5] » .

---

(١)صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ / ٥٩

(٢)ليختلجن : أى يجتذبون ويقتطعون . غريب الحديث والأثر ٢/ ٥٩

(٣)رواه البخاري فى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٧٦ وروى مسلم نحوه فى كتاب الفضائل حديث ٢٢٩٧

(٤)(أصحابى) وقع فى الروايات مصغرا مكررا . وفى بعض النسخ أصحابي مكبرا مكـررا . قـال القـاضي : هذا دليل لصحة تأويل أنهم أهل الردة . ولهذا قال فيهم « سحقاً سحقاً » ولايقول ذلك فى مـذنبى الأمـة بـل يشفع لهم ويهتم لأمرهم قال . وقيل : هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عـن الإسـتقامة لا عـن الإسـلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة . والثانى مرتدون إلى الكفر حقيقـة ناكصـون عـلى أعقـابهم واسـم التبديل يشمل الصنفين . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد الباقى ٤/ ١٨٠٠

(٥)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٢ ، وروى مسلم نحوه كتـاب الفضـائل حديث ٢٣٠٤ .

وعن سهل بن سعد ﷺ قال : قال النبى ﷺ : « **إنى فرطكم على الحوض : من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم** [(١)] » .

قال أبو حازم أحد رواة حديث سهل : فسمعنى النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم . فقال : أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول : إنهم مني ، فيقال : إنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً سحقاً [(٢)] لمن غيرّ بعدي [(٣)] » .

أولئك الذين يردون على الرسول ﷺ ويعرفهم ويعرفونه ثم يذادون عن حوضه ﷺ ويُمنعون من الشرب منه ويقول الرسول ﷺ « **أصيحابى** » أو « **أصحابى** » لقلتهم كما ذكره بعض شرائح الحديث ، اختلف فى معرفتهم بالضبط فقيل : إنهم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم حتى قتلوا وماتوا على الكفر ، وقيل : هو على ظاهره من الكفر ، وقيل : المنافقون أو مرتكبوا الكبائر ، وقيل : قوم من جفاة الأعراب دخلوا فى الاسلام رغبة ورهبة ، وقيل أصحاب الكبائر والبدع . . . »[(٤)] .

وعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « **يرد علىّ يوم القيامة رهط** [(٥)] **من أصحابى فيجلون عن الحوض ، فأقول : يارب**

---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٣

(٢)سحقاً : قال ابن عباس : سحقا : بعدا ، يقال : سحيق : بعيد ، سحقه و أسحقه : أبعده . فتح البارى ١١ / ٤٦٤

(٣)رواه البخارى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٤

(٤)فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١/ ٣٨٥ بتصرف

(٥)الرهط : هم عشيرة الرجل وأهله . والرهط من الرجال مادون العشرة وقيل إلى الأربعين ولاتكون فيهم أمرأة . غريب الحديث ٢/ ٢٨٣

أصحابى ، فيقول : « إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى [(١)] » . [(٢)]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **بينا أنا أنائم [(٣)] فإذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلمّ ، فقلت : أين ؟ قال : إلى النار والله ، قلت وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال : هلمّ قلت : أين ؟ قال : إلى النار والله . قلت : ماشأنهم ؟ قال : إنهم أرتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم [(٤)]** » . [(٥)]

وهنا يذكر ﷺ مارأى فى منامه مايكون من شأن أمته يوم القيامة وورودهم عليه الحوض وصد الملك الموكل بذلك الكثير منهم والأخذ بهم إلى النار ولم يرد ويشرب من تلك الزمر إلا العدد البسيط والذى وصفهم ﷺ فى قلتهم بالإبل الضائعة التى ترد على الماء بدون راع وفى هذا دليل على أن الأكثرين هم الهالكون يوم القيامة والقليل هم السالمون فلا يغتر بالكثرة إذا كانوا على باطل بل ينظر لأهل الحق ويتبعون وإن قلوا نسأل الله السلامة والثبات على الحق . وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : « قال النبي ﷺ : **إنى على الحوض حتى أنظر من يرد**

(١)القهقرى : هو المشي خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه . قيل إنه من باب القهر . غريبالحديث والأثر ٤/ ١٢٩

(٢)صحيح البخاري كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٥

(٣)بينا أنا نائم : كذا بالنون للأكثروللكشميهنى « قائم » بالقاف وهو أوجه والمراد به قيامه على الحوض يوم القيامة وتوجه الأولى بأنه رأى فى المنام فى الدنيا ماسيقع له فى الآخرة – فتح البارى ١١/ ٤٧٤

(٤)همل النعم : الهمل بفتحتين الابل بلا راع – فتح البارى ١١/ ٤٧٥

(٥)صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨٧

علي منكم ، وسيؤخذ ناس دونى ، فأقول : يارب مني ومن أمتي فيقل هل شعرت ماعملوا بعدك ؟ » . والله مابرحوا يرجعون على أعقابهم « فكان ابن أبي مليكة [(١)] يقول : اللهم أنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتتن عن ديننا [(٢)] » .

إلى أعقابكم تنكصون : ترجعون على العقب [(٣)] .

وعن أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها قالت : « كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ . فلما كان يوما من ذلك . والجارية تمشطنى . فسمعت رسول الله ﷺ يقول « **أيها الناس** » فقلت للجارية : « استأخرى عني » قالت : إنما دعا الرجال ولم يدع النساء . فقلت : إنى من الناس . فقال رسول الله ﷺ : « **إنى لكم فرط على الحوض . فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عنى كما يذب البعير الضال فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقاً** [(٤)] » .

فى هذين الحديثين : مع ذكر الحوض نجد حرصه ﷺ على أمته « **يا رب مني ومن أمتى** » . ووصيته ﷺ لهم والتأكيد فى ذلك « **فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال** » ولن يحصل لأحد ما إلا من حرّف وبدّل فى دين الله تعالى ورجع عن صراطه المستقيم ورضي بمنهج المغضوب عليهم والضالين .

---

(١)ابن أبى مليكة : عبدالله بن عبدالرحمن بن أبى مليكة التيمي المكي يروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص. أنظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ٢٣ / ١٣٩« فكان ابن أبى مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك . . الخ قال ابن حجر : هوموصول بالسند المذكور فقد أخرجه مسلم بلفظ » قال : فكان ابن أبي مليكة يقول فتح البارى شرح صحيح البخارى ١١/ ٤٧٦

(٢)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٩٣

(٣)فتح البارى ١١/ ٤٦٦

(٤)رواه مسلم فى كتاب الفضائل حديث ٢٢٩٥

قال العيني : « ورويت أحاديث الحوض عن أكثر من خمسين صحابياً [1] » وذكرهم وأكثر ذلك فى الصحيحين ولكن من أعمى الله تعالى بصيرته ، حاد عن الحق ، وضل عن الصواب وأصبح فى موضع الشك والارتياب . فهو دائما أينما يأتي به شيطانه ولن يكون على حق مالم يحل قيوده ويكفر بما سوى الله ويكون على نهج رسول الله ﷺ وعلى مراد الله ﷻ وعلا . قال القرطبي : « قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين – فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ، ولم يأذن به الله . فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طراد : من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض [2] على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها . فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع [3] » .

وأول الناس وروداً على الحوض هم فقراء المهاجرين الذين كانت لهم سابقة فى الاسلام وصبروا على مالاقوا من إيذاء من الناس خاصة أقربائهم وما كان عليهم من الفاقة وشغف العيش ، فكان هذا من الكرامات لهم قبل دخول الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم .

---

(١)عمدة القارى شرح صحيح البخارى ٢٣/ ١٣٦

(٢)الروافض : من جاء إلى زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب وطلبوا منه أن يتبرأ من أبى بكر وعمر حتى يكونوا معه .فقال : بل أتولاهما وأتبرأ ممن يتبرأ منهما فقالوا : اذن نرفضك فرفضوه وأرفضوا عنه . انظر يوم الفزع الأكبر ص ٢٥٩

(٣)يوم الفزع الاكبر : ص ٢٥٨ وقال العينى : « وقد أنكر الحوض الخوارج وبعض المعتزلة وممن كان ينكره عبد الله بن زياد أحد أمراء العراق وهؤلاء ضلوا فى ذلك وخرقوا إجماع السلف وفارقوا مذهب أئمة الخلف » انظر عمدة القارى ٢٣ / ١٣٦ .

عن أبى سلام الحبشى [1] قال : بعث إلي عمر بن عبدالعزيز فقدمت إليه فلما دخلت عليه قال : ادنه ادنه حتى كادت ركبتى تلزق بركبته قال : حدثنى حديث ثوبان فى الحوض . قال : سمعت ثوبان يحدث عن رسول الله ﷺ قال : « **حوضي مابين عدن إلى عمان أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ، وأكوابه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وأول الناس علي ورودا فقراء المهاجرين الشعث[2]رءوساً ، الدنس[3] ثياباً ، الذين لاتفتح لهم أبواب السدد [4] ولا ينكحون المتنعمات ، الذين يعطون كل الذى عليهم ، ولا يعطون الذى لهم [5]** » وفى رواية أخرى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **وذكر الحوض – قال : وأكثر الناس عليّ واردة فقراء المهاجرين .** » قلنا : ومن هم يا

(١)أبو سلام : « بتشديد اللام » الحبشى « بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة منسوب الى حبش حي من اليمن كذا فى المغنى لصاحب مجمع البحار واسمه ممطور الأسود ثقة يرسل من الثالثة تحفة الأحوذى ٧/ ١٣٥

(٢)الشعث : المغبر الرأس : المنتتف الشعر الحاف الذى لم يدهن . لسان العرب ٢/ ١٦٠

(٣)الدنس : الوسخ . وقد تدنس الثوب : اتسخ . غريب الحديث والأثر ٢/ ١٣٧

(٤)لاتفتح لهم أبواب السدد : بضم السين وفتح الدال الأولى المهملتين . جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لأن المدخل يسد به . والمعنى : لو دقوا الأبواب واستأذنوا للدخول لم يفتح لهم ولم يؤذن – تحفة الأحوذى ٧/ ١٣٧

(٥)كتاب السنة لابن أبى عاصم ٣٤٨/٢ حديث ٧٤٧ تحقيق الألبانى وقال : حديث صحيح وإسناده ضعيف ، سويد بن عبد العزيز لين الحديث وأبو محمد شداد هو ابن أبى سلام ممطور شيخه فى هذا الحديث . قال الذهبى : « لايعرف » وأما ابن حبان فذكره فى « الثقات » إلا أنه لم يتفرد به . فقد أخرجه الآجرى فى « الشريعة »ص ٣٥٣ من طريق الوليد بن مسلم : حدثنا يحى بن الحارث الذماري وشيبة بن الأحنف الأوزاعي قال : سمعنا سلام الأسود يحدث عن ثوبان به نحوه .قلت – الألبانى - : وهذا إسناد صحيح ، وقد أخرجه أحمد وغيره فراجع « المشكاة (٥٥٩٢) و « والصحيحة » (١٠٨٢) وذكرت له شاهداً من حديث ابن عمر تحت الحديث (٧٢٧) .

رسول الله قال : « **الشعث رؤوساً . الدنسة ثياباً الذين لا ينكحون المنعمات ، ولا يفتح لهم أبواب السدد ، الذين يعطون الحق الذى عليهم ، ولايعطون الذى لهم** (١) » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ للأنصار « **إنكم ستلقون بعدى أثرة** (٢) **فاصبروا حتى تلقوني ، وموعدكم الحوض** (٣) » .وهذه ميزة للأنصار فى صبرهم وإن فضل غيرهم فى نصيبهم وماهم أحق به بورودهم على رسولهم ﷺ ليظفروا بالكرامة الدائمة لاحطام الدنيا الفاني .

(١)كتاب السنة لابن أبى عاصم ٢/ ٢٤٨ . وقال الألبانى : حديث صحيح ، ورجاله ثقات رجال البخارى على ضعف فى حفظ هشام بن عمار كما سبق مرارا . وللحديث متابعات كثيرة لبسر بن عبد الله . فانظر الحديث الذى قبله.

(٢)أثرة : الأثرة – بفتح الهمزة والثاء – الاسم من أثر يؤثر إيثاراً إذا أعطى .أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم فى نصيبه من الفيء . والاستئثار الانفراد بالشئ » غريب الحديث ١/ ٢٢

(٣)رواه البخاري فى صحيحه كتاب مناقب الأنصار باب ٨ حديث ٣٧٩٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإمارة حديث ١٨٤٥ ، والترمذى فى سننه كتاب الفتن باب ٢٥ حديث ٢١٨٩ ، ورواه النسائى فى سننه كتاب آداب القضاة ٨/ ٢٢٤ والإمام أحمد فى المسند ٣/ ٥٧ .

الفصل الثامن

الصراط

جعل الله تبارك وتعالى جسراً ممدوداً على متن جهنم يعبره الناس يوم القيامة بعد انصرافهم من أرض المحشر فيهوى منه أهل النار فيقعون فيها ويمر أهل الجنة إلى الجنة ، ويمرون على القنطرة فيقتص لبعضهم من بعض ثم يدخلون الجنة .

وسنرى فى هذا الفصل المباحث التالية عن الصراط :

المبحث الأول : تعريف الصراط وصفته .

المبحث الثاني : الانصراف من المحشر إلى الصراط .

المبحث الثالث : من أنكر الصراط والرد عليه

المبحث الرابع : القنطرة .



المبحث الأول
تعريف الصراط وصفته

الصراط : لغة : الطريق الواضح .

فى الشرع : جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون . فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم [(١)] » .

قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[(٢)] .

ذكر المفسرون رحمهم الله تعالى أقوالاً لمعنى هذه الآية وذكروا أدلة كل قول والحق واضح فأقتصر على ذكر الأقوال فقط دون أدلتها مع ذكر القول الراجح منها بدليله وهو مانحن فى بحثه [(٣)] .

١ - أن المراد بالورود الدخول ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول .

٢ - أن المراد بورود النار المذكور ، الجواز على الصراط لأنه جسر منصوب على متن جهنم .

٣ - أن الورود المذكور هو الاشراف عليها والقرب منها .

٤ - أن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحمّى فى دار الدنيا .

---

(١)لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٩

(٢)سورة مريم آية ٧١ – ٧٢

(٣)أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ٣٤٨ طبعه الأمير أحمد بن عبد العزيز

قال ابن جرير ﵀ تعالى : « وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوى فيها الكفار هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناج مسلم ومكدس فيها [1] » .

وشواهد هذا فى الصحيحين والسنن وغيرها وسنورد مايكون فيه الكفاية .

عن أبى سعيد الخدرى ﵁ أن ناساً فى زمن رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : « **نعم** » قال : « **هل تضارون الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون ، فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟** » قالوا لايارسول الله . قال : « **ماتضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : ليتبع كل أمة ماكانت تعبد . فلا يبقى أحد ، كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبّر [2] أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم : ماكنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيز بن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا ياربنا فاسقنا . فيشار إليهم : ألا ترون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فى النار . ثم يدعى النصارى . فيقال : ماكنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح بن الله . فيقال لهم : كذبتم . ماتخذ الله من صاحبة ولاولد . فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا**

(١)جامع البيان عن تأويل أي القرآن ١٦/ ١١٤

(٢)غبر أهل الكتاب : معناه بقاياهم . جمع غابر . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١/ ١٦٨

قال فيشار إليهم : ألا ترون ؟ فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضهابعضاً فيتساقطون فى النار . حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين ﷻ فى أدنى صورة من التى رأوها فيها . قال : فما تنظرون ؟ تتبع كل أمة ماكانت تعبد . قالوا ياربنا . فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ماكنا إليهم ولم نصاحبهم . فيقول : أنا ربكم . فيقولون نعوذ بالله منك . لانشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق . فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود . ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوها فيها أول مرة . فقال : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم [(١)] وتحل الشفاعة . ويقولون : اللهم سلم سلم » . قيل يا رسول الله : وما الجسر ؟ قال : « دحض مزلة [(٢)] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك [(٣)] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان . فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل . فناج مسلّم . ومخدوش مرسل . ومكدوس فى نار جهنم . حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذى نفسي بيده مامنكم من أحد بأشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين

(١)ثم يضرب الجسر على جهنم : الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان وهو الصراط . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١/ ١٦٩

(٢)دحض مزلة : الحض والمزلة بمعنى واحد . وهو الموضع الذى نزل فيه الأقدام ولا تستقر . ومنه دحضت الشمس أي مالت . وحجة داحضة أي لا ثبات لها . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى١/ ١٦٩

(٣)فيه خطاطيف وكلاليب وحسك : أما الخطاطيف فجمع خطاف بضم الخاء فى المفرد والكلاليب بمعناه وتقدم بيانهما . وأما الحسك فهو شوك طب من حديد – نفس المرجع السابق

فى النار . فيقولون : ربنا . كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون . فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار . فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه . ثم يقولون : ربنا . مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيرا . ثم يقولون : ربنا لن نذر فيها أحداً ممن أمرتنا . ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً . ثم يقول أرجعوا . فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا [1] » . قال أبو سعيد : « بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف »[2] .

هذا الحديث سبق وأن سقناه عند ذكرنا للشفاعة ، وقد ذكرناه هنا لارتباطه بمبحثنا – الصراط – . وقد ذكر ﷺ حال الناس بعد أن يجمعهم المولى ﷻ يوم القيامة حيث قال : « من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقون ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى فى صورة غير صورته التى يعرفون . فيقول : أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى فى صورته التى يعرفون فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه [3] » .

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث ١٨٣ وقد سبق ذكر الحديث وبيان غريبه فى الشفاعة

(٢)صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١/ ١٧١

(٣)رواه مسلم كتاب الايمان حديث ١٨٢ .

ان العلامة التى بينهم وبين ربهم والتى يعرفونه بها هي : عندما يكشف عن ساقه جل وعلا كما معنا فى الحديث . « فيكشف عن الساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه » .



المبحث الثانى
الإنصراف من المحشر إلى الصراط

بعد الانتهاء من فصل القضاء وتهافت الكفار فى النار ، ولم يبق الا المؤمنون الأبرار والمنافقون ، فيعطى كل إنسان منهم مؤمن أو منافق نوراً بعد ماكان بينهم وبين ربهم من المعرفة وسجود المؤمنين ، وتصلب المنافقين ، فيؤمرون بالسير إلى الصراط .

قال جابر بن عبد الله ﷺ : « ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ فيقولون : ننظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون : حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك . قال : فينطلق بهم ويتبعونه . ويعطى كل انسان منهم منافق أو مؤمن نورا . ثم يتبعونه . وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك ، تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين . ثم ينجو المؤمنون . فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر . سبعون ألفا لا يحاسبون . ثم الذين يلومهم كأضوأ نجم فى السماء ثم كذلك . . . [١] » .

قال ابن كثير ﷺ تعالى : « ثم ينتهي الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التى دون الصراط وهي على جسر جهنم كما تقدم عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال : « **هم فى الظلمة دون الجسر** [٢] . » .

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ١٩١ ، ورواه أحمد فى المسند ٣/ ٣٤٥ ، ٣٨٣

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحيض حديث ٣١٥

فى هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين و يتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم وبينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ [1]» [2].

الأنبياء والمرسلون على الجسر وكل تتبعه أمته فى مقدمة ذلك محمد ﷺ وأمته . قال ﷺ : « **ويضرب الصراط بين ظهري جهنم [3] فأكون أنا وأمتي أول من يجيز . ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل . ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم . سلم . وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم يارسول الله قال : « فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ماقدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقى بعمله [4] ، ومنهم المجازى حتى**

---

(١)سورة الحديد آية ١٢ – ١٥

(٢)النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير ص ٢٦٤ دار الكتب العلمية – بيروت

(٣)ويضرب الصراط بين ظهري جهنم : معناه يمر الصراط عليها – صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١/ ١٦٤

(٤)بقي بعمله : ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه : أحدهما المؤمن بقي والثانى الموثق ، والثالث الموبق يعنى بعمله . قال القاضى : هذا أصحها وكذا قال صاحب المطالع : هذا الثالث هو الصواب . قال : وفى بقى على الوجه الأول ضبطان أحدهما بالباء الموحدة والثانى بالياء المثناة . قال النووي : والموجود فى معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١/ ١٦٥ .

ينجى » [1] وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما فى ذكرهما لشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى دخول المؤمنين الجنة : وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق ، قال : قلت بأبي أنت وأمي أي شئ كمر البرق قال : « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم . ونبيكم قائم على الصراط يقول : « رب سلّم سلّم . حتى تعجز أعمال العباد . حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً – قال . وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار [2] » .

قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : « الصراط منصوب على متن جهنم – وهو الجسر الذى بين الجنة والنار – يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف رحفاً ، ومنهم من يخطف فيلقى فى جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة » [3].

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ١٨٢ وروى البخاري فى صحيحه نحوه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الاذان باب ١٢٩ حديث ٨٠٦ – ورواه المام أحمد فى المسند ٢/ ٢٧٥ ، ورواه الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ٢٠ حديث ٢٥٥٧

(٢)رواه فى صحيحه كتاب الايمان حديث ١٩٥

(٣)مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيميه ٣/ ١٤٦ .

بعد ذكر الشواهد على الميزان نستنج من ذلك :

١ - أن الله ﷻ بعد محاسبة خلقه أجمعين ، يأمر كل من عبد غيره من الآلهة الباطلة أن يتبع آلهته إلى نار جهنم فيتهافتون فيها .

٢ - يبقى فى الموقف من كان يعبد الله من بر وفاجر ؛ فالبررة عندما يعرفون ربهم سبحانه عندما يكشف عن ساقه يخرّون له سجدا ، والمنافقون الفجرة لايستطيعون السجود وإن أرادوا ذلك .

٣ - يعطى الله لكل من المنافقين والمؤمنين نوراً ثم يسيرون إلى الصراط وهناك يطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين حتى يجوزوا الصراط ويضرب بينهم باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

٤ - يوضع الصراط على متن جهنم (على حافتيها) .

٥ - صفة الصراط : أنه دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ، أدق من الشعرة وأحد من السيف .

٦ - عبور الناس على الصراط كل نبي يقدم أمته وفى المقدمة محمد ﷺ وأمته .

٧ - شعار الأنبياء « اللهم سلّم سلّم » . [1] صفة مرور الناس عليه « كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل ، والماشي والزاحف فناج مسلّم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم .



(١)مجموع فتاوى شيخ الاسلام تيمية ٣/ ١٤٦ .

المبحث الثالث
من أنكر الصراط والرد عليه

الصراط من الحقائق الثابتة التى يجب الإيمان بها على مثل ماجاءت به السنة الشريفة فى الأحاديث الصحيحة دون تأويل أو جحدان . قال السفاريني : « اتفقت الكلمة على إثبات الصراط فى الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلى [1] وكثير من أتباعه زعماً منهم أنه لايمكن عبوره وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وأنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[2] وطريق النار المشار إليه بقولة تعالى ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ . [3]

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها . وكل هذا باطل وخرافات لوجوب حمل النصوص على حقائقها وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران فى الهواء أو الوقوف فيه . وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة

---

(١)القاضى عبد الجبار المعتزلى –٤١٥ هـ . . . ١٠٢٥م– هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمزاني الأسد أبادى أبو الحسين قاض ، أصولى . كان شيخ المعتزلة فى عصره وهم يلقبونه قاضي القضاة ولايطلقون على غيره . ولي القضاء بالري ومات فيها له تصانيف كثيرة منها « تنزيه القرآن عن المطاعن ط و » الأمالى « و » المجموع فى المحيط بالتكليف – ط « الأول منه و » شرح الأصول الخمسة – ط « و » المغنى فى أبواب التوحيد والعدل – ط » أحد عشر جزءا منه . و « تثبيت دلائل النبوة – ط « و » متشابه القرآن ط » . الاعلام للزر كلى ٣/ ٢٧٣

(٢)سورة محمد آية ٥

(٣)سورة الصافات آية ٢٣

صالحة لذلك . وأنكر العلامة القرافى [١] كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام [٢] والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت فى الصحيحين والمسانيد و السند والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم فى جوازه متفاوتون »[٣] .



(١)القرافي : هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجى القرافى من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة المحلة المجاورة لقبر الامام الشافعى بالقاهرة وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة توفى سنة ٦٨٤ هـ .له مصنفات جليلة فى الفقه والأصول منها : « أنوار البروق فى أنواء الفروق أربعة أجزاء » والإحكام فى تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضى والامام ط » والذخيرة فى فقه المالكية ستة مجلدات واليواقيت فى أحكام المواقيت خ . . . انظر الاعلام للزر كلى ١/ ٩٤

(٢)العز بن عبد السلام : . عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمي الدمشقى عز الدين الملقب بسلطان العلماء . فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ولد فى دمشق سنة ٥٧٧ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ من كتبه : التفسير الكبير والإلمام فى أدلة الأحكام وقواعد الشريعة خ والفوائد خ وقواعد الأحكام فى أصول الأنام ط فقه ، وترغيب أهل الاسلام فى سكن الشام ، وبداية السول فى تفضيل الرسول ط ، والفتاوى ، والغاية فى اختصار النهاية خ فقه والإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز ط فى مجاز القرآن ، وسائل الطريقة ط تصوف والفرق بين الإيمان والاسلام خ رسالة ، ومقاصد الرعاية خ . . وكان من أمثال مصر : ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام . . انظر الاعلام للزر كلى ٤/ ٢١

(٣)لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ٢/ ١٩٢ ، ١٩٣

المبحث الرابع

القنطرة

قال الله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (١)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذّبوا (٢) ونقّوا (٣) أذن لهم في دخول الجنة . فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا (٤)** » .

بعد أن ينجي الله تعالى المؤمنين من النار بمرورهم على الصراط سالمين يقولون : « الحمد لله الذى نجانا منك ، بعد أن أراناك ، لقد أعطانا مالم يعط أحد (٥) » فيوقفهم الرب سبحانه وتعالى على قنطرة بين الجنة والنار – قيل إنها تتمة الصراط

---

(١)سورة الأعراف آية ٤٣

(٢)هذّبوا : أي خلصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض – فتح البارى ١١/ ٣٩٩

(٣)نقّوا : بضم النون بعدها قاف ، من التنقية – نفس المرجع السابق

(٤)رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٨ ٦٥٣٥ ورواه الامام أحمد في المسند ٣/ ١٣ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٤

(٥)هذا قطعة من حديث طويل أخرجه الحاكم ٢/ ٣٧٦ ، ٣٧٧ من طريق عبدالسلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن أبى خالد الدالاني ، ثنا المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبدالله ، وهذا سند قابل للتحسين . وقد أخرجه أيضا ٤ / ٥٩٠ ، ٥٩٢ . والطبراني في الكبير ٣ / ٤٦ / ٢ ، ٤٧ / ٢ من طريق يزيد بن عبد الرحمن أبى خالد عن ابن مسعود مرفوعا وقد تابعه زيد بن أبى أنيسة وهو ثقة مرفوعا أيضا عند الطبراني فالحديث صحيح وأورده الهيثمى في « المجمع » ١٠ / ٣٤٠ ، ٣٤٣ وقال رواه الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبى خالد الدالانى وهو ثقة . انظر العقيدة الطحاوية – تحقيق شعيب الأرنؤوط ص ٤٠٨

وقيل إنه صراط آخر والله أعلم بالصواب . ما هناك دليل ثابت . فيقتص لبعضهم من بعض حقوقاً كانت بينهم ، لا تستنفذ حسنات أحد ولا توجب لأحد النار ، ولكن يظهر من ذلك أن الله يذهب الغل من قلوبهم وتحصل المسامحة ، ويكون التمييز بينهم فى الدرجات ، حيث تكون النتيجة النهائية التى بعدها يدخلون مساكنهم فى الجنة حسب درجاتهم – والله أعلم .



الفصل التاسع

الجنة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق هذا الخلق وأن يكلفهم بعبادته ابتلاء ، واختباراً ليرى الطائع المستقيم من العاص المنحرف وليميز بعضهم من بعض كما قال ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (1) . وكما قال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(2)

فخلق ﷻ الجنة وجعلها دار المتقين – مستقر الأبرار الموحدين – نعيم عباد الله العاملين – إرث أتباع رسل رب العالمين – الحياة المستمرة أبد الآبدين . قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(3) . وقال تعالى في وصف الجنة ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (4) وقال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (5) .

---

(١)سورة الأنفال آية ٣٧

(٢)سورة الملك آية -١-٢

(٣)سورة الدخان آية ٥١ – ٥٧

(٤)سورة الرعد آية ٣٥

(٥)سورة محمد آية ١٥

وقال تعالى فى وصف نعيم الجنـة ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ [(١)] ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[(٢)] .

وقال تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [(٣)] .
الجنة فيها النعيم المقيم فيها القصور ، فيها الغرف ، فيهـا الخيـام ، فيهـا الحـلي فيهـا الفرش فيها الأرائك ، فيهـا الحـور ، فيهـا الغلـمان (الخـدم) فيهـا الأشـجار فيهـا الفواهه ، فيها الأنهار فيها العيون ، فيهـا الأسـواق ، فيـه مـالا عـين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عـن الرسـول الله ﷺ قـال : قـال الله تبـارك وتعـالى : « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر عـلى قلـب بشر . قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم . فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين** [(٤)]
وقال تعالى فى أهل الجنة ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [(٥)] ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ [(٦)] ﴾ وقال

---

(١)سورة ص آية ٤٩ – ٥٤

(٢)سورة النبأ آية ٣١ – ٣٦

(٣)سورة (آلم) السجدة آية ١٧

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة السجدة باب ٣٢ حديث ٤٧٧٩ ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٢٤

(٥)سورة المطففين آية ٢٢ – ٢٤

(٦)سورة المطففين آية ٣٤ – ٣٥

تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[1] قال ابن القيم فى وصف الجنة [2] :

فاسمع إذن أوصافها وصفاتها	**تيك المنازل ربة الإحسان**
هي جنة طابت وطاب نعيمها	**فنعيمها باق وليس بفان**
دار السلام وجنة المأوى ومنزل	**عسكر الإيمان والقرآن**
فالدار دار سلامة وخطابهم	**فيها سلام واسم ذي الغفران**

وسأتناول بإذن الله تعالى فى هذا الفصل المباحث الآتية :

المبحث الأول : التعريف بالجنة .

المبحث الثانى : أسماء الجنة .

المبحث الثالث : وجود الجنة الآن وأنها مخلوقة .

المبحث الرابع : دخول الجنة بفضل الله ورحمته .



(١)سورة الحجر آية ٤٧

(٢)نونية آبن القيم « وصف الجنة »

المبحث الأول
التعريف بالجنة

الجنة : « هى دار النعيم فى الدار الآخرة من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها . قال : وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنة جنا إذا ستره ، فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإضلالها [1] . »

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ولما علم الموفقون ماخلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رءوسهم فاذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ولا ينفذ بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص إن أضحك قليلا أبكى كثيراً ، وإن سر يوماً أحزن شهوراً . آلا مه تزيد على لذّاته وأحزانه أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره متالف ، فيا عجباً من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ [2] عاقل آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان [3]ضيقة آخرها الخراب والبوار وأبكاراً عرباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات فى

---

(١)لسان العرب مادة (جنن) ١٣ / ١٠٠

(٢)المسلاخ : الجلد ويقال فى المدح والذم : هو ملك أو حمار فى مسلاخ إنسان المعجم الوسيط ١ / ٤٤٢

(٣)أعطان : العطن للإبل : كالوطن للناس ، وقد غلب على مبركها حول الحوض والمعطن كذلك ، والجمع أعطان – لسان العرب مادة عطن ١٣ / ٢٨٦ .

الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب بخس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين . ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم . وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يأهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تطعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى
متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة
حبا لذكرك فيلمنى اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً ، ونادى على رءوس الأشهاد ، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد ، فلوتوهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضاع وأنه لا خير فى حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال ، فهم فى روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال [1] يجلسون ، وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون . وبأنواع

(١)الحجال : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار . لسان العرب مادة حجل ١١/ ١٤

الثمار يتفكهون ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون تالله لقد نودي عليها فى سوق الكساد فما قلب [1] ولا استام إلا أفراد من العباد فوا عجباً لها كيف نام طالبها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ؟ وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قر للمشتاق القرار ، دون معانقة أبكارها وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين [2] » .



(١)فى الأصل « فما قلب ورأيت الصح » فما قبل « طبعة المدنى بالقاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ ص ٩

(٢)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٩

المبحث الثانى
أسماء الجنة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار »[1] .

١ - **الجنة** : وقد سبق التعريف بها فى أول هذا المبحث . وهي الاسم لهذه الدار دار اللذة والنعيم ، والحياة السرمدية التى لاتزول . قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ** [2] ﴾ والآيات فى هذا كثيرة .

٢ - **دار السلام** : أي المنزل السالم من العيوب لا لغو فيها ولا تأثيم كما أخبر تعالى ﴿ **يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ** [3] ﴾ وكما قال تعالى ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا** [4] ﴾ وكما قال تعالى ﴿ **لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا** [5] ﴾ . إنها دار السلام كما أخبر الله عز وجل بذلك ﴿ **لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** [6] ﴾ .

---

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٧١
(٢) سورة النساء آية ١٢٤
(٣) سورة الطور آية ٢٣
(٤) سورة الواقعة آية ٢٥ – ٢٦
(٥) سورة النبأ آية ٣٥
(٦) سورة الانعام آية ١٢٧

قال ابن كثير : « وإنما وصف الله الجنة هاهنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام »[1] . والله ﷻ يدعو عباده إلى هذه الدار السالمة من الهموم والأحزان فيقول تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

٣ - **دار الخلد** : سميت بدار الخلد لخلود أهلها فيها فلا يحولون عنها ولا هي تفنى فتزول قال الله تعالى ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ [3] ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ [4] ﴾ إن الخير هو فى جنة الخلد لا جهنم وعذابها وخلود أهلها فيها . فجنة الخلد هى التى فيها السعادة الأبدية والنعيم المقيم .

٤ - **دار المقامة** : محط الرحل لأهل الجنة أي مستقرهم الأخير الذى لا عنه يظعنون ولا منه يزولون قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [5] .

هذا مقالة الذين أكرمهم الله ﷻ بالالتزام فى الدنيا والصبر على لا وائها وأحزانها ومكارهها وما مروا به من مواقف شاقة منذ الموت وحتى

(١)تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٨٢
(٢)سورة يونس آية ٢٥
(٣)سورة ق آية ٣٤
(٤)سورة الفرقان آية ١٥
(٥)سورة فاطر آية ٣٤ – ٣٥

دخلوا الجنة وذهب ماكانوا يجدون وأطمأنت نفوسهم واستراحت أجسامهم وتمتعوا بالنعيم الطيب فى دار المقامة .

قال ابن جرير ﷺ تعالى « دار المقامة : دار الإقامة التى لا نقلة معها عنها ولا تحول والميم إذا ضمت من المقامة فهي على الإقامة ، فإذا فتحت فهى من المجلس والمكان الذى يقام فيه [1] » .

٥ - **جنة المأوى** : المأوى : « كل مكان يأوي إليه شئ ليلا أو نهارا . وجنة المأوى : قيل جنة المبيت [2] . » قال الله تعالى ﴿ **أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** [3] ﴾ . قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى ﷺ : « أي الجنات التى هي مأوى اللذات ، ومعدن الخيرات ومحل الأفراح ،ونعيم القلوب ،والنفوس،والأرواح ، ومحل الخلود ، وجوار الملك المعبود ، والتمتع بقربه ، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه . . . فأعمالهم التى تفضل الله بها عليهم،هي التى أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية التى لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال ولا بالجنود والخدم ،ولا با لأولاد، بل ولا بالنفوس و الأرواح ، ولا يتقرب إليها بشئ أصلا سوى الإيمان والعمل الصالح» . [4]

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ١٣٩ الطبعة الحلبية

(٢)لسان العرب مادة (أو ١) ١٤ / ٥٢

(٣)سورة السجدة آية ١٩

(٤)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٦ / ١٨٥

وقـال تعـالى ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ** ﴾ [١] وقال تعـالى ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ** ﴾ [٢] .

٦ - **جنات عدن** : عدن فلان بالمكان يِعْدِنُ ويَعْـدُنُ عـدنا وعـدوناً : أقـام . وعدنت البلد توطنته . ومركز كل شئ معدنه ، وجنات عـدن منـه أي جنات إقامة لمكان الخلد وجنات عـدن بطنانهـا . وبطنانهـا: وسـطها . وبطنان الأودية : المواضع التى يستريض فيها ماء السيل فيكرم نباتهـا ، واحدها بطن . واسم عدنان مشـتق مـن العـدن وهـو أن تلـزم الابـل المكان فتألفه ولا تبرحه . . . » [٣]

قـال الله تعـالى ﴿ **وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** [٤] ﴾ قال ابـن عبـاس رضي الله عنهما : « جنـات عدن هي بطنان الجنة وبطنانها : وسطها وهـي أعـلى درجـة فى الجنـة ، وهي دار الرحمن ﷻ ، وسقفها عرشه ، خلقها بيده وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها » [٥] .

(١)سورة النجم آية ١٣ – ١٥
(٢)سورة النازعات آية ٤٠ – ٤١
(٣)لسان العرب مادة (عدن) ١٣ / ٢٧٩
(٤)سورة التوبة آية ٧٢
(٥)زاد المسير فى علم التفسير ٣/ ٤٦٩

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن** » (١) .

وقال الله تعالى ﴿ **جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ** ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ **جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ** ﴾ (٤) . وقال تعالى ﴿ **جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ** ﴾ (٥) وقال تعالى ﴿**جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا** ﴾ (٦)

وقد وردت آيات كثيرة فى هذا الشأن :

٧ - دار الحيوان : قال الله تعالى ﴿ **وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ** ﴾ (٧) . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « المراد الجنة عند أهل التفسير. » (٨)قال الزمخشرى : أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة

(١)رواه البخاري كتاب التوحيد باب ٢٤ حديث ٧٤٤٤ ورواه مسلم كتاب الايمان ٢٩٦ – حديث ١٨٠ ورواه الترمذي كتاب الجنة باب ٣ حديث ٢٥٢٨ ورواه ابن ماجه فى المقدمة باب ١٣ حديث ١٨٦ ، ورواه الدرامي كتاب الرقاق باب جنات الفردوس ٢ / ٣٣٣ ورواه – أحمد فى المسند ٤ / ٤١١

(٢)سور الرعد آية ٢٣

(٣)سورة النحل اية ٣١

(٤)سورة الكهف آية ٣١

(٥)سورة مريم آية ٦١

(٦)سورة طه آية ٧٦

(٧)سورة العنكبوت آية ٦٤

(٨)حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٧٤

خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة ، والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واو »كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمي مافيه حياة حيواناً ، قالوا : اشتر من الموتان ولاتشتري من الحيوان وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهي مافى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك ، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دالّ على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضي للمبالغة . » (١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « فيحتمل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ معنيين :

أحدهما:أن الحياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أي لايشوبها مايشوب الحياة فى هذه الدار فيكون الحيوان مصدراً على هذا .

الثانى : أن يكون المعنى أنها الدار التى لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يغنى الأحياء فى هذه الدنيا فهى أحق بهذا الاسم من الحيوان الذى يفنى ويموت . » (٢)

---

(١)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ٣/ ٢١١

(٢)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٧٤

٨ - **الفردوس** : قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [١] .

هذا نزل الذين آمنوا وعملوا الصالحات إكراماً وضيافة على ماقدموا فى الحياة الدنيا . فهي منزلهم الأبدي الذى لا يرغبون عنه بديلاً .

قال كعب : ليس فى الجنات جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر . وقال قتادة : الفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها [٢] » . وقال تعالى بعد ذكر أعمال المؤمنين الطيبة ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، قالوا يارسول الله أفلا ننبيء الناس بذلك قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، كل درجتين مابينهما كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** » [٤] وعن أنس بن مالك أن أم حارثة [٥] أتت

(١)سورة الكهف آية ١٠٧ – ١٠٨

(٢)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٣/ ١٨٦

(٣)سورة المؤمنون آية ١١

(٤)رواه البخارى كتاب التوحيد باب ٢٢ حديث ٧٤٢٣ . ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٣٣٥

(٥)(أم حارثة) هي الربيع بالتشديد بنت النضر عمة أنس بن مالك رضي الله عنهم
انظر فتح البارى ٧/ ٣٠٥

رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة [(١)] يوم بدر أصابه سهم غرب [(٢)] فقال يارسول الله ، قد علمت موقع حارثة من قلبى فإن كان فى الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى ما أصنع .فقال لها : « هبلت أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه فى الفردوس الأعلى [(٣)] » .

٩ - **جنات النعيم** : قال الله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [(٤)] . وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [(٥)] وقال تعالى ﴿ **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [(٦)] وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ** ﴾ [(٧)] قال الألوسي : « أي النعيم الكثير وإضافة الجنات إليه باعتبار اشتمالها عليه نظير قولك : كتب الفقه » . [(٨)]

---

(١)حارثة : بالمهملة والمثلثة ابن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري بن عدي بن النجار . وأبوسراقة له صحبة واستشهد يوم حنين – انظر فتح البارى ٧/ ٣٠٥

(٢)سهم غرب : أى لايعرف راميه . يقال سهم غرب بفتح الراء وسكونها وبالاضافة وغير الاضافة – النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٥٠

(٣)رواه البخارى كتاب الرقاق باب ٥١ حديث ٦٥٦٧ ورواه أحمد فى المسند ٣/ ١٢٤

(٤)سورة المائدة آية ٦٥

(٥)سورة يونس آية ٩

(٦)سورة الحج آية ٥٦

(٧)سورة لقمان آية ٨

(٨)روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٢١/ ٨٠

وقال تعالى فى ذكر ما أعد لعباده المخلصين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (١) . وقال تعالى ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٢)

١٠ - **المقام الأمين** : والمقام والمقامة : « الموضع الذى تقيم فيه (٣) » . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾ (٤) فوصف الله ﷻ هذا المقام بأنه أمين وهو منزل عباد الله الصالحين لا خوف عليهم فى تلك الدار – الجنة – من أي وجه من الوجوه لا على الأنفس ولا الأهل ولا المعيشة ولا التحول ولا التغير بل حياة دائمة فى دار قائمة . قال تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ (٥) قال ابن جرير رحمه الله تعالى : « إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه فى موضع إقامة ، آمنين فى ذلك الموضع مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان » (٦).

١١- **مقعد صدق**:«القعود نقيض القيام .قعد قعوداً ومقعداً أي جلس» (٧)

الصدق : نقيض الكذب ، صدق يصدق صدقاً وتصداقا . وصدقة : قبل قوله » (٨) .

(١)سورة الصافات آية ٤١ – ٤٣
(٢)سورة القلم آية ٣٤
(٣)لسان العرب مادة (قوم) ١٢ / ٤٩٨
(٤)سورة الدخان آية ٥١ – ٥٢
(٥)سورة الفرقان آية ٧٦
(٦)جامع البيان من تأويل القرآن ٢٥/ ١٣٥
(٧)لسان العرب مادة (قعد) ٣/ ٣٥٧
(٨)لسان العرب مادة (صدق) ١٠ / ١٩٣

قــال الله تعــالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[1] هذا مثوبة الذين اتقوا ربهم باجتناب المعاصي وعمل الطاعات يتنعمون فى الجنات لا يسمعون فى ذلك لغواً ولا تأثيماً كما أخبر الله تعالى ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[2] فقد سمى الله تعالى جنته « مقعد صدق » . قال ابن جرير رحمه الله تعالى ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ يقول : فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ يقول : عند ذى ملك مقتدر على مايشاء وهو الله ذو القوة المتين ، تبارك وتعالى »[3]. « وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى هذه الأسماء فى كتابه حادى الأرواح » .[4]



(١)سورة القمر آية ٥٤ – ٥٥
(٢)سورة الواقعة ٢٥ – ٢٦
(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧ / ١١٣ الطبعة الحلبية
(٤)حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح صـ٧١

المبحث الثالث
وجود الجنة الآن وأنها مخلوقة

قال الله تعالى ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ (١) لما أورد الله تعالى قصة صاحب « يس » وما كان من أمره فى دعوة قومه باتباع رسل الله ﷻ ، وقتل قومه له ، بين الله ﷻ دخوله الجنة وما كان له من الكرامة ، وهذا فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون بعدهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين فى ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها . إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل ينشئها يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله ، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه على خلقه فى أفعالهم فهم مشبهة فى الأفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها (٢) » .

قال ابن العز : فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب وحرفوا النصوص عن مواضعها وضلوا وبدعوا من خالف شريعتهم » (٣)

---

(١)سورة يس آية ٢٦ — ٢٧

(٢)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ١٣

(٣)شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٤ تحقيق شعيب الأرناؤوط

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢) وفى هذا دلالة على وجود الجنة الآن وأنها فى السماء كما فى آيات النجم وفى الآيات التى فى سورة الأعراف كما قال تعالى ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٣) والأحاديث كثيرة جدا فى وجود الجنة الآن وأنها مخلوقة .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لما خلق الله الجنة ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالمكاره فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال : ولما خلق الله النار ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ، فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، فلما رجع ، قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها** (٤) » .

---

(١)سورة النجم آية ١٣ – ١٥ .

(٢)سورة الحديد آية ٢١ .

(٣)سورة الأعراف آية ١٩ – ٢٤

(٤)جامع الأصول ١٠ / ٥٢٠ رواه أبو داود رقم ٤٧٤٤ فى كتاب السنة باب فى خلق الجنة والنار ، والترمذى رقم ٢٥٦٣ فى صفة الجنة باب حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات والنسائى ٧/ ٣ فى الإيمان والنذور باب الحلف بعزة الله تعالى ، ورواه أيضا ابن حبان والحاكم وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال ، قاله شعيب الأرناؤوط.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه : قالوا يارسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك كعكعت [1] . قال ﷺ : « **إنى رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه مابقيت الدنيا . ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع . ورأيت أكثر أهلها النساء** . قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : **بكفرهن** قيل : يكفرن بالله ؟ قال : « **يكفرن العشيرو يكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : مارأيت منك خيراً قط** » » . [2]

وفى حديث الإسراء عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : فيما يحدث به عن رسول الله ﷺ : أنه قال ﷺ : « **ثم انطلق بى حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللؤلؤ** [3] **، واذا ترابها المسك** » [4] .

(١)كعكعت : أي أحجمت ورجعت إلى وراء . النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١٨٠ .

(٢)رواه البخارى فى كتاب الكسوف باب ٩ حديث ١٠٥٢ ورواه مسلم فى كتاب الكسوف حديث ٩٠٧

(٣)حبائل اللؤلؤ : أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل كأنه جمع حبا لة و حبالة جمع حبل . انظر النهاية ١/ ٣٣٣

(٤)رواه البخارى فى كتاب الصلاة باب ١ حديث ٣٤٩ ورواه مسلم كتاب الإيمان حديث ١٦٣ ورواه أحمد فى المسند ٥/ ١٤٤ وجاء عند مسلم وأحمد جنابذ اللؤلؤ بدل حبايل كما جاء عند البخاري . وجنابذ جمع جنبذة وهي القبة – انظر النهاية فى غريب الحديث ١/ ٣٠٥

أما أقوال القائلين بعدم خلق الجنة والنار الآن . فهي الآتى :

١ - قال الله تعالى ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ [(١)]. وقال تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ** ﴾ [(٢)] . قالوا : لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت ، فتموت الحور العين التى فيها والولدان وقد أخبر سبحانه أن الدار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ [(٣)]».

٢ - ومن السنة : عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «**من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة** [(٤)] » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لقيت إبراهيم ليلة أسري بى فقال : يامحمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** [(٥)] » . وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة** [(٦)] » .

---

(١)سورة القصص آية ٨٨

(٢)سورة آل عمران آية ١٨٥

(٣)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٣٧

(٤)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الصلاة باب ٦٥ حديث ٤٥٠ ورواه مسلم فى صحيحة كتاب المساجد حديث ٥٣٣

(٥)رواه الترمذى كتاب الدعوات باب ٥٩ حديث ٣٤٦٢ وقال حديث حسن غريب

(٦)رواه الترمذى كتاب الدعوات باب ٦٠ حديث ٣٤٦٤ وقال الترمذى حديث حسن صحيح غريب

قالوا : فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لهذا الغرس معنىً ، وقالوا قد قال الله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ [1] ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بني له بيتاً أنسج لي ثوباً وابن لي بيتاً وأصرح من هذا قول النبي ﷺ : « **من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة** »[2] . متفق عليه . وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضى وقوع الجزاء بعد الشرط باجماع أهل العربية [3] . فكانت أدلتهم حول هذا الأمر . وقد أوردنا من الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة مايثبت الحق ويدحر الشبه وأن الجنة مخلوقة وموجودة الآن . وقد رد العلماء رحمهم الله تعالى على أدلة المعترضين بعدم خلق الجنة وأنها موجودة الآن بما يوافق المقام .

١ – ماكان من الآيات : فلم يفهموا معنى ذلك وكان معناها هو :

قال الامام البخاري فى صحيحه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا ملكه. ويقال : إلا ما أريد به وجه الله » [4] .

وقال ابن كثير : « إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذى تموت الخلائق ولا يموت . وقال مجاهد والثورى « إلا ما أريد به وجهه » [5] .

٢ – أما ما كان من استدلالهم بالأحاديث فتوجيه ذلك هو الآتى :

قال ابن حزم : « وإنما قلنا إنهما مخلوقتان – الجنة والنار – على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها مايشاء من البنيان » [6] .

---

(١)سورة التحريم آية ١١

(٢)سبق تخريجه ص ٢٣٥

(٣)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٣٧

(٤)صحيح البخارى كتاب التفسير سورة القصص . فتح البارى ٨/ ٥٠٥

(٥)تفسير القرآن العظيم ٣/ ٦٤٣

(٦)الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٤/ ٨١ نشر مكتبة الخانجى بمصر

وقال ابن القيم ﷺ تعالى نحو ماتقدم فى رده على تلك الطائفة وبطلان قولهم . « أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها ، وجميع ما أعد الله فيها لأهلها وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئا بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر ، فهذا حق لا يمكن رده ، وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر . . [1] » .

ومن الآيات والأحاديث وأقوال العلماء يظهر واضحا وجود الجنة الآن وأنها مخلوقة ولو اعترض من اعترض وأوّل من أوّل فأقوالهم وحججهم غير قائمة . فالحق عليه نور لمن نور الله تعالى بصيرته وهداه إليه وإن خفي على العميان الذين استزلهم الشيطان وحرفهم عن الهدى وأوقعهم فى مهاوى الردى .

قال تعالى ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا [2] ﴾ .



(١)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٣٨

(٢)سورة الكهف آية ١٧

المبحث الرابع
دخول الجنة بفضل الله ورحمته

الله ﷻ جعل تحقق تأدية توحيده وبقية شرائع دينه سبباً فى دخول الجنة وليس ثمناً مقابلاً- عوضاً- لأنه فرق بين الثمن الذى هو الأعمال الصالحة والسلعة المعروضة – الجنة – ولكن الله بفضله ورحمته جعل هذا سبباً فى الحصول على هذا تبؤ كلٌ منزله و درجته على قدر عمله فإذا انتفت الأسباب – الأعمال الصالحة – انتفى المقصود – الجنة – .

قال الله تعالى ﴿ **وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [(١)].

قال القرطبي : « ومعنى ﴿ **أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ أي ورثتم منازلها بعملكم ودخولك إياها برحمة الله وفضله كما قال تعالى ﴿ **ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ** ﴾ [(٢)] وقال تعالى ﴿ **فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ** ﴾ [(٣)] . قال الزمخشرى فى الكشاف : « بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة » اهـ . فرد عليه الشوكانى رحمه الله فقال : « أقول يامسكين هذا قاله رسول الله ﷺ فيما صح عنه : « **سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله** ، قالوا ولا أنت يارسول الله ؟ قال : **ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته** » [(٤)] .

---

(١)سورة الأعراف آية ٤٣

(٢)سورة النساء آية ٧٠

(٣)سورة النساء آية ١٧٥

(٤)رواه البخارى عن عائشة رضي الله عنها فى كتاب الرقاق باب ١٨ حديث ٦٤٦٧ ، ورواه مسلم فى كتاب صفات المنافقين حديث ٢٨١٨ عن أبى هريرة وزاد « واعملوا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل »

والتصريح لا يستلزم نفي سبب آخر ، ولولا التفضل من الله ﷻ على العامل بإقداره على العمل لم يكن عملاً أصلاً ، فلولم يكن التفضل إلا بهذا الإقدار لكان القائلون به محقة لا مبطلة »[1] .

وقد غلط فى فهم هذا الأمر البعض ممن عميت بصيرتهم وقل فهمهم وبعدت بهم الشقة فلم يتبصروا فى الكتاب ومعانيه والسنة وما اقتضت حتى آل بهم الأمر إلى ماهم عليه من الغلط .

قال ابن أبى العز : « وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنة . . فان الباء التى فى النفي غير الباء التى فى الإثبات فالمنفي فى قوله ﷺ « **لن يدخل الجنة أحد بعمله** » باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله ، بل ذلك برحمة الله وفضله . والباء التى فى قوله تعالى ﴿ **جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ [2] وغيرها باء السبب أي بسبب عملكم والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته » [3] .

قال ابن القيم ؒ تعالى : « ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به والله ﷻ المستعان » [4] .

---

(١)فتح القدير ٢/ ٢٠٦

(٢)سورة السجدة « آلم) آية ١٧

(٣)شرح الطحاوية ص ٥٠٧ تحقيق بشير محمد عيون

(٤)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٦٦

الفصل العاشر
النار

النـار سـجن الكفـرة والفجـرة والظلمـة والفسـقة والمنـافقين والمسرـفين والمشركين ومن كان على شاكلتهم ونهج نهجهم من عباد الله الضالين الذين تركـوا الحق والعمل به وارتكبوا الباطل والتلذذ به وقـد أخـبر الله تعـالى عـنهم فى كتابـه الكريم مبينا جزاءهم وسوء مصيرهم .

قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾ [2]. وقال تعـالى ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ [3] . وقـال تعـالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [4] . وقال تعـالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [5] . وقال تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾[6] وقـال تعـالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [7] وقـد خلـق الله ﷻ النـار

(١)سورة البقرة آية ٣٩
(٢)سورة الانفطار آية ١٤
(٣)سورة الكهف آية ٢٩
(٤)سورة السجدة آية ٢٠
(٥)سورة النساء آية ١٤٥
(٦)سورة غافر آية ٤٣
(٧)سورة البينة آية ٦

وجعلها دار الكافرين ولم يكن سبحانه ظالماً لهم بل هذا من كمال عدله جـزاء عـلى ماكان منهم فى الحياة الدنيا من سوء العمل . وسـأتناول فى هـذا الفصـل المباحـث التالية :

المبحث الأول : التعريف بالنار .

المبحث الثانى : أسماء النار .

المبحث الثالث : وجود النار الآن وأنها مخلوقة .

المبحث الرابع : دخول النار بعدل الله ﷻ .



المبحث الأول
التعريف بالنار

النار : « معروفة أنثى وهي من الواو لأن تصغيرها نويرة . وفى التنزيـل ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [1] » [2]

والنار خلق من خلق الله تعالى خلقها ﷻ وجعلها عذابا للمجرمين الذين خرجوا على دينه وتمردوا على رسله ، فهي عذاب حسّي ، تختلف فى قوة عذابها الحراري والزمهريرى . فلكل من يدخلها مكان يتلاءم مع جرمه ، وعذاب على قدر ذلك ، لأن الجزاء من جنس العمل . قال تعالى ﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴾ [3] .

عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها على رسول الله ﷺ ما شاء الله وأنا غلام حديث السنّ وبيتي المسجد قبل أن أنكح ، فقلت فى نفسي لو كان فيك خير لرأيت مثل مايرى هؤلاء فلما اضطجعت ليلة ، قلت : اللهم إن كنت تعلم في خيراً فأرني رؤيا . فبينما أنا كذلك إذ جاءنى ملكان فى يد كل منهما مقمعة من حديد يقبلان بها إلى جهنم وأنا بينهما أدعوا الله : اللهم أعوذ بك من جهنم ، ثم أراني لقيني ملك فى يده مقمعة من حديد فقال : لن تراع ، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة . فانطلقوا بي حتى وقفوا على شفير جهنم ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، له قرون كقرون البئر بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد وأرى فيها

---

(١)سورة النمل آية ٨

(٢)لسان العرب مادة « نور » ٥/ ٢٤٢

(٣)سورة النبأ آية ٢٦

رجالاً معلقين بالسلاسل رؤسهم أسفل ، عرفت فيها رجالاً من قريش ، فانصرفوا بى ذات اليمين . فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن عبد الله رجل صالح** » فقال نافع : لم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم** » . قيل يارسول الله ان كانت لكافية ، قال : « **فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها** » (٢) .

قال ابن حجر : والمعنى على نيران الدنيا ، وفى رواية مسلم « فضلت عليها » « أى على النار » (٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لما خلق الله الجنة . قال لجبريل : اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها . فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فحفها بالمكاره فقال : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد . قال ولما خلق الله النار ، قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليه ثم جاء فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ، فقال : إذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها**

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التعبير باب ٣٥ حديث ٧٠٢٨ ، ٧٠٢٩ ورواه مسلم فى صحيحه بنحوه كتاب الصحابة حديث ٢٤٧٩ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ١٤٦

(٢)رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ١٠ حديث ٣٢٦٥ وروى مسلم نحوه كتاب الجنة حديث ٢٨٤٣ ، والترمذي كتاب صفة جهنم باب ٧ حديث ٢٥٨٩

(٣)فتح البارى ٦/ ٣٣٤

فلما رجع قال : وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها [١] » والشاهد من هذا هو ماحفت به النار من الشهوات حتى خشي جبريل عليه السلام أن لا يبقى أحد إلا دخلها، وحقاً ذلك فأغلب الناس يتهافتون على المعاصي ويقعون فيها على اختلافها رغم وضوح الحجة وبيان الحق .

والنار منظرها بشع مخيف مهول ولم ير الرسول ﷺ منظراً قط أفظع من منظر النار . فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه : قالوا يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئا فى مقامك ثم رأيناك كعكعت . قال ﷺ : « **إنى رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع . ورأيت أكثر أهلها النساء** » . قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : « **بكفرهن** » قيل : يكفر بالله ؟ قال : « **يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : مارأيت منك خيراً قط** » [٢] . لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ودفنت وقف الفرزدق على قبرها وأنشد بحضور الحسن رحمه الله هذه الأبيات قال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى أشد ... من القبر إلتهاباً وأضيقا

(١)جامع الأصول ١٠ / ٥٢٠ ورواه أبو داود رقم ٤٧٤٤ فى السنة باب فى خلق الجنة والنار ، والترمذى رقم ٢٥٦٣ فى صفة الجنة باب حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ، والنسائى ٧/ ٣ فى الايمان والنذور باب الحلف بعزة الله تعالى ورواه أيضا ابن حبان والحاكم وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وهو كما قال . قاله شعيب الأرناؤوط فى تحقيقه لجامع الأصول .

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الكسوف باب ٩ حديث ١٠٥٢ ، ورواه مسلم فى كتاب الكسوف حديث ٩٠٧ .

إذا جاءني يوم القيامة قائد — عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى — إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى الجحيم مسربلاً — سرابيل قطران لباساً محرقا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم — يذوبون من حر الصديد تمزقا

فبكى الحسن رحمة الله عليه .فهاهى النار جعلها الله عذابا للكافرين ، فهي دارهم ومستقرهم ، يصلون عذابها من حرارة وزمهرير لا يفتر عنهم ساعة ولا هم ينظرون يتقلبون فيها ولا يجدون لهم ولياً ولا نصيراً [1] .



(١)التخويف من النار ص ١٦٥ تحقيق بشير محمد عيون .

المبحث الثانى
أسماء النار

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (١) .

قال عكرمة : « سبعة أبواب ، سبعة أطباق . وقال ابن جريج : أولها : جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . وقال الضحاك : باب لليهود ، وباب للنصارى ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب ، وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبدا (٢) » .

طبقات النار تختلف عن بعضها فى قوة العذاب ، ومن سيدخلون النار سيكون كل فى المكان الذى يوافق جرمه ، ولا يعنى أن كل أمة من الأمم الذين سيدخل معذبوها النار أن لهم طبقة تختص بهم لأن الناس يختلفون ويتفاوتون فى جرائمهم فكل سيكون فى المكان الملائم لجرمه من طبقات النار . عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : « **إن منهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته (٣) ومنهم من تأخذه الى عنقه (٤)** » .

---

(١)سورة الحجر آية ٤٣ – ٤٤

(٢)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٥٥

(٣)حجزته : هي معقد الإزاز و السراويل – صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٤ تحقيق محمد فؤاد

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٤٥

أما أسماء النار فالمقصود بذلك طبقات النار حيث لكل طبقة من الطبقات اسم وسنرى تعريف كل اسم :

١- **جهنم** : « الجهنام : القعر البعيد . وبئر جهنم وجنهام بكسر الجيم والهاء : بعيدة القعر ، وبه سميت جهنم لبعد قعرها » [(١)].

قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [(٢)] . وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾ [(٣)] وقال تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [(٤)] . وقال تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [(٥)] وقال تعالى ﴿ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [(٦)].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام . مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** » [(٧)]

---

(١)لسان العرب ٢/ ١١٢

(٢)سورة النحل آية ٢٨ – ٢٩

(٣)سورة الكهف آية ١٠٢

(٤)سورة يس آية ٦٣ – ٦٤

(٥)سورة ق آية ٣٠

(٦)سورة الفجر آية ٢٣

(٧)رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة الجنة باب ما جاء فى شدة حر جهنم وبعد قعرها وما تأخذه من المعذبين حديث ٢٨٤٢ ، ورواه الترمذى فى سننه كتاب صفة جهنم باب ١ حديث ٢٥٧٣ وقال : قال عبد الله : والثورى لا يرفعه . وقال النووى « هذا الحديث مما استدركه الدار قطنى على مسلم وقال : رفعه وهم . رواه الثوري ومروان وغيرهما عن المعلاّ بن خالد موقوفا . قلت: النووى. وحفص ثقة حافظ إمام فزيادة الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين . شرح النووى على مسلم ١٧ / ١٧٨

٢- **لظى** : « اسم من أسماء جهنم فلذلك لم يجره » [(١)] . قال ابن منظور : لظى : اسم جهنم نعوذ بالله منها غير مصروف لا تنون ولا تنصرف للعلمية والتأنيث وسميت بذلك لأنها أشد النيران . [(٢)]
قال الله تعالى ﴿ **كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ** [(٣)] ﴾ . وقال تعالى ﴿ **فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ** [(٤)] ﴾ قال مجاهد : أي توهج » [(٥)] .

٣- **الحطمة** : اسم من أسماء النار كقوله جهنم ، وسقر ، ولظى ، فلو ألقيت منها الألف واللام إذ كانت اسماً لم يجر [(٦)] » .
قال الله تعالى ﴿ **كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ** [(٧)] ﴾ .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ فى صلاة الكسوف : « **فرأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتمونى تأخرت** » [(٨)]وسميت النار الحطمة : لأنها تحطم كل شئ [(٩)] » .

---

(١)معانى القرآن للغراء ٣/ ١٨٤
(٢)لسان العرب مادة (الظي) ١٥/ ٢٤٨
(٣)سورة المعارج آية ١٥ – ١٦
(٤)سورة الليل آية ١٤
(٥)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٨٢٣
(٦)معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٩٠
(٧)سورة الهمزة آية ٤ – ٦
(٨)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الأذان باب ٩١ وهذا طرف من حديث وصله المؤلف فى كتاب العمل فى الصلاة باب ١١ حديث ١٢١٢ ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الكسوف حديث ٩٠١
(٩)االنهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٠٣

٤- **السعير** : فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا أوقدتها وألهبتها [١] » . قال الله تعالى ﴿ **وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** [٣] ﴾ . وقال تعالى ﴿ **وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ** [٤] ﴾. وقال تعالى ﴿ **مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا** [٥] ﴾.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان .فقال : « أتدرون ماهذان الكتابان ؟ فقلنا : لا. يارسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال : « للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذى فى شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال : أصحابه ففيم العمل يارسول الله إن كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : « **سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل ، ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ، ثم قال : فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير** [٦] » . والشاهد من هذا الحديث هو ماجاء عنه ﷺ فى قوله « **فريق فى الجنة وفريق فى السعير** » .

---

(١)روح المعانى ٤/ ٢١٦

(٢)سورة سبأ آية ١٢

(٣)سورة الشورى آية ٧

(٤)سورة التكوير آية ١٢

(٥)سورة الاسراء آية ٩٧

(٦)رواه الترمذي فى سننه كتاب القدر باب ٨ حديث ٢١٤١ . وقال : وفى الباب عن ابن عمر وهذا حديث حسن غريب صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٢/ ١٦٧ .

٥- **سقر** : اسم من أسماء جهنم . وقيل سميت سقر لأنها تذيب الأجسام والأرواح والاسم عربى من قولهم سقرته الشمس أي أذابته » [١].

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ [٣]﴾ وقال تعالى ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ [٤] ﴾ الآيات .

٦- **الجحيم** : اسم من أسماء النار ، وكل نار عظيمة فى مهواة فهي جحيم من قوله تعالى ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ [٥] ﴾ . وجحم النار : أوقدها وجحمت ناركم تجحم جحوماً : اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها وهي جحيم وجاحمة وجمر جاحم : شديد الاشتعال . » [٦]

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ [٧] ﴾ وقال تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [٨] وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [٩] وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [١٠] .

---

(١) لسان العرب « سقر » ٤/ ٣٧٢ .
(٢) سورة القمر آية ٤٨ .
(٣) سورة المدثر آية ٢٦ – ٢٨ .
(٤) سورة المدثر آية ٤٢ – ٤٣ .
(٥) سورة الصافات آية ٩٧ .
(٦) لسان العرب « جحم » ١٢ / ٨٤ – ٨٥ .
(٧) سورة النازعات آية ٣٧ – ٣٩ .
(٨) سورة الحاقة آية ٣١ .
(٩) سورة التكوير آية ١٢ .
(١٠) سورة المائدة آية ١٠ .

٧- الهاوية : اسم من أسماء جهنم وهي معرفة بغير ألف ولام . وقوله ﷻ ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ « أى مسكنة جهنم ومستقرة النار » [١].

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [٢]. قال القرطبي بعد ذكر بعض أقوال العلماء فى طبقات النار وأهلها : ومثله لا يكون رأياً وإنما يدرك توقيفاً ، ثم من هذه الأسماء ماهو اسم علم للنار كلها نحو جهنم وسقر ولظى وسموم فهذه أعلام ليست لباب دون باب فاعلم ذلك . وفى التنزيل ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ يريد النار بجملتها كما ذكرنا أجارنا الله منها بمنه وكرمه آمين». [٣]

وقال ابن القيم عند ذكره لأسماء الجنة : ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب ﷻ وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار [٤] » .



(١)لسان العرب « هواء » ١٥ / ٣٧٣ .

(٢)سورة القارعة آية ٨ – ١١ .

(٣)التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة باب ماجاء فى جهنم وأنها أدراك ولمن هي ص ٤٦١ .

(٤)حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ص ٧١ .

المبحث الثالث
وجود النار الآن وأنها مخلوقة

النار خلق من خلق الله تعالى خلقها الله تعالى وجعلها مقراً لمن عصاه فى الحياة الدنيا ولم يستجب لداعي الله تبارك وتعالى . قال الله تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ (١) قال ابن كثير : وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن » (٢) . وقال تعالى ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ (٣) .

فالله ﷻ قد أرصد وهيأ نار جهنم للكافرين ، فهى مخلوقة وموجودة الآن . قال تعالى ﴿ **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (٤) . وقد أوضحت السنة هذا فعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم** (٥) » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين : نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير** » . (٦)

---

(١)سورة البقرة آية ٢٤ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ١/ ٩٥ .

(٣)سورة آل عمران آية ١٣١ .

(٤)سورة الفتح آية ٦ .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ١٠ حديث ٣٢٥٩ .

(٦)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ١٠ حديث ٣٢٦٠ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال :« **الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء** ». [(1)]

قال ابن حجر : هذه الأحاديث من أقوى الأدلة على ماذهب إليه الجمهور من أن جهنم موجودة الآن . [(2)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : « **تدرون ماهذا ؟** » قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « **هذا حجر رمي به فى النارمنذ سبعين خريفاً ، فهو يهوي فى النار الآن ، حتى انتهى إلى قعرها** [(3)] » . قال الطحاوي : والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلا فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه وكل يعمل لما قد فرغ له ،وصائر إلى ما خلق له [(4)] . وكثيرا ما يرد ذكر الجنة والنار معاً وبيان وجودهما وحقيقتهما .

قال ابن حجر عندما تكلم فى صحيح البخارى على باب « صفة النار وأنها مخلوقة » قال : القول فيه كالقول فى باب « صفة الجنة » سواء » [(5)] .

المساجد حديث ٦١٧ وروى الترمذي نحوه كتاب صفة النار باب ٩ حديث ٢٥٩٢ .

(١)رواه البخارى فى صحيحه كتاب بدء الخلق بال ١٠ حديث ٣٢٦٣ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب السلام ٨١ حديث ٢٢١٠ .

(٢)فتح البارى ٦/ ٣٣٣ .

(٣)رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة الجنة باب فى شدة حر جهنم وبعد قعرها وما تأخذه من المعذبين ٣١ حديث ٢٨٤٤ .

(٤)شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٣ تحقيق شعيب الأرنؤوط .

(٥)فتح البارى ٦/ ٣٣١ .

وقال الحكمى : كلما يذكر – الله ﷻ – الجنة عطف عليها بذكر النار ، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة ، فتارة يعد ويتوعد ، وتارة يرغب فى الجنة ويدعو إليها ، ويرهب من النار ويحذر منها وتارة يخبر عما أعد فى الجنة من النعيم المقيم لأوليائه ، ويخبر عما أرصد فى النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك ، فمن رام استقصاؤه فليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق » [1] .

ولقد أسبقت القول بذكر أقوال القائلين بعدم خلق الجنة والنار والرد عليهم عند ذكر الجنة وأنها مخلوقة بما يكفى عن تكراره فى هذا الموضع .



(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول ٢/ ٢٨٠ .

المبحث الرابع
دخول النار بعدل الله ﷻ

عندما اقتضت حكمة الله ﷻ أن يخلق عباده و أن يوجدهم على هذه الأرض فى الحياة الدنيا وأن يكلفهم بالعبادة خلق الجنة والنار ، وجعل الجنة مقر الطائعين والنار مقر العصاة المنحرفين . ولم يتركهم سدى بل أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وأقام عليهم الحجة لئلا يكون لهم حجة يوم القيامة . قال تعالى ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1] وهذا من كمال عدله ﷻ . قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « وأما النار فإنها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه » .[3]

فمن عدل الله وحكمته أن جعل لكل من عباده جزاء فأهل الصدق و الوفاء الذين سمعوا وأطاعوا جعل لهم النعيم المقيم فى الجنات ، وأهل المخالفة والحيدة عن صراط الله المستقيم العذاب الأليم فى نار جهنم . وهذا من عدله بأن جازى المخالفين بجنس ماعملوا . قال تعالى ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[4] .

---

(١)سورة النساء آية ١٦٥ .

(٢)سورة الاسراء آية ١٥ .

(٣)تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٨ .

(٤)سورة النجم آية ٣١ .

فالنار من عدله تبارك وتعالى يعذب بها الـذين ارتكبـوا محارمـه ولم يسـمعوا ويطيعوا فيقهرهم بها يوم القيامة ولم يكن ظالماً لهم بل من كمال عدله ﷻ قال تعـالى ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [1] .

ولو لم يكن هذا الأمر بتنعيم الطائعين فى الجنة والعصاة فى النارلم تكن هنـاك عدالة حيث لم يفرق بـين الحـق والباطـل والطيـب والخبيـث والمحسـن والمسـئ ، وأصبحت الحياة فى الدنيا فوضى حيث لم يكن هناك ضابط للمخلوقات تسير عليه وتعلم أن بعد الحياة موتاً ثم حساباً ثم مجازاة على الأعمال فى الحياة الدنيا .

ولكن العدالة الربانية اقتضت أن تكون هذه الأمور ليسير نظـام الحيـاة عـلى نسق يتلاءم مع حياة الخلق فى الدنيا ونعيمهم أو عذابهم فى الآخرة .



(١)سورة النحل آية ٣٣ .

الفصل الحادى عشر
أبدية الجنة والنار وخلود أهلهما فيهما

الجنة والنار خلقان من مخلوقات الله تبارك وتعالى موجودتان الآن . والجنة رحمته . جعلها ﷻ نعيم عباده المتقين والملتزمين بأوامره فى الدنيا المتبعين لرسله . والنار عذابه ، جعلها ﷻ عقوبة لعباده الكافرين المخالفين لأوامره فى الدنيا المجتنبين لرسله .

وقد أخبر ﷻ أنه يغفر للعصاه من عباده دون الشرك به إذا شاء كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ (1) وقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (2)

فمن مات من عباد الله تعالى دون الشرك بالله والكفر به وقد استحق العذاب وأدخل النار فإن له أجلا فى النار وعذابها . ثم مصيره إلى الجنة كما ثبت فى أحاديث الشفاعة وغيرها .

وأما الكفار الذين ماتوا على كفرهم فهم خالدون فى نار جهنم أبد الآباد كما أن أهل الجنة خالدون فيها أبد الآباد ، مع أن هناك بعض المعترضين والقائلين بفناء النار وسنذكر إن شاء الله تعالى أدلة أبدية الجنة والنار وأقوال المعترضين ودحضها :

أدلة أبدية الجنة من القرآن وخلود أهلها فيها :

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (3) .

---

(1)سورة النساء آية ١١٦ .
(2)سورة المائدة آية ٧٢ .
(3)سورة هود آية ١٠٨ .

قال ابن كثير : « معنى الاستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمراً واجباً بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائما ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس . وقد قال الضحاك والحسن البصرى هي فى حق العصاة الموحدين الذين كانوا فى النار ثم أخرجوا منها وعقب ذلك بقوله ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي غير مقطوع قاله مجاهد وابن عباس وأبو العالية وغيرواحد لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاع أو لبس أو شئ بل حتم له بالدوام وعدم الانقطاع » . (١)

وقال تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ (٥) والآيات فى هذا كثيرة جدا وصريحة فى خلود أهل الجنة وأبديتها .

أدلة أبدية النار من القرآن وخلود أهلها فيها :

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٦) .

(١)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٧١٢ .

(٢)سورة الحجر آية ٤٨ .

(٣)سورة الدخان آية ٥٦ .

(٤)سورة البينة آية ٧ – ٨ .

(٥)سورة النساء آية ١٢٢ .

(٦)سورة هود آية ١٠٦ – ١٠٧ .

قال ابن كثير : ويحتمل أن المراد بها دامت السموات والأرض الجنس لأنه لابد فى عالم الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [(١)] ولهذا قال الحسن البصرى فى قوله ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ قال: يقول : سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الأرض »[(٢)] .

قال ابن الجوزى فى الاستثناء سبعة أقوال :

١ – ان الاستثناء فى حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة قاله ابن عباس والضحاك .

٢ – أنه استثناء لا يفعله . تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربه ذكره الفراء وهو معنى قول أبى صالح عن ابن عباس : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ قال : فقد شاء أن يخلدوا فيها .

قال الزجاج : وفائدة هذا ، أنه لو شاء أن يرحمهم ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبدا .

٣ – أن المعنى : خالدين فيها أبدا ، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ، ثم يجدد خلقهم ، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال . قاله ابن مسعود .

---

(١)سورة إبراهيم آية ٤٨ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٧١١ .

٤ - أن « إلا » بمعنى« سوى » تقول : لو كان معنا رجل إلا زيد ، فالمعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة . وهذا اختيار الفراء . قال ابن قتيبة : ومثله فى الكلام أن تقول : لأسكننك فى هذه الدار حولا إلا ما شئت تريد سوى ماشئت أن أزيدك [١] .

٥ - أنهم إذا حشروا وبعثوا فهم فى شروط القيامة ، فالاستثناء واقع فى الخلود بمقدار موقفهم فى الحساب ، فالمعنى : خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة ، ذكره الزجاج . وقال ابن كيسان : الاستثناء يعود إلى فى النار وخالدين فى الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك ، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل ، وإن كانتا قد تتغيران . واستثنى المشيئة من دوامهما ، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السماء والأرض فى الدنيا ، لا فى الجنة ، ولا فى النار .

٦ - أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً ، إلا ماشاء ربك من أنواع العذاب التى لم تذكر ، وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر ، ولهم مما لا يذكر ما شاء ربك ، ذكره الزجاج أيضا .

---

(١)زاد المسير فى علم التفسير ٤/ ١٠٦ .

٧ - أن « إلا » بمعنى « كما ومنه قوله ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ (١) ﴾ ذكره الثعلبى » ١هـ . ومثل الآية السابقة قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(٢) .

وهذه الاحتمالات التى ذكرها العلماء رحمهم الله تعالى ترد على معنى الاستثناء فى الآيتين وقال تعالى ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾(٣) .

قال الشنقيطى : « وأما وجه الجمع بين الأحقاب المذكورة هنا مع الدوام الأبدي الذى قدمنا الآية الدالة عليه فمن ثلاثة أوجه :

الأول : وهو الذى مال إليه ابن جرير وهو الأظهر عندي لدلالة ظاهر القرآن عليه هو أن قوله ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴾ متعلق بما بعده أي لا بثين فيها أحقاباً في حال كونهم ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ ، فاذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع أخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق . ويدل لهذا تصريحه تعالى بأنهم . يعذبون بأنواع أخرمن أنواع العذاب غير الحميم والغساق فى قوله ﴿ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ (٤) ﴾ . وغاية ما يلزم على هذا القول تداخل الحال وهو جائزحتى عند من منع ترادف الحال كابن عصفور ومن وافقه . وإيضاحه أن جملة : لا يذوقون : حال من ضمير اسم الفاعل المستكن .

---

(١)سورة النساء آية ٢٢ .

(٢)سورة الانعام آية ١٢٨ .

(٣)سورة النبأ اية ٢٣ .

(٤)سورة ص آية ٥٧ – ٥٨ .

ونعنى باسم الفاعل قوله ﴿ لَّبِثِينَ ﴾ الذى هو حال ، ونظيره من إتيان جملة فعل مضارع منفى بلا حالاً فى القرآن قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ أي فى حال كونكم لا تعلمون .

الثانى : أن هذه الأحقاب لا تنقضى أبداً رواه ابن جرير عن قتادة والربيع بن أنس وقال: إنه أصح من جعل الآية فى عصاة المسلمين ،كما ذهب إليه خالد بن معدان .

الثالث : أنا لو سلمنا دلالة قوله : أحقاباً على التناهي والانقضاء ، فإن ذلك إنما فهم من مفهوم الظرف والتأبيد مصرح به منطوقاً والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر فى الأصول ، وقول خالد بن معدان : إن هذه الآية فى عصاة المسلمين يرده ظاهر القرآن لأن الله قال ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ وهؤلاء الكفار »[1] اهـ .

والآيات الواردة فى أبدية النار وخلود أهلها فيها كثيرة منها : قوله تعالى ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[3] الآية . وقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[6] وقوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[7] وقوله تعالى ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن

---

(١)أضواء البيان : دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٠ / ٣٠٧
(٢)سورة البقرة ١٦٧ .
(٣)سورة الأعراف آية ٤٠ .
(٤)سورة الفرقان آية ٦٥ .
(٥)سورة النبأ آية ٣٠ .
(٦)سورة الزخرف آية ٧٤ – ٧٥ .
(٧)سورة المائدة آية ٣٧ .

يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (٢).

أدلة أبدية الجنة والنار وخلود أهلها فيهما من السنة :

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح (٣) فينادى مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون (٤) وينظرون فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم . هذا الموت . وكلهم رآه . ثم ينادى يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت . وكلهم رآه فيذبح . ثم يقول : يا أهل الجنه خلود فلا موت . ويا أهل النار ، خلود فلا موت . ثم قرأ** ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) » (٦) .

---

(١)سورة السجدة آية ٢٠ .

(٢)سورة فاطر آية ٣٦ .

(٣)أملح : قال القرطبي الحكمة فى ذلك أن يجمع بين صفتي أهل الجنة والنار السواد والبياض – انظر فتح البارى ٨ / ٤٢٨ .

(٤)يشرئبون : بمعجمة وراء مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم موحدة ثقيلة مضمومة أى يمدون أعناقهم ينظرون – نفس المرجع .

(٥)سورة مريم آية ٣٩ .

(٦)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة مريم باب ١ حديث ٤٧٣٠ وروى مسلم نحوه كتاب الجنة حديث ٢٨٤٩ ورواه الترمذي بألفاظ مختلفة فى كتاب التفسير سورة مريم باب ٢٠ حديث ٣١٥٦ وقال حسن صحيح . وروى أحمد فى المسند نحوه ٣/ ٩ ورواه بن ماجة فى كتاب الزهد باب ٣٨ حديث ٤٣٢٧ بألفاظ مختلفة .

وقد وردت روايات نحو هذا الحديث كلها صحيحة وصريحة فى أبدية الجنه والنار وخلود أهلهما فيهما .

قال القرطبي : « وفى هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد ، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة . كما قال تعالى ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا [1]﴾ وقال تعالى ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾[2] قال : فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ماجاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة [3] .

وهناك من لا يرى الخلود فى النار ، بتوجيه لبعض النصوص عن غير معناها الصحيح أو التشبث بما فيه الضعف وعدم قيام الحجة به أو الآراء غير الصائبة .

قال ابن حجر جمع بعض المتأخرين فى هذه المسألة سبعة أقوال :

١ - أحدها هذا الذى نقل فيه الاجماع . « أبديتها » .

٢ - يعذبون فيها إلى أن تنقلب طبيعتهم فتصير نارية يتلذذون بها لموافقة طبعهم وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة .

٣ - يدخلها قوم ويخلفهم آخرون كما ثبت فى الصحيح عن اليهود وقد أكذبهم الله تعالى بقوله ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ .

---

(١)سورة فاطر آية ٣٦ .

(٢)سورة السجدة آية ٢٠ .

(٣)فتح البارى ١١/ ٤٢١ .

٤ - يخرجون منها وتستمر هي على حالها .

٥ - تفنى لأنها حادثة وكل حادث يفنى وهو قول الجهيمة .

٦ - تفنى حركاتهم البتة وهو قول أبى الهذيل العلاف من المعتزلة .

٧ - يزول عذابها ويخرج أهلها منها جاء ذلك عن بعض الصحابة أخرجه ابن عبيد فى تفسيره من رواية الحسن عن عمر وهو منقطع ولفظه « لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه » وعن ابن مسعود « ليأتين عليها زمان ليس فيه أحد » قال عبيد بن معاذ راويه : كان أصحابنا يقولون : يعنى به الموحدين . قلت: ابن حجر – وهذا الاثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحدين . وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ونصره بعدة أوجه من وجهة النظر ، وهذا مذهب ردئ مردود على قائله ، وقد أطنب السبكي [(١)] الكبير فى بيان وهائه فأجاد [(٢)] » .

قال الشيخ الشنقيطي : أما فناؤها فقد نص تعالى على عدمه بقوله ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ فى خلود أهل الجنة وخلود أهل النار وبين عدم الانقطاع فى خلود أهل الجنة بقوله ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[(٣)] . وبقوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[(٤)] وقوله ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا

(١)في رسالته المسماه « الإعتبار ببقاء الجنة والنار » .

(٢)فتح البارى شرح صحيح البخاري ١١/ ٤٢١ – ٤٢٢ .

(٣)سورة هود آية ١٠٨ .

(٤)سورة ص آية ٥٤ .

عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[1] وبين عدم الانقطاع فى خلود أهل النار بقوله ﴿ **كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا** ﴾[2] . فمن يقول إن للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير رد عليه بهذه الآية الكريمة . ومعلوم أن « كلما » تقتضى التكرار بتكرار الفعل ونظيرها قوله ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا** ﴾[3] – الآية .

وأما موتهم فقد نص تعالى على عدمه بقوله ﴿ **لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ** ﴾[4] وقوله ﴿ **لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ** ﴾[5] وقوله ﴿ **وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ** [6] ﴾ وقد بين ﷺ فى الحديث الصحيح أن الموت يجاء به يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح ، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت ، كما قال ﷺ : « **ويقال يا أهل الجنة خلود فلا**[7] **موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت** » وأما إخراجهم منها فنص تعالى بقوله ﴿ **وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ** [8] ﴾ وبقوله ﴿ **كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا** [9] ﴾ . وبقوله ﴿ **وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ** [10] ﴾ . وأما تخفيف العذاب عنهم فنص تعالى على عدمه بقوله ﴿ **وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ** [11] ﴾ وقوله ﴿ **فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ**

(١)سورة النحل آية ٩٦ .
(٢)سورة الاسراء آية ٩٧ .
(٣)سورة النساء آية ٥٦ .
(٤)سورة فاطر آية ٣٦ .
(٥)سورة الأعلى آية ١٣ .
(٦)سورة إبراهيم آية ١٧ .
(٧)سبق تخريجه قريبا ص ٣٥٨ .
(٨)سورة البقرة آية ١٦٧ .
(٩)سورة السجدة آية ٢٠ .
(١٠)سورة المائدة آية ٣٧ .
(١١)سورة فاطر آية ٣٦ .

﴿ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (١) وقوله ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (٢) وقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٣) وقوله ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ (٤) وقوله ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (٥) وقوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ .

ولا يخفى أن قوله ﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ وقوله ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ﴾ كلاهما فعل فى سياق النفي ، فحرف النفي بنفي المصدر الكامن فى الفعل فهو فى معنى لا تخفيف للعذاب منهم ولا تفتير له ، والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان فى هذه الآيات بل يلزمه ذهابهما رأساً ، كما أنه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص عليها بقوله ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ وإقامة النصوص عليها بقوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به فى قوله ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٦)(٧) » اهـ.

وقد رد الشيخ الشنقيطى ﷺ تعالى على بعض افتراض المخالفين فقال : « وما احتج به بعض العلماء من أنه لو فرض أن الله أخبر بعدم فنائها أن ذلك لا يمنع فناءها لأنه وعيد وإخلاف الوعيد من الحسن لا من القبيح وأن الله تعالى ذكر أنه لا يخلف وعده ولم يذكر أنه لا يخلف وعيده ، وأن الشاعر قال :

---

(١)سورة النبأ آية ٣٠ .
(٢)سورة الزخرف آية ٧٥ .
(٣)سورة الفرقان آية ٦٥ .
(٤)سورة الفرقان آية ٧٧ .
(٥)سورة البقرة آية ١٦٢ .
(٦)سورة الاسراء آية ٩٧ .
(٧)أضواء البيان – دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٠ / ١٢٤ .

وإنـــــى وإن أوعدتـــــه وعدتـــــه لمخلــف إيعــادى ومنجــز موعــدى

فالظاهر عدم صحته لأمـرين : الأول : أنـه يلزمـه جـواز ألا يـدخل النـار كافر ، لأن الخبر بذلك وعيد وإخلافه على هذا القول لا بأس به .

الثانى : أنه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله حيث قال ﴿ **كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ** ﴾ [1] . . . . ثم قال ومن الأدلة الصريحة فى ذلك تصريحه تعالى بأن قوله : لا يبدل فيما أوعد به أهل النار حيث قال ﴿ **قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [2] . ويستأنس لذلك بظاهر قوله تعالى ﴿ **وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ** – إلى قوله –**إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ** ﴾ [3] وقوله ﴿ **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ** ﴾ [4]فالظاهر أن الوعيد الذى يجوز إخلافه وعيد عصاة المؤمنين لأن الله بين ذلك بقوله ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [5] . [6]. » فإذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع الأقوال القائلة بفناء النار وعدم خلود أهلها فيها ، فإن الحق إن شاء الله تعالى هو ما أوضحته النصوص الشرعية وبينه العلماء من أن الجنة والنار لا يفنيان وأن أهلها خالدون فيها ، ولا يخرج من النار إلا موحدو المؤمنين كما ثبت بذلك الأدلة الصريحة . نسأل الله السلامة من النار والفوز بالجنة .



(١)سورة ق آية ١٤ .

(٢)سورة ق آية ٢٨ – ٢٩ .

(٣)سورة لقمان آية ٣٣ .

(٤)سورة الطور آية ٧ .

(٥)سورة النساء آية ١٦٦ .

(٦)أضواء البيان – دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٠ / ١٢٦ .


الباب الثالث
مشاهد يوم القيامة

الباب الثالث

مشاهد يوم القيامة

فى الباب الثانى تكلمت عن الأحوال التى ستحصل فى اليوم الآخر – يوم القيامة – منذ القيام من القبور وذلك بالتعريف عنها وحتى الإنتهاء من الحساب والانصراف الى المقر الأخير – الجنة أو النار – وفى هذه الأحوال مشاهد مرئية تراها الخلائق ويحصل بسبب بعضها الفزع للجميع وببعضها الحسرة والندامة – للكافرين – وببعضها الفرح والحبور والسعادة والسرور – للمتقين – كل ذلك فى يوم القيامة ، وقد أفردت لهذه المشاهد باباً لنعطي لكل مشهد وصفاً على حده لتتم بذلك الفائدة والعبرة من هذا المشهد وجعلت لكل مشهد فصلاً ، فأصبح هذا الباب مشتملا على ستة فصول هى :

الفصل الأول : مشاهد الكائنات الكونية .

الفصل الثانى : مشاهد الناس يوم القيامة .

الفصل الثالث : مشاهد المؤمنين يوم القيامة .

الفصل الرابع : مشاهد الكافرين يوم القيامة .

الفصل الخامس : مشـاهد الجنة .

الفصل السادس : مشاهد النـــار .

وسأتناول كل فصل بالبحث والتفصيل إن شاء الله تعالى .

الفصل الأول
مشاهد الكائنات الكونية

هذا الفصل يتناول الكائنات الكونية والمراد بها : الكائنات السفلية وأهمها الأرض والجبال والبحار ، والكائنات العلوية وأهمها السماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وما يحصل لكل من هذه الكائنات فى يوم القيامة .

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : الكائنات السفلية (الأرض والجبال والبحار) .

المبحث الثانى:الكائنات العلوية (السماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب) .



المبحث الأول
مشهد الكائنات السفلية (الأرض والجبال والبحار)

من المشاهد الكونية العظيمة التى تذهل العباد يوم القيامة . الأرض والجبال والبحار لما يحصل لها من خراب في يوم القيامة ، وما يكون لها من الحركات المروعة، والحادث الذى لم يكن له مثيل من قبل يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ [(١)] ﴾ .

وقد جاء ذكر الآيات الكونية فى القرآن الكريم مفرقة أحيانا وأحيانا أخرى مقترن بعضها ببعض حيث يأتى المشهد لآية من هذه الآيات الكونية على حده وتأتى المشاهد لعدد منها فى جهة واحدة كالأرض مثلاً . وسنرى أوصاف هذه المشاهد حسبما جاءت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة . وسأتناول هذا بالحديث مشهداً مشهداً لتتضح صورة كل منها حسب تصوير النصوص لها بقدر الإمكان .

(١) **مشهد الجبال** :

قال الله تعالى ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ [(٢)] ﴾ .

أول مايجرى للكائنات عند زلزلة الأرض هو ذهاب الجبال لأنها هي الرواسي للأرض كما أخبر الله تعالى عن هذا ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ

---

(١)سورة الحج آية ١ – ٢ .

(٢)سورة الكهف آية ٤٧ .

أَوْتَادًا ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ (٢) . فيزيل الله الجبال من أماكنها ويذهبها ﷻ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (٣) .

فتبقى الأرض مستوية لا حجر فيها ولا شجر ولا انخفاض ولا ارتفاع فهي ظاهرة مكشوفة جميعها للرائي .

قال الألوسى عند آية الكهف : « والظاهر هنا أول أحوال الجبال ولا مقتضى للصرف من الظاهر ، ثم المراد بذكر ذلك تحذير المشركين مافيه من الدواهي التي هي أعظم من ثالثة الأثافي (٤) » . (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ خطاب لسيد المخاطبين ﷺ أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية أي وترى جميع جوانب الأرض ﴿بَارِزَةً﴾ بادية ظاهرة . أما ظهور ماكان منها تحت الجبال فظاهر ، وأما ما عداه ،فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك أو تراها بارزة لذهاب جميع ماعليها من الجبال والبحار والعمران والأشجار ، وإنما اقتصر على زوال الجبال لأنه يعلم منه زوال ذلك بطريق الأولى (٦) » .

---

(١)سورة النبأ آية ٦ – ٧ .

(٢)سورة النازعات آية ٣٢ .

(٣)سورة طه آية ١٠٥ .

(٤)الأثافى : جمع أثفية : مايوضع عليه القدر . لسان العرب مادة (ثفا) ١٤/ ١١٣ .

(٥)روح المعانى (تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) ١٥ / ٢٨٨ .

(٦)نفس المرجع .

وقال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ [1] ﴾ .

قال ابن كثير : « أي تراها كأنها ثابتة ، باقية على ماكانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها . كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا [2] [3] ﴾ .

تزال الجبال عن أماكنها وذلك بصيرورتها هباءً ثم ذهابها .

وقال تعالى ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [4] . قال الفراء : « صارت كالدقيق ، وذلك قوله ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ [5] ﴾ . وبست : فتت فصارت أرضاً ، وقيل نسفت كما قال تعالى ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [6] . » والصحيح هو نسفها كما هو ظاهر الآية بعد أن تكون فتاتاً كالدقيق ، كما قال تعالى ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا [7] ﴾ . قال الفراء : « الكثيب : الرمل ، والمهيل : الذى تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه [8] » هذا وصف . ثم يعطى ﷻ وصفاً آخر لما يحصل للجبال من عجائب قدرته تعالى وأن لا شئ وإن عظم بمستحيل مع قدرة الله تعالى فيقول ﷻ ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [9] وكيف هذا العهن ؟ فيقول تعالى فى موضع

---

(١)سورة النمل آية ٨٨ .

(٢)سورة الطور آية ١٠ .

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٦٠٣ .

(٤)سورة الواقعة آية ٥ .

(٥)معانى القرآن للفراء ٣/ ١٢١ عالم الكتاب .

(٦)لسان العرب ٦ / ٢٧ .

(٧)سورة الزمل آية ١٤ .

(٨)معانى القرآن للفراء ٣/ ١٩٨ .

(٩)سورة المعارج آية ٩ .

آخر ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ [1] ﴾ . « والعهن هو الصوف المصبوغ الواناً » . والمنفوش : النفش : مدك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض » [2] هذه حال الجبال يوم القيامة وصفاتها المروعة بعد الصلابة والقوة والكبر والكثرة تصير بهذه الصفات ثم يذهبها الله تعالى حتى يصبح لا أثر لها . قال تعالى ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا [3] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [4] .

(٢) **مشهد الأرض** :

قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [5] ﴾ انظر بعد الحياة والاستقرار ماذا سيكون للأرض ؟ قال الله تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا [6] ﴾ إنه الخراب لهذا الكون والانتقال إلى دار أخرى .

فى مشاهد القيامة : تحرك الأرض وارتجاحها وتحركها وارتجافها كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ ﴾[7] ثم تتزلزل ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [8] ثم تدك ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾[9] . ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [10] تمهد

(١)سورة القارعة آية ٥ .
(٢)لسان العرب ١٣/ ٢٩٧ .
(٣)لسان العرب ٦/ ٣٥٧ .
(٤)سورة النبأ آية ٢٠ .
(٥)سورة التكوير آية ٣ .
(٦)سورة الرعد آية ٣ .
(٧)سورة المزمل آية ١٤ .
(٨)سورة الزلزلة آية ١ .
(٩)سورة الحاقة آية ١٤ .
(١٠)سورة الفجر آية ٢١ .

وتسوّى وتصبح كالبساط الواحد لا ارتفاع ولا انخفاض فيها كما قال تعالى ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا [(1)] ﴾ . وتمد كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [(2)] مثل مد الأديم [(3)] كما فى الحديث « ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم [(4)] » وتلقى مافى بطنها من الأموات وتتخلى عنهم [(5)] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [(6)] مثل قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [(7)] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى « أي – الانسان – استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ماقد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد عنه ، ثم ألقت مافى باطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا الله الواحد القهار [(8)] » .

---

(١)سورة طه آية ١٠٦ – ١٠٧ .

(٢)سورة الانشقاق آية ٣ .

(٣)الأديم : الجلد ما كان . لسان العرب مادة « أدم » ١٢/ ٩ .

(٤)هذه قطعة من حديث طويل رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ذكره بن ماجه فى سننه كتاب الفتن باب ٢٣ حديث ٤٠٨١ . قال محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على هذا الحديث فى سنن ابن ماجه : « فى الزوائد : هذا اسناد صحيح رجاله ثقات ، ومؤثر بن عفازة ذكره بن حبان فى الثقات . وباقى رجال الاسناد ثقات ورواه الحاكم وقال هذا صحيح الاسناد « المستدرك ٤/ ٥٤٦ » ١هـ ورواه الامام أحمد فى المسند ١/ ٣٧٥ وقال أحمد محمد شاكر : اسناده صحيح – انظر المسند تحقيق أحمد محمد شاكر ٥/ ١٨٩ حديث ٣٥٥٦ .

(٥)قاله مجاهد وسعيد وقتاده . انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٦٩ .

(٦)سورة الانشقاق آية ٤ .

(٧)سورة الزلزلة آية ٢ – ٣ .

(٨)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٨٥ .

ياله من مشهد عظيم عندما تنطق الأرض وتتكلم وتشهد على كل مـن كـان على ظهرها من العاملين بما كانوا يعملون بعد إذن الله تعالى لها بذلك قال قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـرأ رسـول الله ﷺ هـذه الآيـة ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ قال : **أتـدرون مـا أخبارهـا** ؟ قـالوا : الله ورسـوله أعلـم قـال : « **فـإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يـوم كـذا وكذا فهذه أخبارها** » (٢) .

بعد هذه المشاهد للأرض يبدلها الله تعالى كما قـال ﷻ ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ** ﴾ (٣) وقد اختلف في تبديل الأرض .

فقيل :

١ - تبدل الأرض أرضاً أخرى من فضة .

٢ - وقيل تبدل ناراً .

٣ - وقيل تبدل خبزة .

٤ - وقيل تبدل غير ذلك .

---

(١)سورة الزلزلة آية ٤ — ٥ .

(٢)رواه الترمذي في سننه كتاب التفسير سورة الزلزلة حديث ٣٣٥٣ وقال : حديث حسن صـحيح . ورواه الامام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٤ .

(٣)سورة ابراهيم آية ٤٨ .

ذكر هذا ابن جرير وقال : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : يوم تبدل الأرض التى نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها ، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه ، وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة وجائز أن تكون ناراً ، وجائز أن تكون خبزاً ، وجائز أن تكون غير ذلك ، ولا خبر فى ذلك عندنا من الوجه الذى يجب التسليم له أي ذلك يكون فلا قول فى ذلك يصح إلا مادل عليه ظاهر التنزيل [1] .

وقال تعالى ﴿ **وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [2] .

وهذا مشهد عظيم فيه بيان لعظمة الله تعالى وقدرته وهيمنته على خلقه أجمعين .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : « أنا الملك ، أين ملوك الأرض »** [3] .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** [4]» . قال الشيخ عبدالحمن بن حسن : « هذه الأحاديث وما فى

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٢٥٤ الطبعة الحلبية ، وانظر فتح البارى ١١/ ٣٧٥ وماذكره ابن حجر عن هذا الموضوع .

(٢)سورة الزمر آية ٦٧ .

(٣)رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسيرسورة ٣٩ حديث ٤٨١٢ ، ورواه مسلم كتاب صفة المنافقين حديث ٢٧٨٧ .

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة المنافقين حديث ٢٧٨٨ ، ورواه أبو داود فى سننه كتاب السنة حديث ٤٧٧٢ .

معناها تدل على عظمة الله وعظم قدرته وعظم مخلوقاته وقد تعرف ﷻ إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تعرف وتدل على كماله ، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له فى ربوبيته وإلهيته وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وهذا هو الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم على الاسلام والإيمان » [1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ ؟ فقال : « على الصراط » [2] .

هذه المشاهد التى تمر بها الأرض وما يحصل لها يوم القيامة وحتى تصبح أرضاً غير تلك التى كان الناس عليها ، وهي مقر حشر الخلق وعليها الوقوف ويجرى الحساب عليها ، ومنها المنصرف إلى النار أو الجنة . نسأل الله السلامة من النار والفوز بالجنة .

(٣) مشهد البحار :

من المشاهد المهولة فى يوم القيامة تغير البحار عن طبيعتها المعهودة لما يحصل لها من أمر الله تعالى وذلك بخرابها كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [3] . وقد ذكر المفسرون أقوالاًكثيرة لمعنى سجّرت وكلها تعطى معنى للتغيرات المفجعة التى أرادها الله تعالى .

---

(١)فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٥٢٣ تحقيق الشيخ عبدالعزيز بن باز .

(٢)رواه مسلم فى صحيحه صفات المنافقين حديث ٢٧٩١ .

(٣)سورة التكوير آية ٦ .

قال الشوكاني [(١)] : « ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أي أوقدت فصارت ناراً تضطرم . وقال **الفراء** : ملئت بأن صارت بحراً واحداً وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خيثم والكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت ، وقيل فجرت فصارت بحرا واحد . وروى عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية : يبست ولا يبقى فيها قطرة ، يقال سجرت الحوض أسجره سجرا : إذا ملأته . وقال القشيرى هو من سجرت التنور أسجره سجراً : إذا أحميته . قال ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت ناراً ، وقيل معنى سجرت أنها صارت حمراء كالدم ، من قولهم عين سجراء : أى حمراء . قرأ الجمهور « سجرت » بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيفها » [(٢)] .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [(٣)] أي فتح بعضها على بعض ، عندما تسوى الأرض بعد زوال الجبال وتصبح قاعاً صفصفاً يذهب البرزخ الحاجز والحجر الذى كان يمنع الماء من الفيضان على الأرض فتتدفق المياه على بعضها وهي نار تضطرم فتوجف القلوب وتضطرب من هذا المشهد المروع .

(١)الشوكانى : هو محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني المفسر العروف ولد وسط نهار الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة ١١٧٣ هجرية فى بلده هجرة شوكان . وتوفى ﷺ ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شهر جماد الآخرة سنة ١٢٥٠ هـ - فتح القدير ١/ ٤ .

(٢)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٥ / ٣٨٨ .

(٣)سورة الإنفطار آية ٣ .

المبحث الثانى
مشهد الكائنات العلوية
السماء والشمس والقمر والنجوم والكوكب

إن الكائنات العلوية من مخلوقات الله تعالى العظيمة التى تظل العالم السفلى وهي مكونة من كائنات ، لكل وظيفة وعمل فى هذه الحياة الدنيا يستمد منها الانسان ما منه تصلح حياته ، فإذا انتهى عمر الدنيا أذن الله بخراب هذه الكائنات والإنسان ينظر إلى ذلك ليعلم قدرة الله تعالى وهيمنته على خلقه أجمعين ، وهذه من أكبر مخلوقاته ﷻ .

وسنرى لكل من هذه الكائنات مشهده الذى سيحل به من ربه ﷻ فى يوم القيامة كما جاء ذلك فى الكتاب والسنة .

(١) **مشهد السماء** :

قال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (١) . قال ابن كثير رحمه الله تعالى من كمال قدرته وعظيم سلطانه أنه الذى بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بُعداً لا تنال ولا يدرك مداها ، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكها فى نفسها مسيرة خمسمائة عام ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام ، ،

(١)سورة الرعد آية ٢ .

وسمكها خمسمائة عام ، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [1] .

فهذه السموات السبع على ارتفاعها النائى وسمكها العظيم وعددها الكثير وجمالها الباهر ، تأتى ساعة من الساعات ويكون فى ذلك خرابها وزوالها من أماكنها ألا إن تلك الساعة هي يوم القيامة . قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [2] . أي يوم القيامة تتحرك السموات لأمر الله تعالى فيموج بعضها فى بعض ، ثم تنشق على عظمها وسمكها وارتفاعها ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [3] . فهي تأتى طائعة مستجيبة لأمر خالقها الذى ذل له كل شئ ، له الأمر من قبل فى البناء ومن بعد فى الخراب . يفعل مايشاء ويحكم ما يريد . إنها عندما تنشق يكون لها لون وشكل ، ليأخذ المشهد فى الزيادة ، وترى العيون تحقق ما كان يوعد الانسان . قال تعالى ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [4] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « أي تذوب كما يذوب الدردي [5] والفضة فى السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها . فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم » [6]

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٧٧٢ .

(٢)سورة الطور آية ٩ .

(٣)سورة النشقاق آية ١ – ٢ .

(٤)سورة الرحمن آية ٣٧ .

(٥)الدردي : الزيت وغيره . لسان العرب مادة « درد » ٣/ ١٦٦ .

(٦)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٢٨ .

وكما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [١] كدردي الزيت . قاله ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد [٢] » ثم يكون الضعف والوهن فى كل مخلوق أمام قوة الخالق ﷻ وحتى فى السماء على عظمها وقوتها ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [٣] . قال الشوكاني ﷺ تعالى : « أي انشقت بنزول مافيها من الملائكة فهي فى ذلك اليوم ضعيفة مسترخية » [٤] .

ويستمر المشهد فى هذه السماء وما يحل بها من أمر الله تعالى . قال تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ [٥]فهى تتشقق ويكون فيها فرج أي أبواب كما أخبر ﷻ ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ [٦] . وهذا المشهد الأخير وهو تفتح السماء أبواباً إيذاناً بحصول مشهد جديد يظهر أمام الخليقة وهونزول الملائكة إلى أرض المحشر كما أخبر الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [٧].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى : « وذلك الغمام الذى ينزل الله فيه من فوق السموات ، فتنفطر له السموات وتشقق وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفاً صفاً، إما صفاً واحداً محيطاً بالخلائق وإما كل سماء يكونون صفاً ، ثم السماء التى تليها صفاً وهكذا ، القصد أن الملائكة – على كثرتهم وقوتهم – ينزلون محيطين بالخلق ، مذعنين لأمر ربهم ، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن الله . فما ظنك بالآدمي

---

(١)سورة المعارج آية ٨ .
(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦٥٨ .
(٣)سورة الحاقة آية ١٦ .
(٤)فتح القدير ٥/ ٢٨١ .
(٥)سورة الانفطار آية ١ .
(٦)سورة النبأ آية ١٩ .
(٧)سورة الفرقان آية ٢٥ .

الضعيف خصوصاً الذي بارز مالكه بالعظائم وأقدم على مساخطه ، ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها ، فيحكم فيه الملك الخلاق بالحكم الذى لا يجور ، ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [1] لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه . بخلاف المؤمن فانه يسير خفيف الحمل ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ [2] وِرْدًا [3] ﴾ » .

وفى نهاية الأمر تنتهى السماء وذلك بنزعها وطيها قال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ [4] ﴾ [5] . كما قال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [6] . وكما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [7] وقد سبق الكلام على هذا فى مشهد الأرض .

(٢) مشهد الشمس والقمر :

إن الشمس والقمر من تلك الآيات الكونية التى يجرى خرابها يوم القيامة ، ومشهد من المشاهد المفجعة .

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [8] . إن الأبصار تنبهر من تلك المشاهد العظيمة فيعتريها الذل والخوف من الله تعالى الذى

---

(١)سورة الفرقان آية ٢٦ .

(٢)سورة مريم آية ٨٥ – ٨٦ .

(٣)تيسير الكريم الرحمن : تفسير كلام المنان ٥ / ٤٧٣ .

(٤)كشطت : قال الغراء : يعنى نزعت فطويت . لسان العرب مادة (كشط) ٧/ ٣٨٧ .

(٥)سورة التكوير آية ١١ .

(٦)سورة الزمر آية ٦٧ .

(٧)سورة ابرهيم آية ٤٨ .

(٨)سورة القيامة آية ٧ – ٩ .

صيرّ هذه المخلوقات إلى هذه الصفة من الخراب والضعف بعد البناء والقوة وكيف بالانسان الضعيف وهو يترقب خائفاً ماذا سيحصل له من الله تعالى ؟ يذهب ضوء القمر وتظلم الشمس وتجمعان معاً ويُرمى بهما ، والأبصار تتابع تلك المشاهد المحزنة قال الله تعالى ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [1] .

وللعلماء أقوال فى معنى تكوير الشمس فقيل : ذهابها ، وقيل ذهاب ضوءها وقيل رمي بها ، وغير ذلك .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى « والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال (كورت) كما قال الله جل ثناؤه والتكوير فى كلام العرب : جمع بعض الشئ إلى بعض ، وذلك كتكوير العمامة ، وهو لفها على الرأس وكتكوير الكارة وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفّها ، وكذلك قوله ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إنما معناه : جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها ، واذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعلى التأويل الذى تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح ، وذلك أنها إذا كورت ورمي بها ذهب ضوءها »[2] .

وقد تحدثت السنة عن هذين الكوكبين وما يحصل لهما يوم القيامة ومصيرهما . عن عبد الله الداناج [3] قال : « شهدت أبا سلمة بن عبد الرحمن جلس فى مسجد فى زمن خالد بن عبد الله بن أسيد . قال : فجاء الحسن فجلس إليه فتحدثا فقال أبو سلمة : حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : **الشمس والقمر**

---

(١)سورة التكوير آية ١ .

(٢)جامع البيان من تأويل القرآن ٣٠ / ٦٤ .

(٣)عبدالله الداناج : بتخفيف النون وآخره جيم هو لقبه ومعناه « العالم » بلغة الفرس وهو فى الأمل داناه فعرب ، وعبدالله المذكور تابعي صغير واسم أبيه فيروز . (فتح البارى ٦/ ٢٩٩) .

ثوران مكوران فى النار يوم القيامة » . فقال الحسن : ماذنبهما ؟ فقال : إنما أحدثك عن رسول الله ﷺ فسكت الحسن » [1].

قال الألبانى فى معنى الحديث :

« وليس المراد من الحديث ماتبادر إلى ذهن الحسن البصرى أن الشمس والقمر فى النار يعذبان فيها عقوبة لهما ، كلا فإن الله ﷻ لا يعذب من أطاعه من خلقه ومن ذلك الشمس والقمر كما يشير إليه قول الله تبارك وتعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ** [2] ﴾ فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى فى الدنيا كما قال الطحاوي : وعليه فإلقاؤهما فى النار يحتمل أمرين :

الأول : أنهما من وقود النار ، قال الاسماعيلي : « لا يلزم من جعلهما فى النار تعذيبهما ، فإن لله فى النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب ، ومن شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة » .

والثانى : أنهما يلقيان فيها تبكيتاً لعبّادهما . قال الخطابى : « ليس المراد بكونهما فى النار تعذيبهما بذلك ، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما فى الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً » . قلت : وهذا هو الأقرب ويؤيده أن في حديث أنس عند أبى يعلى – كما فى « الفتح » (٦/ ٢١٤) « ليراهما من عبدهما » والله تعالى أعلم [3] » .

---

(١)أخرجه الامام الطحاوى فى « مشكل الآثار » ١/ ٦٦ _ ٦٧ وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري وقد أخرجه فى صحيحه مختصرا فقال (٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥) حدثنا مسدد قال : حدثنا عبد العزيز بن المختار به بلفظ « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » . ذكره الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحه المجلد الأول ٢/ ٣٢. وانظر رواية البخاري فى فتح البارى ٦/ ٢٩٧ .

(٢)سورة الحج آية ١٨ .

(٣)سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول ٢/ ٣٤ .

(٣) **مشهد النجوم** :

النجوم خلق من ذلك الكون الذى أذن الله تعالى بخرابه وتغير أموره بما شاء الله تعالى ، والخلق يشاهدون ذلك الخراب الذى شاء الله ﷻ . قال الله تعالى ﴿ **فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ** ﴾ [(١)] .

بعد المكان العالي والنور الساطع (زينة فى السماء ، وعلامات يقتدى بها ، ورجوماً للشياطين) . كما قال تعالى ﴿ **وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ** ﴾ [(٢)] . وكما قال تعالى ﴿ **وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ** ﴾[(٣)] . فاذا جاء أمر الله تعالى وذل كل شئ لسلطانه وأتى طائعاً لأمره كان من بين ذلك الكواكب ، فاذا خرب الكون وأذن الله تعالى بما شاء فى أمرها ذهب ضوئها وانتشرت كما قال تعالى ﴿ **وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ** ﴾ [(٤)] فتتساقط كما أخبر تعالى ﴿ **وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ** ﴾ [(٥)] فياله من مشهد عظيم ، كيف والنجوم على كثرتها وهى تتساقط كأنها جراد منتشر ، ثم تذهب حيث شاء الله تبارك وتعالى .

قال ابن القيم ؒ تعالى : « وقرأ قاريء ﴿ **إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ** ﴾ وفى الحاضرين أبو الوفاء ابن عقيل فقال له قائل : ياسيدي هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب وزوج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب فلم هدم الأبنية وسير الجبال ودك الأرض ، وفطر السماء ، ونثر النجوم ، وكورت الشمس ؟

---

(١)سورة المرسلات آية ٨ .

(٢)سورة الملك آية ٠ .

(٣)سورة النحل آية ١٦ .

(٤)سورة التكوير آية ٢ .

(٥)سورة الانفطار آية ٢ .

فقال : إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع ، وجعلها وجعل ما فيها للإعتبار والتفكر والاستدلال عليه : لحسن التأمل والتذكر . فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خربها لانتقال الساكن منها فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معموراً بهم وفى إحالة الأحوال ، وإظهار تلك الأهوال ، وبيان المقدرة بعد بيان العزة ، وتكذيب لأهل الإلحاد ، وزنادقة المنجمين ، وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان ، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت ، وأن معبوداتهم قد انتشرت وانفطرت ، ومحالها قد تشققت ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم ، وظهر أن العالم مربوب محدث مدبر ، له رب يصرفه كيف يشاء ، تكذيباً لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم . فكم لله من حكمة فى هدم هذه الدار ودلالة على عظيم عزته وقدرته وسلطانه وانفراده بالربوبية ، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره ، وإذعانها لمشيئته فتبارك الله رب العالمين »[1] .



(١)التفسير القيم لابن القيم ص ٥٠٥ دار العلوم الحديثة – بيروت – لبنان وانظر بدائع الفوائد ٣/ ١٨٢ .

الفصل الثانى
مشاهد الناس يوم القيامة

يوم القيامة هو اليوم الذى ليس فيه مدعاة لأحد من الناس نكـران الحقـائق التى أخبر الله بها فى الدنيا على ألسنة أنبيائه ورسله وكذّب بها مـن كـذّب ، حيـث كانت أمور غيبية ثم ظهرت اليوم حقائق مرئية أمـام المصـدقين والمكـذبين ، ففـى تلك الساعة تتغير الأحوال وتتبدل الصـفات وسـنرى المشـاهد العامـة للنـاس فى ذلك اليوم فى المباحث التالية :

المبحث الأول : خروج الناس من الأجداث .

المبحث الثانى : ذهول الناس عن أنفسهم وما يملكون .

المبحث الثالث : تغير أحوال الناس .

المبحث الرابع : صفة مجيئهم لأرض المحشر .

المبحث الخامس : جثو الأمم للحساب .

المبحث السادس : تسلم نتائج الأعمال .



المبحث الأول
خروج الناس من الأجداث [1]

أردنا من ذكر هذا المشهد الصفة التى يكون عليها الناس عند خروجهم من قبورهم بعد النفخة الأخيرة أحياء ينظرون وما يحصل فى ذلك اليوم العظيم من الأهوال المفجعة والحوادث المحزنة . قال الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [2] سبق لنا الكلام على هذه الآية عندما تكلمنا عن عدد النفخات فى الصور والمقصود هنا هو الوقوف على صورة ذلك المشهد العظيم وخروج الناس من الأرض قيام أحياء – بعد أن كانوا ترابا – ينظرون فى أهوال يوم القيامة .

إذا صعق الناس جميعاً إلا من شاء الله تعالى ، بقوا إلى ماشاء الله ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس فإذا نفخ النفخة الأخيرة أرسل الله الأرواح إلى الأجساد فقام الناس ينظرون [3] . قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [4] وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [5] .

وقد جاء وصف هذا المشهد فى مواضع من كتاب الله تعالى فقال ﷻ ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [6] وهذا مشهد لما يحصل للقبور يوم القيامة عند بعثرتها وخروج من

---

(١)الأجداث : القبور .

(٢)سورة الزمر آية ٦٨ .

(٣)انظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٢٩٤٠ .

(٤)سورة ق آية ٤٢ .

(٥)سورة ق آية ٤٤ .

(٦)سورة الانفطار آية ٤ .

فيها من الأموات كما قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ (1) ﴾ ففى تلك الساعة التى تبعثر فيها القبور ويخرج منها الأموات يعلم الانسان حقيقة الأمر وهول مايحصل يوم القيامة . ثم بين ﷻ الصورة التى يكون عليها الناس فى يوم القيامة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (2) ﴾ فهم عندما يخرجون من قبورهم وتسرى فيهم أرواحهم ويرون الأهوال العظيمة فى أنفسهم وهم حفاة عراة ، وفى الكائنات الأخرى ، فلا يدرون أين يذهبون أو يتجهون يموج بعضهم فى بعض مثل الفراش فى تداخل بعضه فى بعض فهم يتطلعون إلى ما سيكون من خالقهم حيث الانقطاع من الدنيا – دار الغرور – والرجوع إليه ﷻ حفاة عراة لا طعام ولا شراب ، ولا ظهير ولا نصير ، انقطعت عنهم الأسباب وتفرقت بهم السبل لا ينفع حبيب حبيباً . الجميع مستسلمون لأمر رب الأرباب ، منتظرون ماسيكون فى الحساب وما بعد الحساب .



(١)سورة العاديات آية ٩ .

(٢)سورة القارعة آية ١ – ٥ .

المبحث الثانى
ذهول الناس من أنفسهم وما يملكون

اذا بعدت الحوادث المفجعة عن الانسان فى الحياة الدنيا فهو فى أمن واستقرار وطمأنينة وأمان ، فإذا حل به حادث مروع فهو على قدر ذلك تكون مخاوفه وقلقه ، وحزنه وأسفه ثم سرعان ماتنتهي .

ولكن حوادث اليوم الآخر كسرها لا يجبر ، وجرحها لا يلتئم ، وحزنها لا ينسى وفراقها لا يعود ، إلا أن يشاء الله تعالى . والقرآن الكريم يصور لنا مشهد الناس عند زلزلة الساعة حيث انتهاء عمر الدنيا وبداية اليوم الآخر فيقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[1] .

يخاطب الله تعالى عباده بأن يتقوه وذلك بإخلاص العبادة له دون سواه ويذكرهم بأهوال ماهم قادمون عليه فى نهاية الأمر وأنه لا يخلصهم وينجيهم من أهوال وعذاب ذلك إلا هو سبحانه وتعالى إذا كانوا على مرضاته ، فبين عز وجل عظم ذلك اليوم ومايحصل فيه من الأهوال العظيمة التى بسببها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ليكون لها شأن غير ماهو أعظم الشأن عندها وهو ابنها – حيث حنان الأم على الابن وعطفها عليه – فيحصل لها مايشغلها عن ذلك عندما ترجف الأرض وتتحرك وتزحزح عن موضعها ، وتغير ماكان معتاداً عند الانسان بتغيرات ما

---

(١)سورة الحج آية ١ – ٢ .

يحصل فى يوم القيامة من الأهوال ، وتضع الحوامل حملها من شدة الخوف والرعب والفزع من جرّاء ذلك وكذا الناس جميعاً يصبحون فى حال من شرب السكر وذهب عقله وإن لم يكونوا كذلك ، ولكن من شدة الهول والفزع والخوف الذى أصابهم وحتى أصبحوا بتلك الحال . قال الشيخ عبد الرحمن السعدى ﷺ تعالى : « ذلك بأنها إذا وقعت الساعة رجفت الأرض وزلزلت وتصدعت الجبال واندكت وكانت كثيباً مهيلاً ثم كانت هباءاً منثوراً ، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج . فهناك تنفطر السماء ، وتكور الشمس والقمر وتنتثر النجوم ويكون من القلاقل والبلابل ماتنصدع له القلوب وتوجل منه الأفئدة ، وتشيب منه الولدان ، وتذوب له الصم الصلاب[1] وقال سيد قطب : وهو يعطى صورة لهذا المشهد العظيم : « مطلع عنيف رعيب ، ومشهد ترتجف لهوله القلوب ، يبدأ بالنداء الشامل للناس جميعاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يدعوهم إلى الخوف من الله ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ويخوفهم ذلك اليوم العصيب ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ وهكذا يبدأ بالتهويل المجمل وبالتجهيل الذى يلقى ظل الهول يقصر ـ عن تعريفه التعبير فيقال : إنه زلزلة ، وإن الزلزلة « شئ عظيم » من غير تحديد ولاتعريف .ثم يأخذفى التفصيل فإذا هو أشد رهبة من التهويل . . إذا هو مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت تنظر ولا ترى [2] وتتحرك ولا تعي . وبكل حامل تسقط حملها للهول المروع ينتابها . . وبالناس سكارى وماهم بسكارى يبتدى السكر فى نظراتهم

(١)تفسير كلام المنان ٥/ ٢٧٠ .

(٢)قال الشنقيطى : والرؤية بصرية لأنهم يرون زلزلة الأشياء بأبصارهم وهذا هو الظاهر . وقيل : إنها من رأي العلمية . أضواء البيان ٥/ ٦ وقال الأوسى والرؤية بصرية – روح المعانى ١٧ / ١١٣ دار الفكر . فى ظلال القرآن ٤/ ٢٤٠٨ .

الذاهلة وفى خطواتهم المترنحة . مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج تكاد العين تبصره لحظة التلاوة ، بينما الخيال يتملاه ، والهول الشاخص يذهله ، فلا يكاد يبلغ أقصاه وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة . ولكن يقاس بوقعه فى النفوس الآدمية فى المرضعات الذاهلات عما أرضعن – وما تذهل المرضعة عن طفلها وفى فمه ثديها إلا للهول الذى لا يدع بقية من وعي – والحوامل الملقيات حملهن ، وبالناس سكارى وماهم بسكارى : ﴿ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ إنه مطلع عنيف مرهوب تتزلزل له القلوب ».

وقد اختلف فى وقت هذه الزلزلة على قولين :

١ – القول الأول : أنها فى الدنيا قبل يوم القيامة ، قاله علقمة والشعبي وابن جريج . وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت ففزع الجن إلى الانس والانس إلى الجن واختلطت الدواب،والوحش فماج بعضهم فى بعض ، فقالت الجن للأنس : نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحور فإذا هى نار تأجج ، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة ، والسماء إلى السماء السابعة ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فماتوا [1] » .

---

(١)رواه ابن جرير الطبرى : ٣٠ / ٦٣ عند قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ وفى سنده الحسين بن واقد ، قال الحافظ فى التقريب « ثقة له أوهام وذكره بن كثير ٤/ ٤٧٥ من رواية بن جرير وابن أبى حاتم . انظر تفسير زاد المسير ٥/ ٤٠٤ « المكتب الاسلامى »

ومدار هذا القول على حديث الصور الطويل وحديث الصور الطويل ضعفه العلماء [1] . قال الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى : « وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر ولكنه لم يثبت مايؤيده من النقل ، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه ، وهو القول الآخر [2] » .

٢ - القول الثانى : أنها تكون يوم القيامة بعد قيام الناس من القبور و الأدلة على هذا كثيرة سنذكر منها ما يؤيد رجاحة هذا القول وأن أهوال القيامة تحصل جميعها يوم القيامة عندما يقوم الناس جميعا من قبورهم .

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **يقول الله عز وجل يوم القيامة : ياآدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار . قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف – أراه قال – تسعمائة وتسعة وتسعين – فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم ،** فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد . ثم أنتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الأبيض أو كالشعرة فى جنب الثور الأسود ، وإنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا . ثم قال : ثلث أهل الجنة ، فكبرنا . ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا** [3] » .

(١)انظر الكلام على حديث الصور فى فتح البارى شرح صحيح البخاري ١١ / ٣٦٨ – ٣٦٩ .

(٢)أضواء البيان ٥/ ٩ .

(٣)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة الحج باب ١ حديث ٤٧٤١ ورواه أحمد فى المسند ٣/ ٣٢، ٣٣ . ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ٢٢٢ وجاء فى بعض الطرق للحديث عند البخاري « أو كالرقمة فى ذراع الحمار » كتاب الرقاق باب ٤٦ حديث ٦٥٣٠ .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ قال : أنزلت عليه هذه وهو في سفر [١] ، فقال : أتدرون أي يوم ذلك ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار فقال يارب وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية ، قال : فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا كمثل الرقمة [٢] في ذراع الدابة أو كالشامة [٣] في جنب البعير ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال : « إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا ، قال : « لا أدري ، قال الثلثين أم لا [٤] » .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وعنده أصحابه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى آخر الآية . فقال : « هل تدرون أي يوم ذاك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : ذاك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النارأو قال : بعثاً إلى النار فيقول : يارب من كم ؟

---

(١)كان ذلك في منى . انظر فتح البارى ١١/ ٣٩٢ .

(٢)الرقمة : قال النووي : قال أهل اللغة : الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضده وقيل : هي الدائرة في ذراعيه وقيل هي الرمة الناتئة في ذراع الدابة من داخل . انظر سنن الترمذي ٥/ ٣٢٣ تحقيق أحمد محمد شاكر .

(٣)الشامة : الخال والعلامة في الجسد . نفس المرجع .

(٤)رواه الترمذي في كتاب التفسير سورة الحج باب ٢٣ حديث ٣١٦٨ وقال هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه الامام أحمد في المسند ٤/ ٤٣٥ .

قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن فقال رسول الله ﷺ : « **إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ففرحوا** ، فقال النبي ﷺ : « **اعملوا وأبشروا فإنكم بين خليقتين لم يكونا مع أحد إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج وإنما أنتم فى الناس أو فى الأمم كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الناقة وإنما أمتي جزء من ألف جزء** »[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **أول من يدعى يوم القيامة آدم ، فتراءى ذريته فيقال : هذا أبوكم آدم ، فيقول : لبيك وسعديك فيقول أخرج بعث جهنم من ذريتك ، فيقول : يارب كم أخرج ؟ فيقول : أخرج من كل مائة تسعة وتسعين ، فقالوا : يارسول الله . إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا ؟ . قال : « إن أمتى فى الأمم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود**[2] » من هذه الأحاديث الصحيحة يتضح أن زلزلة الساعة المذكورة هي فى يوم القيامة عند قيام الناس من قبورهم . وإن كان هناك تساؤلات ترد على الحامل والمرضع كيف يكون ذلك يوم القيامة حيث لا رضاع ولا حمل ؟ فأجيب عن هذا باحتمالين : **الاحتمال الأول** : أن ذلك كناية من شدة الهول ، فلو كان هناك مرضعة لذهلت عن رضيعها ، ولو كان هناك حامل لأسقطت حملها . كقوله تعالى ﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ** ﴾[3] .

---

(١)رواه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٦٨ وقال هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٥ حديث ٦٥٢٩ .

(٣)سورة المزمل آية ١٧ .

الاحتمال الثانى : أن من مات على شئ بعث عليه [1] . فالمرضع تبعث وهي ترضع ولدها والحامل تبعث وهي بحملها فمن أهوال ذلك اليوم تذهل المرضع عن رضيعها وتضع الحامل حملها . والله أعلم بالصواب . ويرد أيضا سؤال على حديث أبي هريرة ﷺ « أخرج من كل مائة تسعة وتسعين » مع أن بقية الأحاديث « من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين » . قال الكرمانى [2] رداً على هذا : « أن مفهوم العدد لا ا عتبار له فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد ، والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين » [3] .



(١)لعل هذا يصدق عليه قوله ﷺ « **يبعث كل عبد على ما مات** » من حديث جابر عند أحمد فى المسند ٣/ ٢٣١

(٢)الكرمانى : محمد بن يوسف بن على بن سعيد شمس الدين الكرمانى ولد سنة ٧١٧هـ : عالم بالحديث أصله من كرمان . اشتهر فى بغداد قال ابن حجي : تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة . وأقام مدة بمكة . وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري فى شرح صحيح البخارى – ط) خمسة وعشرين جزءا صغيرا ، قال ابن قاضي شهبة : فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما فى ضبط أسماء الرواة وله « ضمائر القرآن – خ » و « النقود والردود فى الأصول – خ » مختصرة ، و «شرح لمختصر ابن الحاجب «سماه »السبعة السيارة » لأنه جمع فيه سبعة شروح . و« أنموذج الكشاف – خ » تعليق عليه . فى مجموعة بالبلدية (ن ١٩٥٦ – د) ومات راجعاً من الحج فى طريقه إلى بغداد ودفن فيها سنة ٧٨٦ » الأعلام للرز كلى ٧/ ١٥٣ .

(٣)فتح البارى ١١/ ٣٩٠ .

المبحث الثالث
تغير أحوال الناس

من المعلوم أنه فى الحياة الدنيا يحصل التعاطف بين الناس خاصة الأقرباء من الآباء والأبناء والأمهات والإخوان والأصدقاء فيكون الأخذ والعطاء وتبادل المصالح ، وقد تحصل المشاحة بين الأقرباء وذلك حسب أحوال الناس . ولكن يوم القيامة تنقطع الصلة بين الناس فى الأخذ والعطاء وحتى بين الأقرباء الأب وابنه والأم وابنها والأخ وأخيه والصديق وصديقه وذلك من هول مايرون ومن أمس الحاجة لما يملكون حيث لا نجاة لأحد إلا بأعماله الصالحة ثم برحمة أرحم الراحمين . وإن كانت المحبة موجودة بين المتقين والعداوة حاصلة بين الكافرين وإن كانت صداقة وقربى فى الدنيا . قال الله تعالى ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [1] أما الحسنات فهيهات هيهات أن يعطي أحد أحداً ولو مثقال ذرة ولو كان أقر قريب أو أصدق صديق . فتغير أحوال الناس التى كانت فى الدنيا على بعضهم وذلك يوم القيامة .

قال الله تعالى ﴿ **فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ [2].

إذا كان يوم القيامة وحصل الحق الذى كان يوعده العباد ، أصبح لا يعرف أحد أحداً فى إسداء معروف ، وحتى القريب يهرب من قريبه كل يقول نفسي نفسي يرجو النجاة من عذاب الله تعالى الذى لا يغنى عنه شيئا إلا الأعمال

---

(١)سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٢)سورة عبس آية ٣٣ – ٣٧ .

الصالحة . قال عكرمة : « يلقى الرجل زوجته فيقول لها : ياهذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول : نعم البعل كنت وتثني بخير ما استطاعت فيقول لها : فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو مما ترين . فتقول له : ما أيسر ماطلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول : يابنى أى والد كنت لك ؟ فيثنى بخير . فيقول له : يابني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ماطلبت ولكني أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا [1] » .

انه لمشهد عظيم والأخ يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه بل وتصور والرسل الذين هم من أرحم الناس للناس خاصة أولوا العزم منهم وهم يقولون يوم القيامة عندما يستشفع بهم الناس إلى ربهم « نفسي نفسي » [2] . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3] . يوم القيامة لا ينفع قريب قريبه ، ولا يدفع عنه شيئا مما يحل به فى ذلك اليوم ولا ينفع إلا رحمة أرحم الراحمين .

قال تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [4]

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٤٣ دار الكتب العلمية تحقيق حسين بن ابراهيم زهران .
(٢)أنظر حديث الشفاعة فى صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث ١٩٤ .
(٣)سورة الدخان آية ٤٠ – ٤٢ .
(٤)سورة المؤمنون آية ١٠١ .

قال الشيخ الشنقيطى رحمه الله تعالى : « فى هذه الآية سؤالان :

السؤال الأول : ماوجه نفي الأنساب بينهم مع أنها باقية كما دل عليه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ ففى هذه الآية ثبوت الأنساب بينهم .

السؤال الثانى : أنه قال ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ مع أنه ذكر فى آيات أخر أنهم فى الآخرة يتساءلون كقوله ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [1] إلى غير ذلك من الآيات .

الجواب عن السؤال الأول : أن المراد بنفي الانساب انقطاع آثارها التى كانت مترتبة عليها فى دار الدنيا من التفاخر بالآباء والنفع والعواطف والصلات فكل ذلك ينقطع يوم القيامة ، وليس المراد نفي حقيقة الأنساب .

الجواب على السؤال الثانى : من ثلاثة أوجه :

الأول : أن نفي السؤال بعد النفخة الأولى وقبل الثانية وإثباته بعدهما . وهذا الجواب فيما يظهر لا يخلو من نظر .

الثانى : أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك .

الثالث : أن السؤال المنفى سؤال خاص وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق لقنوطهم من الإعطاء » [2] اهـ .

---

(١)سورة الطور آية ٢٥ . وسورة الصافات آية ٢٧ .

(٢)أضواء البيان ٥/ ٨٨٢ بتصرف بسيط .

تصور : بعد أن كانوا أغنياء أصبحوا فقراء إلا من وفقه الله للأعمال الصالحة .

وبعد أن كانت الصلات والعطاء أصبحت المشاحة وهروب بعضهم من بعض حتى أقرب قريب وبعد أن كانوا لا بسين الثياب وأنواع الزينة أصبحوا عراة .

وبعد أن كانوا منتعلين بأفخر الأحذية أصبحوا حفاة . وبعد أن كانت البيوت الفاخرة وأشهى المأكولات والمشروبات أصبح لا سكن ولا طعام ولا ماء. تغيرت جميع أحوال الدنيا وملذاتها بأحوال أخرى يوم القيامة .



المبحث الرابع
صفة مجيئهم لأرض المحشر

قال الله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (١) .
عند خروجهم من القبور ، وبينما الناس في حيرتهم ودهشتهم وسوء مظهرهم ، فإذا بمناد الحق – داعي الله – يدعوهم إلى موقف الحساب ليقضي الله بين عباده ويوفيهم أجورهم ، فيتجهون إلى ذلك الموقف وهم مثل الجراد فى انتشاره لكثرتهم ، ويسمعون إلى مادعوا إليه ذليلى الأبصار من عظم الأمر وهوله ، مهطعين (٢) لذلك .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : « وإنما وصف جل ثناؤه بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم والمراد به أجسامهم لأن أثر ذلّة كلّ ذليل وعزة كل عزيز تتبين فى ناظريه دون سائر جسده ، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع (٣) » . فى تلك الساعة يرى الكافر بربه فى الدنيا المكذب باليوم الآخر ، عظم هذا اليوم وشدة هوله ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (٤) وقد بين سبحانه وتعالى صفة مجيئهم إلى أرض المحشر عندما يدعون لذلك فقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٥) .

---

(١)سورة القمر آية ٦ – ٨ .

(٢)مهطعين : هطع يهطع هطوعا . وأهطع : أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه لسان العرب مادة « هطع » ٨/ ٣٧٢ .

(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧ / ٩٠ .

(٤)سورة المدثر آية ٩ – ١٠ .

(٥)سورة المعارج آية ٤٣ – ٤٤ .

« مجيبين لدعوة الداعي مهطعين إليها كأنهم إلى علم يؤمون ويقصدون فلا يتمكنون من الاستعصاء على داعي ولا الا لتواء عن نداء المنادى بل يأتون أذلاء مقهورين بين يدى رب العالمين . وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم واستولى على أفئدتهم فخشعت منهم الأبصار وسكنت الحركات وانقطعت الأصوات ذلك الحال والمآل هو ﴿ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ ولا بد من الوفاء بوعد الله » (١) .

فجميع الخليقة من إنس وجن ووحوش ودواب يأتون ساعين إلى أرض المحشر . قال تعالى ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (٥) .

قال ابن العباس : « يحشر كل شئ حتى الذباب » (٦) . وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (٧) وذلك بجمع كل نظير إلى نظيره فى الخير والشر .

تأتى جميع الخلائق بعد بعثها إلى أرض الموقف ليحاسب الله كلاً على ماكان وصار في الحياة الدنيا وذلك عندما يدعون لذلك قال تعالى ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

(١) تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدى ٧/ ٤٧٩ .
(٢) سورة الكهف آية ٤٧
(٣) سورة ق آية ٤٤ .
(٤) سورة الانعام آية ٣٨ .
(٥) سورة التكوير آية ٥ .
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٤٨ .
(٧) سورة التكوير آية ٧ .

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [1] وكما قال تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [2] .



(١)سورة ق آية ٤١ – ٤٤ .

(٢)سورة يس آية ٥١ – ٥٣ .

المبحث الخامس
جثو الأمم للحساب

قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا(٢) كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » (٣) .

قال سيد قطب رحمه الله تعالى : « إنه يعجل لهم فى الآية الأولى عاقبة المبطلين . فهم الخاسرون فى هذا اليوم الذى يشكون فيه . ثم تنظر من خلال الكلمات فإذا ساحة العرض الهائلة ، وقد تجمعت فيها الأجيال الحاشدة التى عمرت هذا الكوكب فى عمره الطويل القصير ، وقد جثوا على الركب متميزين أمة أمة فى ارتقاب الحساب المرهوب . . . وهو مشهد مرهوب بزحامه الهائل يوم تتجمع الأجيال كلها فى صعيد واحد . ومرهوب بهيئته والكل جاثون على الركب ، ومرهوب بما وراءه من حساب ومرهوب قبل كل شئ بالوقفة أمام الجبار القاهر ، والمنعم المتفضل الذى لم تشكر أنعمه ولم تعرف أفضاله من أكثر هؤلاء الواقفين . ثم يقال للجموع الجاثية المتطلعة إلى كل لحظة بريق جاف ونفس مخنوق . يقال لها :

---

(١)سورة الجاثية آية ٢٧ – ٢٩ .

(٢)جثا : بضم أوله والتنوين جمع جثوة كخطوة وخطاً . وحكى ابن الأثير أنه روى « جثى » بكسر المثلثة وتشديد التحتانية جمع جاث وهو الذى يجلس على ركبتيه . وقال ابن الجوزي عن ابن الخشاب انما هو « جثّى » بفتح المثلثة وتشديدها جمع جاث مثل غاز وغزى أنظر فتح البارى ٨ / ٤٠٠ .

(٣)رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الاسراء باب ١١ حديث ٤٧١٨ .

﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ فيعلمون أن لا شئ سينسى أو يضيع ، وكيف وكل شئ مكتوب ، وعلم الله لا يند عنه شئ ولا يغيب » [1] ، فياله من مشهد عظيم فى يوم مهول فى موقف فيه تركع الأمم على ركبها لله رب العالمين مستذلة خائفة وجلة مما سيكون فى فصل القضاء من الجبار العظيم – الذى لا محاباة فيه ولا مناظرة لأحد دون آخر بل حق يحصحص ، وحكم ينفذ . فلله الأمر من قبل ومن بعد وإليه المصير .



(١) فى ظلال القرآن ٥/ ٣٢٣٣ .

المبحث السادس
تسلم نتائج الأعمال

إن التطلع لنتائج الأمور لشئ عظيم يجعل فى الانسان القلق فى النفس والاضطراب فى الجسم ، لأن الانسان ينتظر أحد أمرين إما بشرى بسعادة أو نبأ بخسران . فكيف بأمر عظيم فيه حياة الانسان وسعادته أو خسارته وشقاوته ؟ .

ياله من مشهد عظيم فيه تتطاير الصحف – وتصور كثرة ذلك واتجاه كل صحيفة لصاحبها – فآخذ صحيفته بيمينه وهي تحمل البشر والسرور ، والنجاة من عذاب الله تعالى ، وآخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره وهي تحمل السوء والبشارة بالعذاب ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

قال القرطبى : « فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها ، ولا مخبأة أسررتها ، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل (٢) وقلب منكسر والأهوال محدقة بك ومن بين يديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها وكم من سية قد كنت أخفيتها قد أظهرها و أبداها وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً فيا حسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك (٣) » .

---

(١)سورة التوبة آية ٣ .

(٢)الكليل : الكل قفا السيف والسكين الذى ليس بحاد . وكل السيف والبصر وغيره من الشئ الحديد يكل كلا وكلة وكلالة وكلولة وكلولا وكل فهو كليل . وكل لم يقطع . لسان العرب مادة « كلل » ١١ / ٥٩١ .

(٣)التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٠٩ دار الكتب العلمية – بيروت .

قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [1] . يعرض كتابه على الملأ من الخليقة فرحاً مسروراً بنتيجة النجاح ، ويود من الجميع أن يطلعوا على ذلك ، كما يخبرهم أن نتيجة ذلك لعلمه اليقينى فى الدنيا بتحقق هذا اليوم فعمل من الأعمال ما أهله لهذا النجاح . وقال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ [2] يتمنى المفرط أنه لم يعط كتابه ولم يعلم بالنتيجة ، لأن فى ذلك أولاً الحسرة ثم الفضيحة أمام الملأ ثم دخول النار . حقاً أن ذلك يوم التغابن كما وصفه الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [3] . وهذه كلها مشاهد فى بعضها الفرح والسرور وفى بعضها الحزن والأسى ، وكل ذلك يظهر واضحاً جلياً أمام الخليقة ، نسأل الله السلامة والفوز ، والنجاة من الخسارة والفضيحة .



(١)سورة الحاقة آية ١٩ – ٢٠ .

(٢)سورة الحاقة آية ٢٥ – ٢٦ .

(٣)سورة التغابن آية ٩ .

الفصل الثالث
مشاهد المؤمنين يوم القيامة

قـــال الله تعـــالى ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [1] وقـــال تعـــالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [2] . وقال تعـالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [3] وقـال تعـالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [4] . الحياة الدنيا مزرعة للأعمال . والـدار الآخـرة حصاد ، فمن زرع خيراً وجد جـزاءه ، ومـن زرع شراً وجـد عقابـه ، وقـد جعـل الله ﷻ لكل من الفريقين أوصافاً يوم القيامة تبين إحسانه فى الدنيا أو إساءته ، وفى هذا الفصل سأبين إن شاء الله تعالى صفات المؤمنين يوم القيامة فى مباحث :

المبحث الأول : القول الحق من الرسل عند سؤال المولى لهم .

المبحث الثانى : وجوه المؤمنين يوم القيـامة .

المبحث الثالث : من يغبطون فى موقف الحساب .

المبحث الرابع : نور المؤمنين يسعى بين أيديهم وبأيمانهم .

---

(١)سورة الحشر آية ٢٠ .

(٢)سورة الجاثية آية ٢١ .

(٣)سورة غافر آية ٥٨ .

(٤)سورة ص آية ٢٨ .

المبحث الأول
القول الحق من الرسل عند سؤال المولى لهم

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (١) .

إن هول يوم القيامة يفزع كل أحد من مخلوقات الله تعالى إلا من أمن الله تعالى لأن عظمته ﷻ يستذل أمامها من كبر ومن صغر وأن علمه محيط بكل شئ فلا علم مع علمه . لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى .

فى ذلك اليوم الرهيب الذى فيه يملأ القلق النفوس ، ويصل الخوف منتهاه كما قال تعالى ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٢) وكما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ (٣) نجد عباد الله الصالحين كلهم خير فى جميع أحوالهم الظاهرة والباطنة فإن سئلوا وتكلموا فبخير وصدق ، وإن صمتوا فعلى خير وتقى ، ورسل الله تعالى أصفى البشرية قلوباً ، وأزكاها أنفساً وأصدقها منطقاً ، وأكثرها إيماناً ، وأطيبها خلقاً ، وأعلمها بربها ومراده جل وعلا ، وما أعظم حكمته ﷻ فى كل شئ خاصة وقد اختار من كل أمة أفضلها ، وكلفه بإبلاغ دينه ، فهاهم رسل الله جميعاً يجيبون ربهم عند سؤالهم فى ذلك المشهد العظيم والجمع الغفير بإرجاع العلم لأهله ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ العلم لمن لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، قال لقمان لابنه وهو يعظه

(١)سورة المائدة آية ١٠٩ .

(٢)سورة النور آية ٣٧ .

(٣)سورة ابراهيم آية ٤٢ .

كما أخبر الله بذلك ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ (١) .

قال سيد قطب : « والرسل بشر من البشر لهم علم ماحضر وليس لديهم علم مااستتر ، لقد دعوا أقوامهم إلى الهدى فاستجاب منهم من استجاب ، وتولى منهم من تولى ، وما يعلم الرسول حقيقة من استجاب إن كان يعرف حقيقة من تولى ، فإنما له ظاهر الأمر وعلم مابطن لله وحده . وهم فى حضرة الله الذى يعرفونه خير من يعرف ، والذى يهابونه أشد من يهاب ، والذى يستحيون أن يدلوا بحضرته بشئ من العلم وهم يعلمون أنه العليم الخبير . إنه الاستجواب المرهوب فى يوم الحشر العظيم على مشهد من الملأ الأعلى وعلى مشهد من الناس أجمعين . الاستجواب الذى يراد به المواجهة . . مواجهة البشرية برسلها ، ومواجهة المكذبين من هذه البشرية خاصة برسلهم الذين كانوا يكذبونهم . ليعلن فى موقف الإعلان أن هؤلاء الرسل الكرام إنما جاءوهم من عند الله بدين الله ، وهاهم أولاء مسؤولون بين يديه – سبحانه – عن رسالاتهم وعن أقوامهم الذين كانوا من قبل يكذبونهم .

أما الرسل فهم يعلنون أن العلم الحق لله وحده ، وأن مالديهم من علم لا ينبغى أن يدلوا به في حضرة صاحب العلم تأدباً وحياء ومعرفة بقدرتهم فى حضرة الله : ﴿ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ (٢) .

---

(١)سورة لقمان آية ١٦ .

(٢)فى ظلال القرآن ٢/ ٩٩٦ .

ثم لننظر أمام الملأ والمولى ﷻ يخاطب أحد أنبيائه فيقول سائلا له : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ ﴾ ؟ فنجد الرد الصدق من عيسى عليه السلام لربه ﷻ ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١)

وقد بين سبحانه وتعالى المقالة الصادقة من عباده الله الصالحين – الذين عبدوا من دون الله دون رضاهم – يوم القيامة (٢) فقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ ؟ فيجيبون كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى ﴿ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴾(٣) . قال ابن عباس : بوراً . اى: هلكى . وقال الحسن البصرى ومالك عن الزهرى : اى لا خير فيهم (٤)» .



(١)سورة المائدة آية ١١٦ – ١١٧ .

(٢)قال مجاهد : هو عيسى والعزيز والملائكة . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩٩ .

(٣)سورة الفرقان آية ١٧ – ١٨ .

(٤)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٠٠ .

المبحث الثانى
وجوه المؤمنين يوم القيامة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ : « ماأسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتان لسانه ، والغرض أن الشيء الكامن فى النفس يظهر على صفحات الوجه ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله ﷻ ظاهره للناس [(١)] » .

فكما أن هذا يعرف فى الدنيا ، فكذا يكون يوم القيامة حيث يظهر النور على وجوه المؤمنين وتكون محاطة بنور الإيمان الذى كان متغلغلاً فى القلوب ثم ظهر نوره على الوجوه وأصبح له ضياء فى العيون ، ليكون ذاك صفة للمؤمنين الأتقياء يميزهم عن غيرهم من المجرمين ، وليغبطوا على ذلك ويهنأوا بهذا النعيم والكرامة . قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [(٢)] فالناس فى الموقف فريقان : أهل الايمان تشع وجوههم نوراً ، وأهل الكفر والعصيان يخيم الظلام على وجوههم بسبب ما أبطنوه ومن سوء ماسيقابلون به ربهم وخالقهم أمام الملأ من الناس .

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[(٣)] الجزاء من جنس العمل ، مثلما عملوا صالحاً فى الدنيا ، يبيض الله وجوههم يوم القيامة ويدخلهم الجنة ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[(٤)]

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣١٣ .
(٢)تفسير آل عمران آية ١٠٦ .
(٣)سورة آل عمران آية ١٠٧ .
(٤)سورة النبأ آية ٣٦ .

ثم تأتى الآيات مبينة مشاهد العز والكرامة للوجوه المؤمنة : قال تعالى ﴿ **وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ (١) وجوه تتلألأ نوراً قد أسلمها الله تعالى مما قد أصاب غيرها من الغبرة والهوان ، والذل والخسران كما قال تعالى ﴿ **فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ (٢) وكما قال تعالى ﴿ **تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ (٣) ونضرة الوجه وسروره للمؤمنين تكون فى الدنيا والآخرة كما أخبر الله تعالى ﴿ **سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ** ﴾ (٤) هذه صفة كل مؤمن حقاً ، وإن وردت فى الصحابة رضي الله عنهم إلا أن صفة المؤمنين واحدة فى الدنيا والآخرة ، وان اختلفت مقاماتهم ودرجاتهم .

قال ابن جرير بعد ذكر ماورد فى معنى هذه الآية : « وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن سيماء هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يخص ذلك على وقت دون وقت ، وإن كان ذلك كذلك ، فذلك على كل الأوقات فكان سيماهم الذى كانوا يعرفون به فى الدنيا أثر الاسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته ، وآثار أداء فرائضه وتطوعه . وفى الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به ، وذلك الغرة فى الوجه والتحجيل فى الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجه من أثر السجود » . (٥)

---

(١)سورة يونس آية ٢٦ .
(٢)سورة الانسان آية ١١ .
(٣)سورة المطففين آية ٢٤ .
(٤)سورة الفتح آية ٢٩ .
(٥)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٦/ ١١٢ مطبعة الحلبي – الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م .

فالحسن والبهاء يعلو تلك الوجوه المستنيرة بنور الإيمان ، وتزداد صفاء بالنظر إلى الرحمن ، قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (١) . ويستمر البشر والوضاء على الوجوه فى الزيادة من شدة الفرح فتظهر ضاحكة مستبشرة بالنعيم الذى فازت به . قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (٢) أى يوم القيامة يظهر اغتباطها بالفوز ، فتظهر بهذا المنظر الذى يشاهدهم به من كان فى ذلك الموقف على الوجوه متنعمة بما ظفرت به ، جزاء على ماقدمته من الأعمال الصالحة فى الحياة الدنيا . كم قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ (٣) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : كنت عند رسول الله ﷺ وطلعت الشمس فقال : يأتي الله قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس . فقال أبو بكر : أنحن هم يارسول الله ؟ قال : « لا . ولكن خير كثير . ولكنهم الفقراء والمهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض » (٤) .

وعنه رضي الله عنه قال : وكنا عند رسول الله ﷺ يوماً آخر حين طلعت الشمس فقال رسول الله ﷺ : « **سيأتى أناس من أمتى يوم القيامة نورهم كضوء الشمس** » قلنا : من أولئك يارسول الله ؟ فقال : « **فقراء المهاجرين والذين تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته فى صدره يحشرون من أقطار الأرض** » (٥) .

---

(١)سورة القيامة آية ٢٢ – ٢٣ .

(٢)سورة عبس آية ٣٨ – ٣٩ .

(٣)سورة الغاشية آية ٨ – ٩ .

(٤)رواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ٢٢٢ وقال أحمد محمد شاكر اسناده صحيح ١٢ / ٢٨ . حديث ٧٠٧٢ .

(٥)رواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ١٧٧ وقال أحمد محمد شاكر إسناده صحيح ١٠/ ١٣٦ حديث ٦٦٥٠ .

هذه الخاصية وإن جاءت لفئات مخصوصة من أمة محمد ﷺ إلا أن المؤمنين من أي أمة من الأمم لا تخلو من السيماء الطيبة ، والنور المشع ، والصفات البهية ، والنضارة العلية ، التى يشاهدون بها أمام جموع الخليقة فى أرض المحشر ويميزون بها عن غيرهم ممن حاد عن الهدى واتبع الردى .

فهذه الفئات من الناس قد اتصفوا بصفات أهلتهم لهذه المنزلة هي :

١ - حقيقة الايمان الذى تغلغل فى قلوبهم وأنساهم كل شئ سوى هذا الدين ، وطاعة رب العالمين .

٢ - الهجرة فى سبيل الله وقلوبهم تحن إلى أوطانهم ولكن محبة الله ورسوله أنستهم ذلك فانتقلوا من بلد الشرك إلى بلد الاسلام .

٣ - الصبر على الفقر فى سبيل دينهم فلم يتشوفوا لحطام الدنيا الفاني ليصبح أكبر همهم أو مبلغ علمهم ، أو غاية رغبتهم ، بل كان طموحهم الدار الآخرة حتى وافاهم الأجل وهم فى ضنك الحياة وشغف العيش .

فتصورهم وهم بين الناس على أرض المحشر وقد أصبح نورهم كضوء الشمس وهم فى سعادة وحبور ، وصفاء وسرور ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾ (١) .

(١) سورة الحديد آية ٢١ .

المبحث الثالث
من يغبطون فى موقف الحساب

للمواقف الإيمانية فى الحياة الدنيا أثرها الطيب فى الدنيا والعقبى الحسنة فى الآخرة وخاصة مايظهر واضحاً جلياً فى موقف لا يغنى مولىً عن مولى شيئاً إلا من قرّبة الله تعالى ورضي له قولاً وكان له منزلة ومكانة ، وسنرى بعض من أوضحت السنة المطهرة ، عظم مكانتهم وعلو قدرهم :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظله [(١)] يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل ذكر الله فى خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه [(٢)]** » .

هؤلاء سبعة أصناف من الناس يظلهم الله تعالى فى ظله يوم تدنو الشمس من الناس ويلجمهم العرق ويكونون أحوج مايكونون إليه من الأعمال الصالحة ،

---

(١)المراد بالظل فى الحديث : الظل الحقيقي لا كما يؤوله المؤلة بتأويلات .وهو ظل العرش كما نطقت بذلك الأحاديث . عن معاذ بن جبل ﷺ قال قال رسول الله ﷺ « **إن المتحابين بالله فى ظل العرش** » انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٦١ ورقمه ١٩٣٣ وعزاه للطبرانى . وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى : « **حقت محبتى على المتحابين ، أظلهم فى ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلى** » انظر نفس المرجع السابق ٤/ ١٦٦ – ورقمه ٤١٩٦ وله شاهد رقمه ٤١٩٧ .

(٢)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الآذان باب ٣٦ حديث ٦٦٠ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الزكاه حديث ١٠٣٠ ، ورواه الترمذى فى كتاب الزهد باب ٥٣ حديث ٢٣٩١ ، والامام أحمد فى المسند ٢/ ٤٣٩ ، ورواه الامام مالك فى الموطأ كتاب الشعر حديث ١٤ والنسائى فى كتاب القضاة « الامام العادل » ٨/ ٢٢٢ .

وهؤلاء الأصناف وإن جاء ذكرهم بصيغة التذكير إلا أنه لا يمنع أن يشترك النساء فى ذلك لأنهم كلهم مكلفون ويتساوون فى الأعمال والجزاء ، فالامام العادل الذى أنصف فى عبادة ربه وأقام حكم الله على مراد الله وما جاءت به رسل الله تعالى لأنه كان قادراً على الظلم فلم يمنعه إلا خوفه من الله ، والشاب الذى التزم بعبادة ربه ، ولم تدفعه الشهوة وقوة الباعث على الحرام ، ومن تعلق قلبه ببيوت الله تعالى وإن كان خارجها فقلبه دائما فى المسجد لمحبته لعبادة الله تعالى ، واللذان تحابا فى الله من أجل الصفات الدينية والإلتزامات الشرعية ولم يكن لغرض دنيوى ولم يفرق بينهما شئ إلا الموت ، ومن حصن نفسه من الزنا وإن تيسر له ذلك ودعي إليه وكانت دوافعه من الجمال أو الأصل أو الشرف ، والذى أنفق المال على حبه وابتعد عن موطن الرياء والسمعة فدفع ذلك خفية يرجو ثواب ربه ومن ابتعد عن الناس وتفكرفى هذه المخلوقات وفى الآيات الكونية ، أو بلسانه بآيات الله التنزيلية فبكى من خشية الله والخوف من الله . جميعهم يوم القيامة فى أمن وأمان لأنهم فى ظل الرحمن . نسأل الله أن يجعلنا معهم فهو الكريم المنان .

قال ابن حجر العسقلانى : « قوله « سبعة » ظاهره اختصاص المذكورين بالثواب المذكور ، ووجهه الكرمانى : بما محصله أن الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الرب أو بينه وبين الخلق ، فالأولى باللسان وهو الذكر ، أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد ، أو بالبدن وهو العفة » . [١] .

---

(١) فتح البارى ٢/ ١٤٣ .

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت أنا وأبى نطلب العلم فى هذا الحى من الأنصار قبل أن يهلكوا . فكان أول من لقينا أبا اليسر [١] صاحب رسول الله ﷺ . ومعه غلام له معه ضمامة [٢] من من صحف وعلى أبى اليسر بردة [٣] ومعافري [٤] وعلى غلامه بردة ومعافري . فقال له ياعم إنى أرى فى وجهك سفعة [٥] من غضب . قال : أجل . كان لي على فلان بن فلان الحراميّ [٦] مال . فأتيت أهله فسلمت . فقلت : ثم هو ؟ قالوا : لا . فخرج علي ابن له جفر [٧] فقلت له : أين أبوك ؟ قال : سمع صوتك فدخل أريكة [٨] أمىّ . فقلت : أخرج إلىّ . فقد علمت أين أنت . فخرج . فقلت : ماحملك على أن اختبأت منى ؟ قال : أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك . خشيت والله أن أحدثك فأكذبك . وأن أعدك

---

(١)أبو اليسر : بفتح الياء المثناة تحت والسين المهملة واسمه كعب بن عمرو شهد العقبة وبدراً وهو ابن عشرين سنة وهو آخر من توفي من أهل بدر رضي الله عنه توفي بالمدينة سنة خمس وخمسين – انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠١ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) ضمامة من صحف : أي حزمة . وهى لغة فى الإضمامة . النهاية فى غريب الحديث ٣ / ١٠١ .

(٣)بردة : والبردة الشملة المخططة وقيل كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب وجمعها برد . النهاية فى غريب الحديث ١/ ١١٦ .

(٤)معافري : هي برود باليمن منسوبة الى معافر وهي قبيلة باليمن والميم زائدة . النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٢٦٢ .

(٥)سفعة من غضب : نوع من السواد ليس بالكثير . وقيل هو سواد مع لون آخر : النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٧٤ .

(٦) كان ل ي على فلان بن فلان الحراميّ : قال القاضى رواه الأكثرون الحرامى بفتح الحاء والراء نسبة إلى بنى حرام ورواه الطبري وغيره بالزاي المعجمة مع كسر الحاء ورواه ابن ماهان الجذامي بجيم مضمومة وذال معجمة . صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠٢ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٧)ابن له جفر : الجفر هو الذى قارب البلوغ وقيل هو الذى قوي على الأكل وقيل ابن خمس سنين . صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠٢ . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٨)دخل أريكة أمي : الأريكة : السرير فى الحجلة من دونه ستر ولا يسمى منفردا أريكة وقيل هو كل ما اتكيء عليه من سرير أو فراش أو منصة . النهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٠ .

فأخلفك . وكنت صاحب رسول الله ﷺ . وكنت والله معسراً . قال قلت : الله . قال : الله . قلت : الله . قال : الله . قلت : الله قال : الله . قال : فأتى بصحيفته فمحاها بيده . فقال إن وجدت قضاء فاقضنى وإلا أنت فى حل . فأشهد بصر عينى هاتين (ووضع أصبعه على عينيه) وسمع أذنى هاتين ، ووعاه قلبى هذا (وأشار إلى مناط قلبه [1]) رسول الله ﷺ وهو يقول : « **من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله** » [2] .

ان هذه الخصلة الحميدة التى يحصل بها الإفراج عن الآخرين (المعسرين) وأثرها العميق فى النفوس حيث إبراء الذمم مما قد ارتهنت به من الحقوق وعدم استطاعتها من الوفاء بذلك والتخلص من شراكه ، والذى جاء بالعفو ممن رغبوا فى ثواب الله تعالى ومشاركة اخوانهم المشاعر والأحوال والإيثار الذى قد يصعب أن يكون من أحد إلا لمن وفق إلى الخير . فكان الجزاء من الله تعالى على ذلك أعظم ، وذلك بأن يفرج عنهم هم الموقف يوم القيامة وكرباته مثلما فرجوا عن إخوانهم فى الدنيا فيظلهم فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنّ الله يقول يوم القيامة أين المتحابون ؟ بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى** » [3] .

---

(١)مناط قلبه : هو بفتح الميم . وفى بعض النسخ المعتمدة : يناط بكسر النون ومعناهما واحد . وهو عرق معلق بالقلب . انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠٢ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد من حديث جابر الطويل وقصة أبى اليسر ـ حديث ٣٠٠٦ ورواه الترمذي من حديث أبى هريرة كتاب البيوع باب ٦٧ حديث ١٣٠٦ وقال حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه فى سننه كتاب الصدقات باب ١٤ ورواه الدرامى فى سننه كتاب البيوع باب ٥٠ ، ورواه أحمد فى المسند عن أبي هريرة ٢/ ٣٥٩ .

(٣)رواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ٢٣٧ ، ٣٢٨ ، وإسناده صحيح قاله أحمد محمد شاكر ١٢ / ٢٢٠ حديث ٧٢٣٠ ، ورواه مالك فى الموطأ كتاب الشعر باب ١٣ والدرامى فى كتاب الرقاق باب ٤٤ .

إنها المحبة فى الله تعالى لأن المحبة لغير الله باطلة قال تعـالى ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ (١) فهم يدعون يوم القيامة ويكونون فى ظـل الله تعالى ، لا يتأثرون من حرارة الشمس ولا مما يصيب الناس من شدة الهول فى عرصات يوم القيامة . يجلسون على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء كما أوضحت ذلك السنة . عن معاذ بن جبل ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله ﷻ : « **المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** » (٢) تصور والناس فى موقف الحساب وكرامات الله تعالى تظهر لأهل الصدق والوفاء فيكرمون أمام الجمع تمييزاً لهم على حسن صنيعهم فى الدنيا ورفعة وعلواً لشأنهم ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **إن المقسطين** (٣) **عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين . الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا** » (٤)

وفى رواية عنه ﷺ أنه قال ﷺ : « **إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا** (٥) » .

---

(١)سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٢)رواه الترمذى فى كتاب الزهد باب ٥٣ حديث ٢٣٩٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) المقسطون : العادلون . والاقساط والقسط بكسر القاف : العدل . يقال أقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل . وقال الله تعالى ﴿ **وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ** ﴾ شرح النووى على صحيح مسلم ١٢/ ٢١١ .

(٤) رواه مسلم كتاب الأمارة حديث ١٨٢٧ . ، ورواه النسائى كتاب آداب القضاة ٨/ ٢٢١ ، ورواه أحمد فى المسند ٢/ ١٦٠ . وقال أحمد محمد شاكر صحيح الاسناد ٩/ ٢٠٣ حديث ٦٤٩٢ .

(٥) رواه أحمد فى المسند ٢/ ١٥٩، ٢٠٣ ، وإسناده صحيح قاله أحمد محمد شاكر ٩/ ١٩٩ حديث ٦٤٨٥ .

هؤلاء الفئة من الناس الذين عدلوا فيما أولاهم الله تعالى فى الدنيا من مسئوليات على اختلافها وإن كانوا قلة بين الناس فى الدنيا إلا أن مقامهم فى الآخرة عظيم وأي مقام أفضل من هذا المقام حيث يدعون من الموقف ويجلسون على منابر من لؤلؤ فى أفضل وأعلى مقام « بين يدي الرحمن » « وعن يمين الرحمن ﷻ » ياله من مشهد يغبط أهله من الجمع ، وهم تعلو وجوههم النضارة والسرور بهذه الكرامة ، والرضاء من الرب الكريم .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون ألفاً تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر** » [(١)] وفى رواية لمسلم « على صورة القمر » [(٢)].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفاً – أو سبعمائة ألف [(٣)] شك فى إحداهما – متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوهم على ضوء القمر ليلة البدر** [(٤)] » قال القرطبى : « المراد بالصورة الصفة يعنى أنهم فى إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه وهي ليلة أربعة عشر ، ويؤخذ منه أن أنوار أهل الجنة تتفاوت بحسب درجاتهم ، وقال ابن حجر » وكذا صفاتهم فى الجمال ونحوه [(٥)] » .

---

(١) رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٠ حديث ٦٥٤٢ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ٢١٦ ، والامام أحمد فى المسند ٢/ ٤٠٠ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان حديث ٢١٧ .

(٣) الشاك هنا هو أبو حازم : سلمة بن دينار أحد رواة الحديث انظر فتح البارى ١١ / ٤١٣ .

(٤) رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥٠ حديث ٦٥٤٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ٢١٩ .

(٥) فتح البارى ١١ / ٤١٣ .

وهذه الفئة من الناس جاءت أحاديث تبين أعمالهم التى بسببها نالوا هذه الكرامة وهو أنهم « كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون [1] » . فلم يكن الله تعالى ليضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى .



(١) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٥٠ حديث ٦٥٤١ .

المبحث الرابع
نور المؤمنين يسعى بين أيديهم وبأيمانهم

قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) . قال الشنقيطي رحمه الله تعالى « ذكر جل وعلا فى هذه الآية الكريمة أن المؤمنين يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وهو جمع يمين ، وأنهم يقال لهم ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢) .

علامات السعادة والفوز تظهر واضحة جليه لأهلها فى الدنيا وفى عرصات يوم القيامة وفى مسيرتهم إلى دارهم الأبدية وفى نهاية أمرهم واستقرارهم . فهم وهم يتجهون إلى دارهم واستقرارهم يخرج الله لهم نورا يهتدون به ، ولكنهم يرون الأهوال العظام ويمرون بها فيخشون ربهم ويتوسلون إليه وكلهم رجاء فى عفوه ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) وقال سيد قطب : : « المشهد هنا بإجماله وتفصيله جديد وهو من المشاهد التى يحييها الحوار بعد أن ترسم صورتها المتحركة رسماً قوياً . فنحن نشهد هنا منظرا عجيباً : هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم ، ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً ، ذلك

---

(١)سورة الحديد آية ١٢ .

(٢)أضواء البيان ٧/ ٨٠٨ .

(٣)سورة التحريم آية ٨ .

نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم وذلك مشهد لطيف حقاً . فهذه الأجسام الانسانية المعتمة ، قد أشرقت وأضاءت وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها ، وتوجه أبصارنا نحن النظارة فى ساحة العرض إلى هذا النور ، ثم هانحن أولاء نراه وهانحن أولاء نسمع مايوجه إلى المؤمنين والمؤمنات هؤلاء من تكريم وتبشير : ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ »[1] .

لقد عمم سبحانه بهذه المكرمة لعباده المؤمنين ثم خصص حيث أشاد بذكر الشهداء فقال تعالى ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾[2] .

قال ابن كثير ﷺ تعالى : « أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم »[3] .

والشهداء أجرهم جزيل وفضلهم عظيم ومكاناتهم عالية عند ربهم .

قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[4] .

---

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ٢١٠ دار المعار بمصر .

(٢) سورة الحديد آية ١٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٨٦ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان تحقيق حسين ابراهيم زهران .

(٤)سورة آل عمران آية ١٦٩

عن مسروق[١] قال : سألنا عبدالله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : إما إنا سألنا عن ذلك . فقال [٢] : « أرواحهم فى جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة [٣] حيث شاءت . ثم تأوي إلى تلك القناديل . فاطلع إليهم ربهم اطلاعة . . فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا أي شئ نشتهى ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا .ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب . نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » [٤] .

---

(١)مسروق : هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمدانى الوفى العابد . سأله عمر يوماً عن اسمه فقال له : اسمى مسروق بن الأجدع فقال عمر : الأجدع شيطان . أنت مسروق بن عبدالرحمن . روى عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم وكان أعلم أصحاب ابن مسعود يمتاز بورعه وعلمه وعدالته . التفسير والمفسرون ١/ ١١٩ دار الكتب الحديثة – مصر .

(٢) هذا الحديث مرفوع لقوله « إنا قد سألنا عن ذلك فقال : يعنى النبى ﷺ » . شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/ ٣١ .

(٣)فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة وهو مذهب أهل السنة وهي التى أهبط منها آدم وهى التى ينعم فيها المؤمنون فى الآخرة هذا إجماع أهل السنة . وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضاً وغيرهم أنها ليست موجودة وإنما توجد بعد البعث فى القيامة ، قالوا والجنة التى أخرج منها آدم غيرها . وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق وفيه إثبات مجازاة الأموات بالثواب والعقاب قبل القيامة .قال القاضى عياض : وفيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السنة خلافاً لطائفة من المبتدعة قالت تفنى . شرح النووى على صحيح مسلم ١٣/ ٣١ .

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الاماره حديث ١٨٨٧ ، والترمذى فى كتاب التفسير سورة ٣ حديث ٣٠١١ ، وابن ماجه كتاب الجهاد باب ١٦ ، والدرامي كتاب الجهاد باب ١٨ ، وأحمد فى المسند ٣/ ٢٢٥ .

وقد بين الرسول ﷺ بعض العطاء الموهوب من الله تعالى تكريماً لعباده المؤمنين .

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة** » (١) .

الشعر قد يتغير من السواد إلى البياض لكبر الانسان ، وقد يتغير لبعض الحوادث والمؤثرات خوفا وخشية من الله تعالى .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : يارسول الله قد شبت ، قال: « شيبتنى هود والواقعة والمرسلات و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ » (٢)

فإذا حصل أحد الأمرين أو كليهما فيمن قد استرعاهم الله تعالى عبادته وفارقواالحياة الدنيا وهم على وفاق من رضاء الله تعالى ، كان هذا الشيب ضياء لهم يوم القيامة فى الموقف ، وعلامة فارقة تميزهم من غيرهم أمام الملأ من الناس ، ونوراً يهتدون به فى الظلمات وكرامة يغبطون عليها حيث لزموا عندما فرط الناس ، وصبروا عندما تمتع الناس ، وأيقنوا عندما جحد الناس ، فتصور وأنت تراهم فى عرصات يوم القيامة بين الخلائق وقد أضاءت شعور لحاهم بل شعور وجوههم بل شعور أجسامهم جميعاً لأنهم مع الناس فى ذلك اليوم حفاة عراة .

---

(١)رواه الترمذي فى كتاب فضائل الجهاد باب ٩ حديث ١٦٣٥ . وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٢)رواه الترمذي فى كتاب التفسير باب ٥٧ حديث ٣٢٩٧ . وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه . وروى على بن صالح هذا الحديث عن أبي اسحق عن أبي جحيفة نحو هذا . وروي عن أبى اسحق عن أبي ميسرة شئ من هذا مرسلا . وروى أبو بكر بن عياش عن أبى اسحق عن عكرمة عن النبي ﷺ نحو حديث شيبان عن أبي اسحق ولم يذكر فيه عن ابن عباس حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهروي حدثنا أبو بكر ابن عياش .

فما بالك بهؤلاء وهم فى ذلك الموقف الذى أحوج مايكون فيه الإنسان إلى رحمة أرحم الراحمين . كلهم نور يتلألأ يغبطهم عليه الناس فيالها من بشارة من الرب الكريم بالخير والسعادة لهذا الصنف من الناس الذين عملوا صالحاً فى حياتهم الدنيا وماتوا على ذلك ولقوا ربهم وهم على ذلك فجازاهم بهذا . جزاء من ربك عطاء حسابا .



الفصل الرابع
مشاهد الكافرين يوم القيامة

قال اله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [1] فى يوم القيامة يجمع الله جميع الخليقة من الرسل والإنس والجن والوحوش والطير والدواب وذلك لفصل القضاء وحينئذ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [2] فلكل نصيب مما كسب فى الحياة الدنيا . فما نصيب الكفرة الفجرة وما حالهم ؟

قال الله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [4] وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [5] فماذا كان من أمرهم فى ذلك المشهد ؟

قال الله تعالى مبيناً ما سيكون منهم ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ [6] وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [7] ثم يخبرنا ﷻ عن

(١)سورة هود آية ١٠٣ .
(٢)سورة عبس آية ٣٨ – ٤٢ .
(٣)سورة مريم آية ٣٧ .
(٤)سورة الروم آية ١٢ .
(٥)سورة الجاثية آية ٢٧ .
(٦)سورة النبأ آية ٤٠ .
(٧) سورة الفرقان آية ٢٧ – ٢٩ .

حـالهم وعـن مقـالتهم فى ذلـك اليـوم العظـيم والحشـد الهائـل ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ** ﴾ [1] .

ونقصد فى بحثنا هذا بالكفرة عمومهم من مشركين ومنافقين وغـيرهم ممـن يدخل فى حكم الكفر . وسنرى فى هذا الفصل مشـاهد الكـافرين يـوم القيامـة فى المباحث التالية :

المبحث الأول : صفات الكافرين .

المبحث الثانى : الأشهاد .

المبحث الثالث : تخاصم الكفار .

المبحث الرابع : تقريع الكفار .

المبحث الخامس : وجل الكافرين وحسرتهم .



(١) سورة السجدة آية ١٢ .

المبحث الأول
صفات الكافرين

لقد ميز الله تعالى عباده يوم القيامة بصفات فجعل للمؤمنين صفات تدل على نجاحهم وفلاحهم ، وجعل للكافرين صفات تدل على خزيهم وخسرانهم .

ومن أهم الصفات التى تميز الكافرين يوم القيامة :

١- سواد الوجوه :

قال الله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [(١)]

إنها الوصمة التى طبعت بها الوجوه حتى تغيرت من البياض والنضارة إلى السواد والظلمة جزاء على شركهم بربهم فى عبادته ثم مصيرهم إلى جهنم وبئس المهاد . وقال تعالى ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ** ﴾ . [(٢)]. لا يزال القرآن الكريم يبين لنا هذا المشهد الفاضح ويبين مايقابله من مشاهد المؤمنين حيث بياض وجوههم ليكون فى ذلك عظة لأولى الألباب ، ولا يتوقف الأمر على السواد فحسب بل هذا ميزة وصفة يعقبها العذاب فى نار جهنم .وقال تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ** ﴾ [(٣)] .

---

(١)سورة الزمر آية ٦٠ .

(٢)سورة آل عمران آية ١٠٦ .

(٣)سورة يونس آية ٢٧ .

فى هذه الآية الكريمة مشهدان : المشهد الأول : ترهقهم ذلة . فيعتريهم الخوف والقلق من معاصيهم .

المشهد الثانى : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً . من الذل وسوء ماقدموا قد علاها السواد والظلمة .

وقال تعالى ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [1]

قال الفخر الرازي : « والمعنى أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله ولما سودها الله حين ميز الله أهل الجنة والنار . . . . وإنما كانت بهذه الصفة لأنها أيقنت أن العذاب نازل وهو قوله ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ والظن هنا بمعنى اليقين »[2].

﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ : « داهية فقار الظهر »[3] وقال تعالى ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [4]

---

(١)سورة القيامة آية ٢٤ – ٢٥ .

(٢)تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح ٣٠ / ٢٢٩ – ٢٣٠ .

(٣)الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ٤/ ١٩٢ .

(٤)سورة عبس آية ٤٠ – ٤٢ .

قال الشيخ صديق خان [1] : « ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ أى غبار وكدورة لما تراه مما أعد لها من العذاب ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى يغشاها ويعلوها سواد وكسوف ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه [2] . » اهـ .

ظلمات بعضها فوق بعض وخزي وندامة اجتمعت على أولئك الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة بكفرهم وفجورهم فى حياتهم الدنيا .

٢- تنكيس الرءوس :

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [3] .

---

(١)صديق خان : هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسينى البخاري القنوجي أبو الطيب : من رجال النهضة الاسلامية المجددين . ولد ونشأ فى قنوج (بالهند) (سنة ١٢٤٨) وتعلم فى دهلى . وسافر إلى بهوبال طلباً للمعيشة ، ففاز بثروة وافرة ، قال فى ترجمة نفسه : « ألقى عصا الترحال فى محروسة بهوبال فأقام بها وتوطن وتمول واستوزر وناب وألف وصنف وتزوج بملكة بهوبال ولقب بنواب عالى الجاه أمير الملك بهادر . له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندسية ، منها بالعربية » حسن الأسوة فى مايثبت عن الله ورسوله فى النسوة – ط « و » أبجد العلوم – ط « و » فتح البيان فى مقاصد القرآن – ط » عشرة أجزاء فى التفسير ، « لف القماط – ط » فى اللغة ، و « حصول المأمول من علوم الأصول – ط » « وعون البارى – ط » فى الحديث ، و « العلم الخفاق من علم الاشتقاق – ط » و « العبرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة – ط » و « الطريقة المثلى – ط » فى ترك التقليد و« نيل المرام من تفسير آيات الأحكام – ط » و « خلاصة الكشاف – ط » فى إعراب القرآن و « البلغة إلى أصول اللغة – ط » و « غصن ألبان المورق – ط » رساله فى الأدب ومثلها « نشوة السكران – ط » والروضة الندية – ط فى شرح الدرر للشوكانى ، (« التاج المكلل – ط فى التراجم ، اشتمل على ٥٤٣ ترجمة وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ الأعلام للزركلى ٦/ ١٦٧ .

(٢)فتح البيان فى مقاصد القرآن ١٠ / ٢٤٤ .

(٣)سورة السجدة آية ١٢

وهنا صفة أخرى ومشهد محزن لأولئك القوم يوم القيامة ، فهم على أرض المحشر مع سواد وجوههم وذلهم وحقارتهم خافضوا الرءوس مديمو النظر إلى أسفل من الخجل والحياء ، يقولون ياربنا الآن عرفنا وعقلنا ماكنا نكذب به فى الدنيا فأعدنا ثانية لنعمل الصالحات ، فقد تحققنا بحقيقة ماكنا نوعد .

وقد أخبر الله ﷻ – العالم – بحقائق الأمور ماكان وما سيكون بأنهم ولو ردوا لعادوا على ماكانوا عليه فقال تعالى ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (١)

قال قتاده (٢) عند قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا . . ﴾ (٣) الآية . » والله ماتمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ﷻ فرحم الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب الى النار » (٤) .

٣- حشره على وجهه إلى النار :

قال الله تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٥) .

---

(١)سورة الانعام آية ٢٨ .

(٢)قتادة : هو أبو طالب قتادة بن دعامة السدوسى الأكمه عربي الأصل كان يسكن البصرة روى عن أنس وأبو الطفيل وابن سيرين و عكرمة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم وكان قتادة على مبلغ عظيم من العلم فوق ما اشتهر به من معرفته لتفسير كتاب الله . توفى سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة وعمره آنذاك ست وخمسون سنة على المشهور . التفسير والمفسرون ١/ ١٢٥ وانظر تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١ .

(٣)سورة المؤمنون آية ٩٩ – ١٠٠ .

(٤)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩٩ .

(٥)سورة الإسراء آية ٩٧ .

مشهد من المشاهد المخزية ، ومنظر غريب لم يتعوده الانسان من قبل ، ولم تكن له سابقة معروفة حتى عند الحيوانات العجماء ، فكما أن المؤمنين كانوا يسيرون على هدى واستقامة ، فالكفرة كانوا يسيرون على عمى وضلالة ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (١) .

فجازاهم الله تعالى على ذلك فأمشاهم على وجوههم وهم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون زيادة فى بشاعة المنظر وسوء المنقلب ، فما بالك بهم وهم بهذا المنظر أمام الملأ يتجهون إلى مأواهم الأخير وهي نار جهنم لا تفتر عنهم بل يزاد فى سعيرها عليهم .

قال تعالى ﴿ **ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ (٢) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : ((أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ (٣) » قال قتاده : بلى وعزة ربنا (٤) . قال ابن حجر : « والحكمة فى حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله فى الدنيا بأن يسحب على وجهه فى القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله فى التوقي عن المؤذيات » (٥) .



(١)سورة الملك آية ٢٢ .

(٢)سورة الفرقان آية ٣٤ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٥ حديث ٦٥٢٣ ، رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة المنافقين حديث ٢٨٠٦ .

(٤)قال ابن حجر : قال قتاده : بلى وعزة ربنا « موصول بالسند المذكور – انظر فتح البارى ١١/ ٣٨٢ .

(٥) فتح البارى ١١ / ٣٨٢ .

المبحث الثانى
الأشهاد

الله ﷻ لم يخلق الانسان عبثاً ولم يتركه سدىً بل كلفه بعبادته سبحانه وجعل عليه حفظة كاتبين لا يتركون صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصونها للإنسان من خير أو شر .

قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [2]. فالملائكة تكتب وتحصي على الإنسان ويوم القيامة تشهد بذلك .

وكذا أرسل الله تعالى الذين بلغوا رسالات ربهم وعرفوا أممهم بخالقهم وما يجب عليهم نحوه من التوحيد وإقامة شرائع الدين ، يشهدون عليهم يوم القيامة بهذا البلاغ .

وعن عدله ﷻ الإشهاد على الانسان نفسه يوم القيامة من جوراحه وتقريره بغدراته فى الدنيا .

بهذا سنقف فى هذا المبحث على أربعة مشاهد :

المشهد الأول : شهادة الملائكة .

المشهد الثانى : شهادة الرسل .

المشهد الثالث : شهادة أمة محمد ﷺ .

المشهد الرابع : شهادة جوارح الانسان .

(١)سورة الانفطار آية ١٠ – ١٢ .

(٢)سورة ق آية ١٨ .

المشهد الأول : شهادة الملائكة :

قال الله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (١)

قال ابن كثير : « أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله . هذا هو ظاهر الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير » (٢).

وقال الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . (٣)

أولئك الذين أشركوا مع الله غيره وكذبوا بالصدق الذى جاءهم من عند الله تعالى على ألسنة رسله يفضحون يوم القيامة عندما يعرضون على الله تعالى وتقول الملائكة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فهذه هي الفضيحة التى تصدر للمجرمين حيث ينادى بهم أمام الملأ . عن صفوان بن محرز قال : « بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن – أو قال : يابن عمر – هل سمعت النبي ﷺ فى النجوى ؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول : « **يدنى المؤمن من ربه** » . وقال هشام (٤) : يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ . يقول : أعرف ، يقول رب أعرف (مرتين) فيقول سترتها فى الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته . وأما الآخرون

(١)سورة ق آية ٢١ .

(٢)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٤٧ .

(٣)سورة هود آية ١٨ .

(٤) هشام ابن أبي عبد الله الدستوائى أبو بكر البصري واسم أبيه سنبر الربعي كان يبيع الثياب التى تجلب من دستواء فنسب إليها وربما قيل له الدستوائي . ثقة ثبت وقد رمي بالقدر من كبار السابعة مات سنة أربع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة . انظر تهذيب التهذيب ١١/ ٤٢ وتقريب التهذيب ٢/ ٣١٩ .

– أو الكفار – فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » [(١)] .

وهنا فى هذا الحديث ستر المؤمن من ربه سبحانه وتقريره بزلاته فى الدنيا وفضيحة الكفار والنداء عليهم والتشهير بهم أمام الناس بجرمهم فى الدنيا . ونصر من الله تعالى لرسله وعباده المؤمنين لما قد حصل لهم من إذاء من أولئك الكفار قال الله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴾ [(٢)] .

ذكر ابن جرير ﷺ تعالى النصرة فى الدنيا على وجهين :

أحدهما : أن يكون معناه : إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا إما باعلائنا هم على من كذبنا وإظفارنا بهم حتى يقهروهم غلبة ، ويذلوهم بالظفر ذلة ، كالذى فعل ذلك بداود وسليمان فأعطاهما من الملك والسلطان ماقهرا به كل كافر ، وكالذى فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم كالذى فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تغريق قومه وانجائه منهم وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً ونجّى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل وغيرهم ونحو ذلك أو بانتقامنا فى الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كالذى فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته ، وكفعلنا بقتلة يحي من تسليطنا . بختنصر عليهم حتى

---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة هود باب ٤ حديث ٤٦٨٥ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب التوبة حديث ٢٧٦٨ ، ورواه ابن ماجه فى المقدمة باب ١٣ حديث ١٨٣ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٧٤ ، ١٠٥ .

(٢)سورة غافر آية ٥١ – ٥٢ .

انتصرنا به من قتله له . وكانتصارنا لعيسى من مريدى قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم » [1] .

فهذا نصر الله فى الدنيا . وأما فى الآخرة فهو أشد وأعظم وذلك بعز المؤمنين وخزي الكافرين . قال ابن جرير : « ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم ، وأن الأمم كذبتهم » [2] « فبعد أن يحصحص الحق لا ينفع أعداء الله معذرتهم وحقارتهم واستصغارهم بل يطردون من رحمة الله تعالى ويسكنون دار الهوان – جهنم - .

وقال الله تعالى﴿ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [3] .

فى الموقف العظيم وأمام الجموع التي لايحصي عددها إلا خالقها ﷻ يأتي الله بأنبيائه الذين بعثهم لإبلاغ رسالاته فى أممهم ثم يسألهم عما كان منهم مع أممهم فيشهدون أنهم بلغوهم ما أرسلوا به وعرفوهم الحق وأمروهم به ، والباطل ونهوهم عنه .

ثم يدعو ﷻ الملائكة الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها والكتب قد وضعت فيشهدون بما قد أودعوا هذه الكتب وأن لا زيادة ولا نقصان فى ذلك وأنها أعمالهم التى كسبوها فى حياتهم الدنيا .

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٧٤ .

(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٧٥ .

(٣)سورة الزمر آية ٦٩ .

وحقاً أن كل ماجاء فى الصحف هو الحقيقة ولا يغيب عن الله تعالى لاصغيرة ولا كبيرة . ويكفي أن يؤخذ كل على حسب ماكان ، ولكن يأبى الله إلا أن يقرر العبد بذلك ويشهد عليه وآخر الشهود جوارح العبد نفسه عليه كما سنرى إن شاء الله تعالى . وهذا من كمال عدل الله جل وعلا .

المشهد الثانى : شهادة الأنبياء :

المراد بشهادة الأنبياء هنا هو بإبلاغ رسالات الله ﷻ للأمم ، لأن الله ﷻ بعث فى كل أمة رسولاً يعرفهم بربهم وخالقهم وأنه المستحق للعبادة دون سواه ، ويعلمهم شرائع الدين والحلال والحرام وما به تستقيم حياتهم وتصلح أحوالهم ، ثم لا يكون لهم حجة على الله تعالى بعد الرسل عند الحساب يوم القيامة والمجازاة على الأعمال .

قال الله تعالى﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (١)

وقال تعالى ﴿ **رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النحل آية ٣٦ .

(٢) سورة النساء آية ١٦٥ .

(٣) سورة طه آيه ١٣٤ .

(٤) سورة القصص آية ٤٧ .

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال . قال رسول الله ﷺ : « **ليس أحد أحب إليه المدح من الله ﷻ من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله . من أجل ذلك حرم الفواحش . وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل** » (1) .

قال الله تعالى ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝٤١ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا** ﴾ (2) قال ابن كثير : « يقول الله تعالى مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجئ من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام . كما قال تعالى ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ** ﴾ (3) (4) » . وفى ذلك الوقت يود الكفرة لو تسوى بهم الأرض فيسلموا من مغبة ما وقعوا فيه فى الدنيا من الكفر بالله وعصيان الرسول ﷺ . عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اقرأ علي** » . قال . قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « **إنى اشتهى أن أسمعه من غيري** » قال فقرأت النساء حتى اذا بلغت ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ . قال لى : « **كف أو أمسك** » . فرأيت عيناه تذرفان » (5) .

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه كتاب التوبة حديث ٢٧٦٠ ، ورواه البخاري فى صحيحه كتاب التوحيد باب ٢٠ حديث ٧٤١٦ .

(2)سورة النساء ٤١ – ٤٢ .

(3)سورة الزمر آية ٦٩ .

(4)تفسير القرآن تاعظيم لا بن كثير ١/ ٧٥٤ .

(5)رواه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب ٣٥ حديث ٥٠٥٥ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب

قال ابن بطال : « إنما بكى ﷺ عند تلاوة هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء » . [1] وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [2] وهذه الآية شبيهة بالآية التى مرت فى سورة النساء ، فالله ﷻ يخرج كل نبي من الأنبياء ليشهد على أمته يوم القيامة فى تبليغه رسالة ربه وإقامته الحجة عليهم . وقال تعالى فى موضع آخر من كتابه الكريم ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [3].

قال البغوى : « ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ يسترضون ، يعنى : لا يكلفون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون ، وحقيقة المعنى فى الاستعتاب أنه التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد فى الآخرة على الكفار » [4] .

ولا يأذن الله لهم فى الإعتذار لأنه لا ينفعهم بشئ حيث فاتتهم دار العمل وهذه دار الحساب على ماكان من العمل قال الله تعالى ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [5]

المسافرين حديث ٨٠٠ .

(١)فتح البارى ٩/ ٩٩ .

(٢)سورة النحل آية ٨٩ .

(٣) سورة النحل آية ٨٤ .

(٤)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٣/ ٨٠ .

(٥)سورة المرسلات آية ٣٥ – ٣٦ .

وقـال الله تعـالى ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١) .

هذه الآية الكريمة جاءت بعد نداء الرب ﷻ للمشركين وسؤالهم عمن أشركوه معه فى عبادته ، لتقريرهم بالحق الذى أرسل إليهم وذلك بشهادة رسلهم عليهم بذلك فلا برهان لهم على سوء عملهم ، ورأوا أن الحق هو ماجاءت به الرسل وأن الله لا إله غيره ، وما غيره باطل حيث لم ينفعهم بشئ فى ذلك الموقف .

المشهد الثالث : شهادة أمة محمد ﷺ :

قال الله تعالى ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ (٢) فى هذه الآية الكريمة نقف على أمور :

١ - عدالة أمة محمد ﷺ على جميع الأمم .

٢ - شهادتها على الأمم الأخرى أن رسلها قد بلغتها رسالات ربها .

٣ - شهادة الرسول محمد ﷺ على أمته بأنه بلغها الرسالة وهذا من كمال عدالته ﷺ على غيره من الخلق .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **يدعى نوح يوم القيامة . فيقول : لبيك وسعديك يارب . فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون ما أتانا من نذير . فيقول من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته . فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل**

(١)سورة القصص آية ٧٥ .

(٢)سورة البقرة آية ١٤٣ .

ذكره ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ » . [1] هذا مشهد عظيم حيث تقف أمة من الأمم – أمة محمد ﷺ – وتشهد على الأمم المكذبة لرسلها بأنهم بلغوها رسالات الله تعالى وذلك بعد إذن الله لهم بذلك ثم على عدالة هؤلاء يشهد عليهم رسولهم ﷺ بإبلاغه لهم بالرساله. كما قال تعالى ﴿ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [2] .

قال ابن جرير : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالتى إلى أممها ويكون رسولي محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي » [3]

المشهد الرابع : شهادة جوارح الانسان :

هذا هو المشهد العظيم الغريب على الانسان الذى لم يكن يتوقعه ، جوارح لم يكن لها فم ولا لسان تنطق وتشهد على صاحبها بما كان منه من سوء عمله . ياالهول الموقف لقد أنطقها الله الذى أنطق كل شئ . ياله من مشهد عظيم يفجع العقول ويجعل الانسان فى حيرة ، لا يجد مخلصاً في الجحود والنكران ، ولا إذن له فى الإعتذار . قال الله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [4]

---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير باب ١٣ حديث ٤٤٨٧ .

(٢)سورة الحج آية ٧٨ .

(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٨ الطبعة الحلبية بمصر .

(٤)سورة يس آية ٦٥ .

قال ابن جرير : فإن قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم ؟ قيل عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض لأن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه » . [1]

وقال الألوسى : وأجيب بأن المراد من الختم على الأفواه منعهم عن التكلم بالألسنة التى فيها وذلك لا ينافى نطق الألسنة نفسها الذى هو المراد من الشهادة كما أشرنا إليه فان الألسنة فى الأول آلة للفعل وفى الثانى فاعلة له فيجتمع الختم على الأفواه وشهادة الألسن بأن يمنعوا عن التكلم بالألسنة وتجعل الألسنة نفسها ناطقة متكلمة كما جعل سبحانه الذراع المسموم ناطقاً متكلماً حتى أخبر النبي ﷺ بأنه مسموم » [2] .

وقال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [3] مع أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [4]. فشهادة الجوارح ليست مقتصرة على هذا الجرم فحسب بل كل ماكسب الانسان من السيئات تنطق بذلك وتشهد به على صاحبها . فليتصور الانسان ذلك المشهد العظيم والأمر العجيب ، أمر الله المطاع ، وقدرته على كل شيء ، ولكن لا غرابة فى ذلك ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [5] يختم الله على الأفواه ويأمر الألسن والأيدي والأرجل

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/ ١٠٥ .

(٢)روح المعانى ١٨/ ١٢٩ .

(٣)سورة النور آية ٢٤ .

(٤)سورة النور آية ٢٣ .

(٥)سورة يس آية ٨٢ .

أن تتكلم بما كان من الانسان من سوء صنيع فتتكلم بكلام يسمعه ويعرفه من هو فى الموقف . شهادة صدق وقول حق بما قد جحده الإنسان رغم تقريره عليه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : « **هل تدرون مم أضحك ؟** » قال : قلنا الله ورسوله أعلم . قال : « **من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال : يقول : بلى . قال : فيقول . فإنى لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني . قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً . قال فيختم على فيه . فيقال لأركانه** [١] **انطقى . قال : فتنطق بأعماله . قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بعداً لكن وسحقاً** [٢] **فعنكن كنت أناضل** [٣] [٤] . » وفى حديث القيامة الطويل : « قال : **ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر فى نفسه من ذا الذى يشهد عليّ ؟ فيختم على فيه . ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق . وذلك الذى يسخط الله عليه** » . [٥] .

بعد هذا يصبح لا حيلة له ولا طريقة ، واقف موقف الحائر ، قد خرس لسانه وظهرت فضائحه ، فليس له ثمة إلا النار والعياذ بالله تعالى . قال الله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ**

---

(١) فيقال لأركانه : أى لجوارحه . وأركان كل شيء جوانبه التى يستند إليها ويقوم بها . النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٢٦٠ .

(٢) سحقاً : أي بعداً بعداً . ومكان سحيق بعيد . النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٤٧ .

(٣) أنا ضل : أي أدافع وأجادل . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ٤/ ٢٢٨١ .

(٤) رواه مسلم كتاب الزهد حديث ٢٩٦٩ . رواه مسلم كتاب الزهد حديث ٢٩٦٨ .

(٥) رواه مسلم كتاب الزهد حديث ٢٩٦٨ .

وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ
ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن
يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (1) .

قال الألوسي : « والمراد من قوله تعالى ﴿ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ قيل إلى موقف الحساب والتعبير عنه بالنار للإيذان بأن النار عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها ولا مانع من ابقائه على ظاهره والقول بتعدد الشهادة فتشهد عليهم جوارحهم فى الموقف مرة وعلى شفير جهنم مرة أخرى » (2) . قال سيد قطب : إنها المفاجأة الهائلة فى الموقف العصيب . وسلطان الله الذى تطيعه جوارحهم وتستجيب وهم يوصمون بأنهم أعداء الله . فما مصير أعداء الله ؟ إنهم يحشرون ويجمع أولهم على أخرهم و آخرهم على أولهم كالقطيع ! إلى أين ؟

إلى النار حتى إذا كانوا حيالها وقام الحساب ، إذا شهود عليهم لم يكونوا لهم فى حساب . إن ألسنتهم معقودة لا تنطق ، وقد كانت تكذب وتفتري وتستهزيء ، وإن أسماعهم وأبصارهم وجلودهم تخرج عليهم لتستجيب لربها طائعة مستسلمة ، تروي عنهم ماحسبوه سراً فقد يستترون من الله . ويظنون أنه لا يراهم وهم يتخفون بنواياهم ، ويتخفون بجرائمهم . ولم يكونوا ليستخفوا من أبصارهم وأسماعهم وجلودهم . وكيف وهي معهم ؟ بل كيف وهي أبعاضهم ؟ وهاهي ذى تفضح ماحسبوه مستوراً عن الخلق أجمعين . وعن الله رب العالمين . » (3)

---

(1)سورة فصلت آية ١٩ – ٢٣ .

(2)روح المعانى ٢٤ / ١١٤ .

(3)فى ظلال القرآن ٥/ ٣١١٨ .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : « اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي – أو ثقفيان . وقرشي – » كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم . فقال : أترون أن الله يسمع مانقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا . وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا . فأنزل الله عز وجل ﴿ **وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ** ﴾ [1] الاية .

قال ابن حجر : « فيه إشارة إلى أن الفطنه قلما تكون مع البطنة » [2] وقال أيضا عند قوله « (إذا كان يسمع إذا جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا) وهذا يشعر بأن قائل ذلك من أفطن أصحابه وأخلق به أن يكون الأخنس بن شريق لأنه أسلم بعد ذلك وكذا صفوان بن أمية » [3] . ومما ذكرنا يتضح لنا أن الانسان محفوظ له وعليه منذ أن يكلف إلى أن ينتهي من هذه الحياة ويقدم على ربه ويقرر بذلك ويثبت عليه وآخر مايشهد عليه جوارحه لئلا يجد مهرباً بجحوده أو تملصاته .



---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة فصلت باب ٢ حديث ٤٨١٧ ورواه مسلم فى صحيحه كتاب صفات المنافقين حديث ٢٧٧٥ ورواه الترمذى كتاب التفسير سورة فصلت باب ٤٣ حديث ٣٢٤٨ . وقال حديث حسن صحيح .

(٢)فتح البارى ٨/ ٥٦٢ .فتح البارى ٨/ ٥٦٣ .

(٣)فتح البارى ٨/ ٥٦٣ .

المبحث الثالث
تخاصم الكفار

الخصومة لا تحصل إلا بين طرفين ولا تكون إلا حول أمر ما مختلف فيه حقاً كان أو باطلاً وبالنسبة لتخاصم الكفار يوم القيامة فإنه لايكون إلا حول الباطل الذى أوقع بعضهم بعضاً فيه حيث يدورالخلاف حول من المتسبب فى ارتكاب هذا الخطأ الذى أودى بهم فى الآخرة وأوردهم موارد العذاب والتهلكة ، وهذا ما يحصل فى الدار الآخرة على أرض المحشر ـ أو فى الدار النهائية . قال الله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2].

فأهل الشر الذين استهواهم الشيطان وسوّل لهم وأملى لهم تركوا الطريق الحق ومنهج السعادة وعبادة الرب الكريم وحده وعبدوا معه غيره وساووه بسواه ولم يقف شرهم على أنفسهم بل أضلوا غيرهم فأخذوهم فى طريقهم وأوردوهم فى حبائل الشيطان حتى فارقوا الدنيا وهم على ذلك فبانت البينة ووضحت السبل فهيهات أن ينفع الندم أو المخاصمة والملاعنة ، أو تحصل العودة ، بل حصلت البليّة جزاء أعمالهم ومسالكهم الغوّية ، وقد جاءت صفة ماكان منهم يوم القيامة عندما يرون الحق وعزة سالكيه والمنكر وذلة مرتكبيه . وذلك من اللوم لبعضهم والمخاصمة والمجادلة والشتم والسباب والتحسر على ماحصل فى دار العمل من

(١)سورة الزخرف آية ٦٧ .

(٢)سورة الفرقان آية ٢٧ – ٢٩ .

الاهمال ، ومتابعة أهل الشر والضلال ، وطلبهم العودة من رب العزة والجلال ، ليعملوا صالحاً ويكفروا بمن عبدوهم . قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١) . وقال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ . (٢)

فلم نجد شيئا ينفعهم فى ذلك اليوم فيردّ عنهم عذاب الله أو يخفف عنهم شدته والآيات التالية والتى فيها مشهد الخصام للتابعين والمتبوعين تبين فضيحة الطرفين وسوء مآلهم .

– قال الله تعالى ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (٣) تصور – عند جمع الخلائق على أرض المحشر وظهور الحق وبطلان الباطل – يتعلّق الضعفاء بمن قد أغووهم وحادوا بهم عن الحق ، ومخاصمتهم لهم والحوار الذى يدور بين الطرفين أمام الله وعلى مرأى ومسمع من الخلق أجمعين (فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء) كنا نأتمر بأوامركم ونتبع طريقتكم ومنهجكم ونصدق بأمانيكم ففرجوا عنا الآن ماوقع بنا من عذاب الله . فقال السادة المتبوعون ﴿ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ . هذا قضاء الله وقدره علينا وعليكم ولو كان لنا من الأمر شيء

(١)سورة السجدة آية ١٢ .
(٢)سورة الأنعام آية ٢٧ – ٢٨ .
(٣)سورة إبراهيم آية ٢١ .

لخلصنا أنفسنا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، فلا خلاص لنا ولكم من عذاب الله سواء جزعنا أم صبرنا . قال تعالى ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .[1] بعد هذه المخاصمة والتى لم تظفر بشئ من النجاح نجد زعيم المؤامرة الذى أوقع الطرفين فى عذاب الله تعالى يتكلم ويقول كما أخبر الله عنه ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] انه لمشهد عظيم وندامة للكافرين يشهده ويسمعه جميع العالمين ، ولكن حقاً هذا جزاء أعداء الله تعالى .

لم يقف القرآن الكريم على هذا الموقف بل أورد لنا مشاهد أخرى من هذا القبيل . قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] .ولو ترى يامحمد الظلمة وهم وقوف أمام ربهم يتخاصمون فيما بينهم التابعين والمتبوعين فى إغواء بعضهم لبعض وإيقاعه فى الإشراك بالله تعالى ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾

---

(١)سورة الجاثية آية ٣٣ .

(٢)سورة إبرهيم آية ٢٢ .

(٣)سورة سبأ آية ٣١ – ٣٣ .

أنتم السبب فى غوايتنا وصدنا عن الحق . ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ نحن لم نجبركم على الشرك بالله ونردكم عن دين الله تعالى وتوحيده الذى جاءت به رسله بل أنتم أصلاً مجرمـون . ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ﴾ .

كيف تقولون وأنـتم لا زلـتم بنـا تـدعوننا ليـل نهـار إلى طـريقتكم الباطلـة ومنهجكم الحابط وهو الكفر بالله تعالى والإشراك معـه غـيره حتـى أوقعتمونـا فى ذلـك ؟ قـال تعـالى ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [1] ولكن نتيجة المخاصمة تؤول بالفريقين إلى نار جهنم ولم تـنفعهم بشـئ بل تنقطع حين يعاينون العذاب فتوضع الأغلال فى أعناقهم فى نار جهـنم والعيـاذ بالله ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ جزاءً وفاقاً .

وعند معاينة العذاب يرى الكبراء الذين أشركوا بالله تعـالى وأضـلّوا النـاس ودعوهم إلى طريقتهم يتبرءون من أتباعهم حيث انقطع الوصـال والتبعـات التـى كانت بينهم فى الدنيا فلم تكن تنفعهم فى الآخرة ، ولم يكن من وسيلة تخلصهم من عذاب الله تعالى بل كلهـم فى نـار جهـنم . قـال الله تعـالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [2] .

---

(١)سورة العنكبوت آية ٢٥ .

(٢)سورة البقرة آية ١٦٦ – ١٦٧ .

فعندما يتبرأ المتبوعون من التابعين يتمنّى التابعون لو يكون لهم عودة مرة ثانية إلى الدنيا . لايسمعون خلالها من هؤلاء الكبراء الذين أضلوهم وأوقعوهم فى الهاوية ومما يدعون إليه من عبادة غير الله تعالى ، ولكن هيهات أن يكون ذلك ، فليس لهم إلا جزاء ماقدموا من الأعمال التى يذهبها الله تعالى ولا يقبل منها شيئاً كما قال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (1) . وكما قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (2) ولم تنته مخاصمتهم فى الموقف على أرض المحشر بل حتى فى نار جهنم والعياذ بالله تعالى . قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ . (3) عندما يذوقون مس سقر يتحسر أولئك التابعون من المتبوعين وأنهم السبب فى هذا العذاب فيتخاصمون معهم ويقولون لهم لقد كنّا لكم تبعا فى الدنيا فيما دعوتمونا إليه فتحمّلوا عنّا قسطاً من العذاب يريدون التخفيف مما هم فيه من شدة العذاب ولكن المتبوعين يردون عليهم بأنهم جميعاً فى النار وأن هذا ماقد حكم الله تعالى به . فيتحسرون ويعترفون وهم يتخاصمون أنهم كانوا على غير هدى حيث ساوَوْا بالله غيره ممن لا يستحق ذلك . قال تعالى ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (4) ولكن لايغنى عنهم تخاصمهم ولا

---

(1)سورة إبراهيم آية ١٨ .

(2)سورة الفرقان آية ٢٣ .

(3)سورة غافر آية ٤٧ – ٤٨ .

(4)سورة الشعراء آية ٩٦ – ٩٨ .

تلاعنهم ولا تحسرهم ولا اعترافهم من عذاب الله شئ لأن الأوقات التى ينفع فيها الندم فات أوانها فى الحياة الدنيا ، أما الحياة الآخرة فهي دار الجزاء ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[1] .

ويأتى مشهد من المشاهد الأخرى لفرق المخاصمة فى نار جهنم .

قال الله تعالى ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾[2]. عندما تدخل طائفة من طوائف الكفر نار جهنم تقابل من قبل من دخل قبلها النـار بالسـب والشـتم واللعـن ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ فترد عليهم الطائفة الـواردة ﴿ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ أنتم السبب فى غوايتنا حتى صرنا إلى هـذا المكان السيء ثم يطلبون من ربهم أن يضاعف العذاب عليهم لأنهم المتسـببون لهـم حتى آل بهـم الأمـر إلى دخـول جهـنم ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ فيرد الله تعالى عليهم ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١)سورة المدثر آية ٣٨ .

(٢)سورة ص آية ٥٩ – ٦٤ .

(٣)سورة الأعراف آية ٣٨ .

فبعد أن تردهم الاجابة عل طلبهم بأن لكل منهم ضعفاً من العذاب لجرمه وكفره وهذا جزاء المجرمين ، يمضون فى تساؤلات مع بعضهم عن عباد الله المؤمنين الذين كانوا معهم فى الدنيا ويظنون بهم شراً وكانوا يسخرون منهم وأنهم من أهل النار ، فلم يروهم فى النار ، أين هم ؟ أزاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم أم أين ذهبوا ولكن المؤمنين ﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴾ [1] . يخاطبونهم ليعلموهم بمكانتهم فى الجنات ، وتردى ظنونهم بهم وأنها هي التى أوقعتهم فى النار .

وأن ماحصل من لوم وشتم ولعن بين أعداء الله فى المحشر ـ وفي نار جهنم إنما هو خصام وبيان لجرائمهم وفضيحة بعضهم لبعض أمام الخليقة واعترافاتهم بسوء صنيعهم مجرد كلام لا يغنى عنهم من عذاب الله من شيء . قال تعالى ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴾ .



(١)سورة المدثر آية ٤٠ – ٤٢ .

المبحث الرابع
تقريع الكفار

مر معنا فى المبحث السابق مشهد تخاصم الكفار يوم القيامة والحالة السيئة الرديئة الفاضحة لموقفهم أمام الخلائق . ولم تقف الفضائح والخزي والإهانة بهم على موقف واحد فحسب بل فى مواقف كثيرة لأن الجزاء من جنس العمل ، فنلحظ فى الفصل السابق مخاصمة بعضهم لبعض للتغرير الذى بسببه هلكوا ، وهنا تقريع وتوبيخ على ما ارتكبوه من سوء الصنيع وما اتخذوه من دون الله تأليهاً وتعظيماً ورغبة ومحبة مع أنه لا ينفع ولا يضر وليس له شئ من التصريف .

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[(1)] .

إن هذا الموقف ، بل هذا المشهد الفاضح هو من أنواع العذاب التى تحل بالكفار يوم القيامة ، فبيان مخازيهم وجرائمهم فى الدنيا فى موقف تجتمع فيه الخلائق جميعاً وتقريعهم وتوبيخهم وإخبارهم بمصيرهم ذلك من أنواع العذاب كما

(١)سورة غافر آية ٧٠ – ٧٦ .

سيأتي بيانه . قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (١) . يحشر الله المشركين معاً ويسألهم سبحانه عن الآلهة التى كانوا يعبدونها من دونه من الأنداد والأضداد تبكيتاً لهم وإهانة على سوء صنيعهم . فلم تكن للخاسرين حجة . ولم يجدوا جواباً إلا الجحود والنكران والقسم على ذلك قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

خابوا وخسروا ألم يكن كافيهم عملهم السيء فى الدنيا . ويكون الإنكسار والاعتراف فى الآخرة ؟ قال تعالى ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ بقولهم الباطل وقسمهم الفاجر بعدم عبادتهم لغير الله تعالى من الآلهة الأخرى فى ظنهم أن ذلك سيجدى عنهم من الله شيئاً من التجاوز ولكن الله لا يخفى عليه خافية فكلاً يعامله على ماكان منه فى حياته الدنيا . فهؤلاء الكفرة ذهب عنهم ماكانوا به يشركون فلم يكن ينفعهم شئ حيث قصور ذلك عن النفع والضر بل ذلك بيد الله تعالى . إنهم يجدون مافيه إهانتهم وحسرتهم والتنديد بهم قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢) وقال ﷻ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (٣) فكّروا فى أنفسكم الآن ؟ – فى وقت لا ينفع فيه التفكير والاعتراف – أين آلهتكم الباطلة التى اتخذتموها من

(١)سورة الأنعام آية ٢٢ .

(٢)سورة الانعام آية ٩٤ .

(٣)سورة الشعراء آية ٩٢ – ٩٣ .

دونى ؟ ادعوها فهذا وقت المنفعة والحاجة . وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾ (1) . لم يكن أحد فى تلك الساعة يسمع لأحد أو ينفع أو يضر أحد بل الجميع فقراء إلى الله قد سلّموا أمرهم إليه . واستصغر الكفرة واستذلوا فخرست ألسنتهم عن الكلام حيث لم يجدوا لذلك مخرجاً ، ولا حجة تحصل بها منفعة ، صاروا حيارى فى أمرهم ، وبلغت بهم القلوب الحناجر ، وذهبت عنهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها فلم تغن عنهم من الله شيئاً .

ولم تكن مواقف الذلة للمشركين واقفة على مشهد واحد فحسب بل تتكرر حسب جرائمهم فى الدنيا ليخذلهم الله ويفضحهم ويندد بهم أمام الملأ من الناس . قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (2) .

مشهد من مشاهد الخزي والفضيحة يوم القيامة للمشركين بالله تعالى من الجن والإنس حيث ينادى بهم على أرض المحشر ويسألون عن إضلالهم بعضهم لبعض وذلك بالأمر بالمعصية والطاعة فى ذلك وحتى وافاهم الأجل وهم على ذلك .

قال سيد قطب : « إن المشهد يبدأ معروضاً فى المستقبل ، يوم يحشرهم جميعا . . ولكنه يستحيل واقعاً للسامع يتراءى له مواجهة . وذلك بحذف لفظة واحدة فى العبارة . فتقديم الكلام » يوم يحشرهم جميعاً – فيقول – « يامعشر الجن

(1)سورة الكهف آية ٥٢ .

(2)سورة الانعام ١٢٨ .

والإنس . . » ولكن حذف كلمة – يقول – ينتقل بالتعبير المصور نقلة بعيدة ، ويحيل السياق من مستقبل ينتظر إلى واقع ينظر ، وذلك من خصائص التصوير القرآني العجيب . فلنتابع المشهد الشاخص المعروض . « يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ » . . . استكثرتم من التابعين لكم من الإنس ، المستمعين لإيحائكم ، المطيعين لوسوستكم ، المتبعين لخطواتكم . . وهو إخبار لا يقصد به الإخبار فالجن يعلمون أنهم قد استكثروا من الانس ! إنما يقصد به تسجيل الجريمة – جريمة إغواء هذا الحشد الكبير الذى نكاد نلمحه فى المشهد المعروض ! ويقصد به التأنيث على هذه الجريمة التى تتجمع قرائنها الحية فى هذا الحشد المحشود ! لذلك لا يجيب الجن على هذا القول بشئ . . . ولكن الأغرار الأغمار [1] من الإنس المستخفين بوسوسة الشياطين يجيبون : (وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ) . وهو جواب يكشف عن طبيعة الغفلة والخفة فى هؤلاء الأتباع ، كما يكشف عن مدخل الشيطان إلى نفوسهم فى دار الخداع . . لقد كانوا يستمتعون بإغواء الجن لهم وتزيينه ماكان يزين لهم من التصورات والأفكار، ومن المكابرة والاستهتار ، ومن الإثم ظاهره وباطنه ، فمن منفذ الاستمتاع دخل إليهم الشيطان وكانت الشياطين تستمتع بهؤلاء الأغرار الأغفال . . كانت تستهويهم وتعبث بهم ، وتسخرهم لتحقيق هدف إبليس فى عالم الإنس ! وهؤلاء الأغرار المستخفون يحسبون أنه كان استمتاعاً متبادلاً ، وأنهم كانوا يمتعون فيه ويتمتعون .

ومن ثم يقولون : ((رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ .)) [2]

(١)الأغمار : جمع غُمْر بالضم وهو الجاهل الغِرُّ الذى لم يجرب الأمور . لسان العرب (غمر) ٥/ ٣٢ .
(٢)فى ظلال القرآن ٣/ ١٢٠٧ .

قال الحسن البصري : « وما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس »[(١)] .

فكانت النار مصيرهم ومستقرهم جميعاً خالدين فيها جزاء على سوء صنيعهم فى الحياة الدنيا ، وذلك بسبب طاعتهم للشيطان الذى قد أوقعهم فيما كان فيه سبب هلاكهم . ولقد حذرنا الله ﷻ من الشيطان الذى هذه عاقبته فقال تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾[(٢)] .
وفى مشهد آخر للكافرين نرى أنه ﷻ يوقفهم ويفرق بينهم وشركائهم كما أخبر سبحانه ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[(٣)] .

قال السيد قطب : « ومشهد الحشر مع الشركاء كذلك معهود ولكنه هنا كالجديد فالنداء يوجه إلى هؤلاء وهؤلاء « مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ » قفوا بلا حراك فيقفون وتهدأ الحركة وتصمت الأصوات ثم تقع حركة جديدة فيفصل بين هؤلاء وهؤلاء « فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ » فإذا الشركاء مفرقون متحاجزون وهنا تبدأ ظاهرة التبرؤ ﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ وبمن يستشهدون ؟ إنهم يستشهدون بالله ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ فو الله لقد كنا غافلين عن عبادتكم لنا لم نشعر

(١)تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٨/ ٦٦

(٢)سورة يس آية ٦٠ – ٦٢ .

(٣)سورة يونس آية ٢٨ – ٣٠ .

بها ، ولم نولها اهتمامنا فلسنا إذن عنها بمسؤولين ، وهو مشهد ساخر وفى الوقت ذاته أليم ﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ وتبين أن كل ما أشركوا به ضلال وغاب عنهم ماكانوا يفترون [١] » ولكن الله ﷻ يخزيهم على شركهم وضلالهم وخسرانهم فى الدنيا يوم القيامة . قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٢]

فنجد مشهداً عجيباً يحمل الويلات لأعداء الله – المشركين – وذلك بالبشارة لهم جزاء أعمالهم فى الدنيا .

١ – جزاء قولى : وهو أن الله ﷻ يذلهم ويهينهم بإظهار فضائحهم فى الموقف وذلك بسؤاله لهم سؤال توبيخ عمن كانوا يخاصمون وينازعون الرسل والأنبياء فيهم حيث اشراكهم مع الله تعالى ﴿ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡ ﴾

٢ – جزاء فعلى : وهو عذابهم فى نار جهنم . فعندما يخرسون عن الكلام حيث قد وقع الحق وبطل ماكانوا يصنعون يتكلم أولياء الله الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا إلى توحيد الله تعالى وترك ماسواه ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ .

فضيحة على رءوس الاشهاد وهو الخزي ، وعذاب فى نارجهنم وهو السوء. ونجد القرآن الكريم يندد بهم فى مواضع أخر ليتبصر أولوا الافهام من العباد فيمضوا قدماً على طاعة الله تعالى ، ويعلموا حقارة الكفار عند الله ﷻ ، والتبكيت

(١)مشاهد يوم القيامة ص١٢٥ – دار المعارف بمصر .

(٢)سورة النحل آية ٢٧ .

بهم وتقريعهم أمام الملأ يوم القيامة ، وأن الله يظهر جرمهم الشنيع وهو شركهم بالله تعالى .

قال الله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1] .

يناديهم الله ﷻ نداء توبيخ وتشنيع بهم على أرض المحشر ويسألهم عمن كانوا يشركونهم معه ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أين من كنتم تعبدونهم من دوني من المعبودات الباطلة هل ينفعونكم بشيء ؟ كلا . لقد بطلت فلم تكن تنفعهم بشيء ولا ينفعون أنفسهم فيجيب رؤساء الكفر ممن استوجبوا العذاب ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ ﴾ يعنى الأتباع ﴿ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ فيتبرءون منهم ومن عبادتهم ويكون العداء بين الطرفين التابعين والمتبوعين ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم يقول لهم جميعاً ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ أي من كنتم تشركونهم مع الله فى العبادة ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ كيف يستجيبون وقد بطلت جميع المتعلقات من دون الله تعالى لا نفعاً ولا ضراً للأنفس ولا للغير ، وحتى الألسن تخرس عن النطق من الخجل والخزي الذى أصابها وبطلان ماكانوا عليه فى الدنيا . ويفرق

(١)سورة القصص آية ٦٢ – ٦٦ .

بينهم فى الآخرة كما أخبر تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ ليجدوا الفرقة فى الآخرة فى عذاب الله ، بعد أن كان الاجتماع فى الدنيا على معصية الله ﷻ . فعندما لم يستجب شركاؤهم ورأوا أن العذاب واقع بهم حيث عاينوه ﴿ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ يودون أنهم كانوا قد وفقوا إلى عبادة الله جل وعز وعملوا بما يرضيه من العبادة الخالصة .

إنه مشهد عظيم على أرض المحشر تحصل فيه الحسرة والندامة لأهل الكفر والإشراك وذلك بسؤالهم والتهكم بهم أمام الملأ ولم يجدوا لهم ولياً مرشداً . قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ فلم يجدوا جواباً يردون به ولا حجة يلجأون إليها فيعتذرون بها ولا يرون أحداً يغنى عنهم من عذاب الله شيئاً لا قريب ولا بعيد فيسألونه ذلك وهذا منتهى الذلة والإهانة فى ذلك الموقف ، ومنتهى الفقر والحاجة ،ومنتهى الحسرة والندامة ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ (١) .

يتكرر النداء للمجرمين على سبيل التوبيخ والتقريع فيقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٢) .

---

(١)سورة الفرقان آية ٢٧ – ٢٩ .

(٢)سورة القصص آية ٧٤ – ٧٥ .

يحضر الله من كل أمة رسولها الذى أرسل إليها ليكون شاهداً عليهم وهو برهان الله فى الحياة الدنيا على قومه ، ثم يخاطبون على سبيل التهكم بهم هاتوا برهانكم على شرككم معي غيرى ، فحينذاك يعلمون أن التوحيد لله وحده ، ويعلمون بطلان أمرهم فى الدنيا ، وذهاب من أشركوه مع الله تعالى فلم يكن ينفعهم .



المبحث الخامس
وجل الكافرين وحسرتهم

لا شك فى خسارة الكافرين يوم القيامة . الذين خسروا أنفسهم فى الحياة الدنيا بعبادة غير الله تعالى ، فمشهدهم يوم القيامة أسوأ مشهد وأقبحه فهم بين الخلائق فى وجل وذلك بتوطئة رءوسهم حيث يعتريها الخوف والمهابة ، وحسرة قلوبهم حيث يملؤها الذل والاستكانه .

قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١)

قال سيد قطب : « انه مشهد الخزي والاعتراف بالخطيئة ، والإقرار بالحق الذى جحدوه وإعلان اليقين بما شكوا فيه ، وطلب العودة إلى الأرض لاصلاح مافات فى الحياة الأولى . . . وهم ناكسوا رءوسهم خجلاً وخزياً . . « عند ربهم » . الذى كانوا يكفرون بلقائه فى الدنيا . . ولكن هذا يجئ بعد فوات الأوان حيث لا يجدي اعتراف ولا إعلان » (٢) .

إنهم وهم ناكسوا رءوسهم من الندم والحزن والحسرة التى أصابتهم يوم القيامة يعترفون بصدق ماجاءهم فى الحياة الدنيا عن الله ﷻ ، فهم يسمعون الآن ويطلبون من الله الرجعة مرة أخرى ليعملوا الصالحات ولكن من يعلم الغيب وما كان وما سيكون يخبر عنهم بقوله ﷻ ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٣)

---

(١)سورة السجدة آية ١٢ .

(٢)فى ظلال القرآن ٥/ ٢٨١١ .

(٣)سورة الانعام آية ٢٨ .

وفى مشهد آخر تراهم بصفة سيئة محزنة قال تعالى ﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : « أي فى عرصات يوم القيامة ، الذى يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا حالهم يوم معادهم وهم فى هذا الخوف والوجل » (٢) .

وقال تعالى ﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ (٣) .

قال ابو السعود : « وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها » (٤) .

فتشاهد وجوه المجرمين وقد غشاها الخوف والرعب والوجل من الله ﷻ ويظهر ذلك الأثر واضحاً أمام الملأ من الناس فيعرفون به لتحل بهم الفضيحة على جرمهم فى حياتهم الدنيا ، والذى قد حذروا منه ولم يسمعوا ، أوعدوا بهذا وتحقق ماكان يوعدون .

وقد حذروا هذا الموقف الحرج والعذاب الأليم فى الحياة الدنيا بالالتزام بدين الله تعالى وعدم التفريط فيه وقبل حصول الحسرة والندامة حيث لا ينفع الندم قال الله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

(١)سورة الشورى آية ٢٢ .
(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٦٧ .
(٣)سورة المعارج آية ٤٤ .
(٤)تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ٣٥ .

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (1) .

ففى تلك الساعة باطن الأرض خير وأحب إليهم من ظاهرها حيث فضيحتهم وحصول العذاب بهم . قال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (2) .

لقد أنذروا هذا الأمر الذى حصل بهم يوم القيامة وذلك فى الدنيا من قبل رسل الله تعالى فغفلوا عنه وماتوا على الكفر . قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (3) .

إنهم يتحسرون على تفريطهم ويندمون على فعلهم القبيح ، فالمؤمنون وفدوا بالأعمال الصالحة فقوبلوا بالبشارة الطيبة والاستقبال الحسن . وهؤلاء أتوا يحملون الأعمال السيئة والأفعال القبيحة . قال الله تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (4) . وكيف وأنت تشاهدهم وهم تعرض أعمالهم الفاسدة والحزن والهمّ والغمّ يقطع أفئدتهم وما ذاك إلا ليزدادوا غبناً وحسرة وندامة ثم تذهب تلك الأعمال ولم تنفعهم بشئ بل النار مأواهم خالدين فيها . قال تعالى كذلك ﴿ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (5) .

---

(1) سورة الزمر آية ٥٥ – ٥٩ .

(2) سورة النساء آية ٤٢ .

(3) سورة مريم آية ٣٩ .

(4) سورة الانعام آية ٣١ .

(5) سورة البقرة آية ١٦٧ .

وقال تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ (١) بعد مايحل بالكفرة من مواقف الذل والاهانة باستعراض جرائمهم فى الدنيا أمام الخلق على أرض المحشر وسؤالهم وفضيحتهم واستذلالهم وحسرتهم وندامتهم ، وبد استيفاء الإجراءات الربانية المرادة من الإله العظيم والرب الكريم الذى لا يظلم أحداً شيئاً . يساق أولئك الكفرة إلى مأواهم الأخير ودارهم النهائية قال تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٢) .

فإذا وصلوا إلى النار وشاهدوها تمزعت قلوبهم وشاهت وجوههم فيقولون كما أخبرالله عنهم ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ . (٣) يودون الرجوع إلى الدنيا لو حصل لهم ذلك ليعملوا صالحاً ولكنهم كاذبون فى مقالتهم وقد رد الله عليهم ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٤)

وفى مشهد لهم وهم يعرضون على النار وهم فى ذل ووجل ويسارقون النار بأنظارهم وهم فى آخر نقطة من نهاية أمرهم بالوقوع فى النار . قال تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ (٥) .

---

(١)سورة ابراهيم أية ١٨ .
(٢)سورة الزمر آية ٧١ – ٧٢ .
(٣)سورة الشورى آية ٤٤ .
(٤)سورة الانعام آية ٢٨ .
(٥)سورة الشورى آية ٤٥ .

الفصل الخامس
مشاهد الجنة

الجنة دار المؤمنين هيأها الله تعالى بها لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم . قال تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [1] .

وقد رفع مقام أهلها وأعلى درجاتهم وطهر قلوبهم فهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض . يسبحون الله بكرة وعشياً ، لا يسقمون ، ولا يمتخطون ولا يبصقون .

وسأبين فى هذا الفصل مشاهد أوصاف الجنة ومشاهد نعيمها ومشاهد أهلها وذلك فى المباحث التالية : [2]

المبحث الأول : مشاهد أوصاف الجنة .

المبحث الثانى : مشاهد نعيم الجنة .

المبحث الثالث : مشاهد أهل الجنة .



(١)سورة (آلم) السجدة آية ١٧ .

(٢)انظر كتاب حادى الأرواح لابن القيم رحمه الله .

المبحث الأول
مشاهد أوصاف الجنة

ويشتمل على المطالب الآتية :

المطلب الأول : بناء الجنة وتربتها .

المطلب الثانى : أبواب الجنة ودخول المؤمنين منها .

المطلب الثالث : درجات الجنة .

المطلب الرابع : الأنهار والعيون .

المطلب الخامس : المساكن .

المطلب السادس : أشجار الجنة وبساتينها .

المطلب السابع : ثمار الجنة .

المطلب الثامن : حيوانات الجنة .



المطلب الأول
بناء الجنة وتربتها

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قلنا يارسول الله إنا إذا رأيناك رقّت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا ، وشممنا النساء والأولاد ، قال : « **لو تكونون – أو قال – : لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم** . قال : قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها ؟ قال : « **لبنة ذهب ، ولبنة فضة ، وملاطها**[1] **المسك الأذفر** ،[2] **وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب** عز وجل : « **وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين** »[3]. وفى حديث الاسراء عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أدخلت الجنة فاذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[4].

---

(١)الملاط : الطين الذى يجعل بين سافى البناء يملط به الحائط أى يخلط . النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٣٥٧ .

(٢)أذْفَر : أي طيّب الريح . والذفر بالتحريك : يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . غريب الحديث ٢/ ١٦١ .

(٣)رواه أحمد فى المسند ١٥/ ١٨٩ حديث ٨٠٣٠ تحقيق أحمد محمد شاكر وقال صحيح الاسناد .

(٤)سبق تخريجه ص ٢٣٥ « وجود الجنة الآن وأنها مخلوقة » .

وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لابن صائد «[1] ماتربة الجنة » ؟

قال : درمكة [2] بيضاء مسك يا أبا القاسم : قال : « **صدقت** » »[3].

« الجنة ترابها المسك والزعفران يكون التراب من زعفران فاذا عجن بالماء صار مسكاً والطين يسمى تراباً . فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيّب فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً . أو يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شئ يُكوّن البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك ، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينتها ونعومتها . »[4] .



(١)ابن صائد : قال النووي : « يقال له ابن صياد وابن صائد وسمي بهما فى هذه الأحاديث واسمه صاف . قال العلماء وقصته مشكلة وأمره مشتبه فى أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ولا شك أنه دجال من الدجاجلة » (شرح النووى ١٨ / ٤٦) وقال ابن حجر : « عبدالله بن صائد وهو الذى يقال له ابن صياد ذكره ابن شاهين ، الباوردي وابن السكن وأبوموسى فى الذيل . قال ابن شاهين : كان أبوه من اليهود ولا يدرى من أى قبيلة هو . وهو الذى يقال : إنه الدجال . . . ومن ولده عمارة بن عبدالله بن صياد وكان من خيار المسلمين من أصحاب سعيد بن المسيب (الاصابة فى تمييز الصحابة ٧/ ٣٠٥) .

(٢)الدرمكة : الدرمك هو الدقيق الحواري . ويقال له الدرمكة وكأنها واحدته فى المعنى . النهاية فى غريب الحديث ٢/ ١١٤ .

(٣)رواه مسلم فى كتاب الفتن حديث ٢٩٢٨ ، ورواه أحمد فى المسند ٣/ ٤ .

(٤)حادى الأرواح الى بلاد الافراح « تربة الجنة » ص ١٠٤ بتصرف .

المطلب الثاني

أبواب الجنة ودخول المؤمنين منها

قال الله تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى « وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة زمراً أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع مايناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضاً » (٢) .

وهذا مشهد عظيم لوفود عباد الرحمن الصالحين القادمين إلى دارهم ومنازلهم التى أعدت لهم بعد أن ألقوا عن أنفسهم نصب الحياة الدنيا ، تتلقاهم الملائكة بالإستقبال والتهنئة وفتح الأبواب لهم بعد إذن الرحمن ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ وقال تعالى ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ (٣) . وقال ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٤) .

---

(١)سورة الزمر آية ٧٣ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٩٩ .

(٣)سورة ص آية ٥٠ .

(٤)سورة مريم آية ٨٥ .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أما والله مايحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقاً ، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة » (1) .

فياله من مشهد عظيم لأبواب الجنة التى يفد منه الأتقياء عندما تفتح .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **فى الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى باب الريان لا يدخله الا الصائمون** » (2) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دعي من أبواب – يعنى الجنة – ياعبد الله هذا خير . فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان** » . فقال أبو بكر : ماعلى هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة . وقال : هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟

قال : « **نعم وأرجوا أن تكون منهم ياأبا بكر** » (3)

---

(1)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ١٢٦ .

(2)رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ٩ حديث ٣٢٥٧ ورواه مسلم عن عبادة بن الصامت فى رواية أخرى كتاب الايمان حديث ٢٨ ورواه النسائى كتاب الطهارة باب القول بعد الفراغ من الوضوء ١/ ٩٢ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورواه ابم ماجه كتاب الجنائز باب ٥٧ ماجاء فى ثواب من أصيب بولده عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(3)رواه البخارى كتاب فضائل الصحابة باب ٥ حديث ٣٦٦٦ ورواه مسلم كتاب الزكاة باب ٨٥ حديث ١٠٢٧ ، ورواه الترمذى كتاب المناقب باب ١٦ حديث ٣٦٧٤ ورواه النسائى كتاب الزكاة باب ١ وجوب الزكاة . ورواه مالك فى الموطأ كتاب الجهاد باب ١٩ حديث ٤٩ .

قال ابن حجر : « ومعنى الحديث أن كل عامل يدعى من باب ذلك العمل ، وقد جاء ذلك صريحاً من وجه آخر عن أبي هريرة « لكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل » [1] أخرجه أحمد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح » . [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذى نفسي بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير**[3] **وكما بين مكة وبصرى**[4] » [5]وفى رواية « **إن بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر أو هجر و مكة** »[6] « وفى رواية أخرى عن عتبه بن غزوان[7] قال : « ولقد ذكر لنا أن مابين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ[8] من الزحام »[9] .

---

(١)مسند الامام أحمد ٢/ ٤٤٩ .

(٢)فتح البارى ٧/ ٢٨ .

(٣)حمير : بكسر الحاء المهملة وفتح التحتية بينهما ميم ساكنة آخره راء أى صنعاء لأنها بلد حمير . انظر تحفة الأحوذى ٧/ ١٢٦ .

(٤)بصرى بضم الموحدة مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاث مراحل . نفس المرجع السابق .

(٥)رواه البخاري فى كتاب التفسير سورة ١٧ باب ٥ حديث ٤٧١٢ وهو قطعة من حديث الشفاعة ، ورواه الترمذي كتاب القيامة باب ١٠ حديث ٢٤٣٤ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٤٣٦ .

(٦)رواه مسلم فى كتاب الايمان حديث ١٩٤ .

(٧)عتبه بن غزوان : هو عتبه بن غزوان بن جابر ويقال له عتبه بن غزوان بن الحارث بن جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، حليف لبني نوفل بن عبد مناف بن قصي . يكنى أبا عبدالله وقيل أباغزوان كان إسلامه بعد ستة رجال فهو سابع سبعة فى اسلامه . . . هاجر فى أرض الحبشة وهو ابن أربعين سنة وشهد بدراً والمشاهد كلها . وكان أول من نزل البصرة من المسلمين وهو الذى اختطها وخرج عتبه حاجاً من البصرة ولم ينصرف من سفره ذلك فى حجته حتى مات . وكان فى عهد عمر رضي الله عنه » بتصرف . الاستيعاب بهامش الاصابة فى تمييز الصحابة ٨/ ٩ .

(٨)كظيظ : ممتلى . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٩ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٩)رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد حديث ٢٩٦٧ .

وفى حديث الشفاعة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **فاذا أراد الله عز وجل أن يصدع بين خلقه نادى مناد : أين أحمد وأمته ؟ فنحن الآخرون الأولون ، فنحن آخر الأمم وأول من يحاسب ، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غراً محجلين من أثر الطهور ، وتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها قال : ثم آتى باب الجنة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقرع الباب فيقال : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيفتح لي فأرى ربي عز وجل وهو على كرسيه أو سريره فأخرله ساجداً وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلى ولا يحمده بها أحد بعدى . فيقال : ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع . .** [١] » .



(١)رواه أحمد فى المسند ١/ ٢٨٢ وهو صحيح الاسناد قاله أحمد محمد شاكر تحقيق المسند ٤/ ٢٤٣ حديث ٢٦٩٢ .

المطلب الثالث

درجات الجنة

قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١) بعد أن ذكر ﷻ جزاء المجرمين ، بدأ ﷻ فى بيان جزاء المؤمنين وذلك أن لهم الدرجات العالية فى جناته ﷻ وما هيأ فيها من النزل الطيب لعباده الطيبين الذين طهروا أنفسهم من خبث الشرك وأدران المعاصى واتباعهم لرسل الله جل وعلا .

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢) . وقال تعالى ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٣) .

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن أهل الجنة يتراءيون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدريّ الغابر (٤) فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم** قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : **بلى والذى نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » (٥) .

---

(١)سورة طه آية ٧٤ – ٧٦ .

(٢)سورة الأنفال آية ٣ – ٤ .

(٣)سورة الاسراء آية ٢١ .

(٤)الكوكب الدري الغابر : أى ثاقب مضي . فأمّادري فمنسوب إلى الدرّ . انظر لسان العرب مادة درر ٤/ ٢٨٢ .

والغابر : غبر الشيء يغبر غبوراً : مكث وذهب . انظر لسان العرب ماده غبره ٥/ ٣ .

(٥)رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٥٦ ، مسلم كتاب الجنة باب ١١ حديث ٢٨٣١ .

وفى رواية أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ان أهل الجنة ليتراءون فى الغرفة كما تتراءون الكوكب الشرقي أو الكوكب الغربي الغارب فى الأفق والطالع فى تفاضل الدرجات** ، فقالوا : يارسول الله أولك النبيون ، قال : **بلى . والذى نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله ورسوله** وصدقوا المرسلين » [1] .

قال المباركفوري : « والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم فى الفضل حتى أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم » [2] .

وفى رواية عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما** » [3] .

فالجنة مائة درجة جعلها الله عز وجل لعباده المتقين على قدر أعمالهم فى حياتهم الدنيا . فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الجنة مائة درجة مابين كل درجتين مائة عام** » [4] . وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أجلس فى أرضه التى ولد فيها ، قالوا يارسول الله : أفلا ننبيء الناس بذلك قال : إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، كل درجتين مابينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** » [5] .

---

(١)رواه الترمذى كتاب صفة الجنة باب ١٩ حديث ٢٥٥٦ وقال حديث حسن صحيح .

(٢)تحفه الأحوذى ٧/ ٢٧٣ .

(٣)رواه الترمذى كتاب المناقب باب ١٤ حديث ٣٦٥٨ وقال حديث حسن .

(٤)رواه أحمد فى المسند انظر ١٥/ ٤٧ حديث ٧٩١٠ تحقيق أحمد محمد شاكر وقال إسناده صحيح .

(٥)رواه البخاري كتاب التوحيد باب ٢٢ حديث ٧٤٢٣ ، ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٣٣٥ .

وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يا أبا سعيد من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة** » فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يارسول الله ففعل ثم قال « **وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » قال : وماهى يارسول الله ؟ قال **الجهاد فى سبيل الله** [1] » .

قال القاضي عياض : « يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التى بعضها أرفع من بعض فى الظاهر وهذه صفة منازل الجنة كما جاء فى أهل الغرف أنهم يتراءون كالكوكب الدري ، قال : ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لا يخطر على قلب بشر ولا بصفة مخلوق وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيراً ويكون تباعده فى الفضل كما بين السماء والأرض فى البعد . قال القاضي : والاحتمال الأول أظهر . وهو كما قال » [2] .

وقال ابن حجر : « وليس فى هذا السياق – أى حديث أبى هريرة السابق – ماينفي أن يكون فى الجنة درجات أخرى أعدت لغير المجاهدين دون درجة المجاهدين » [3] : « وقال فيه إشارة إلى درجة المجاهدين » قد ينالها غير المجاهد إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة لأنه صلى الله عليه وسلم أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أُعدَّ للمجاهدين [4] . الجنة دار المؤمنين ولا يدخلها

(١)رواه مسلم كتاب الامارة حديث ١٨٨٤ .
(٢)شرح النووى على مسلم ١٣/ ٢٨ .
(٣)فتح البارى ٦/ ١٢ .
(٤)فتح البارى ٦/ ١٣ .

غيرهم وقد جعل ﷻ لكل منهم درجة (منزلاً) على قدر عمله فى حياته الدنيا فهي درجات ويرفع الله بعضهم إلى بعض لتقر الأعين بمتعة بعضهم بمجاورة بعض على ماهم فيه من النعيم . قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [(١)] .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « **سأل موسى ربه : ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ماأدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : أدخل الجنة . فيقول : أى رب . كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مِلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله . ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك . فيقول رضيت رب . قال : رب . فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها . فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر** » قال ومصداقه فى كتاب الله ﷻ : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [(٢)] . [(٣)] » .

ولا هناك أعلى درجة ولا منزلة ولا نعيماً من رسول الله ﷺ فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول:« **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول . ثم صلوا عليّ. فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا**

---

(١)سورة الطور آية ٢١ .

(٢)سورة (ألم) السجدة آية ١٧ .

(٣)رواه مسلم كتاب الايمان حديث ١٨٩ .

الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله . وأرجوأن أكون أنا هو . فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » [1] .

لقد فاضل ﷻ بين المنازل فى الجنة وذلك برفع درجات بعضها على بعض وجعل ذلك مقر عباده الطائعين على قدر أعمالهم فى الدنيا مع أن كل فى درجته وفى نعيمه لا يرى لأحد فضل عليه ليعيش حياة أبدية كلها أنس وسعادة مع أن من علت درجاتهم يرون فضلهم وما قد أكرموا به لقاء سعيهم فى الدنيا ، ولا أحد أفضل ولا أكرم عند الله من صفوة الخلق صاحب الحوض المورود والمقام المحمود محمد ﷺ فهو فى الدرجة العالية الرفيعة فى جنات النعيم .

قال الله تعالى ﴿ **لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [2] .



(١)رواه مسلم كتاب الصلاة حديث ٣٨٤ .

(٢)سورة النساء آية ٩٥ – ٩٦ .

المطلب الرابع
الأنهار والعيون

أ - الأنهار

قال تعالى ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [1] الآية . قال عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ أي التى أعدها الله لعباده الذين اتقوا سخطه واتبعوا رضوانه أنها من نعتها وصفتها الجميلة . ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ أي غير متغير لا بوخم ولا بريح منتنة ولا بحرارة ولا بكدورة بل هو أعذب المياه وأصفاه وأطيبها ريحاً وألذها شرباً ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ بحموضة ولا غيرها ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ أي يتلذذ بها لذة عظيمة لا كخمر الدنيا التى يكره مذاقها وتصدع الرأس وتغول العقل ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ من شمعه وسائر أوساخه [2] » .

وقد جاءت الآيات مبينة بعظم نعيم الجنة الذى أعده الله تعالى لعباده الصالحين وأن الأنهار تجرى فى ذلك جمالاً للدار ونضرة وسروراً للساكن .

قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [3].

---

(١)سورة محمد آية ١٤ .

(٢)تفسير كلام المنان ٧/ ٧٠ .

(٣)سورة البقرة آية ٢٥ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « فوصفها بأنه تجرى من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها وغرفها [(١)] » . وقال تعالى ﴿ **لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [(٢)] وقال تعالى ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [(٣)] وقال تعالى ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [(٤)] .

عن حكيم بن معاوية [(٥)] رضي الله عنهما عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر العسل ، وبحر اللبن ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد** [(٦)] » .

وقال القارى : قد يقال المراد بالبحار هي الأنهار وإنما سميت أنهاراً لجريانها بخلاف بحار الدنيا فان الغالب منها أنها محل القرار [(٧)] » .

وعن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة [(٨)] رضي الله عنهما (فى حديث الاسراء) قال قال صلى الله عليه وسلم : « **ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر** [(٩)] **وورقها**

---

(١)تفسير القرآن العظيم ١/ ٩٦ .

(٢)سورة آل عمران آية ١٥ .

(٣)سورة النساء آية ١٣ .

(٤)سورة التوبه آية ٧٢ .

(٥)« معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيرى جد بهز بن حكيم علّق له البخاري فى الطهارة وفى النكاح وقال فى الغسل : قال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وأخرج له أصحاب السنن وصحح حديثه . . انظر الاصابة فى تمييز الصحابة ٩/ ٢٣٠ .

(٦)رواه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ٢٧ حديث ٢٥٧١ وقال : حديث حسن صحيح .

(٧)تحفة الأحوذى ٧/ ٢٨٨ .

(٨)مالك بن صعصعة : أي بن وهب بن عدي بن مالك الأنصارى من بني النجار ماله فى البخارى ولا فى غيره سوى هذا الحديث ولا يعرف روى عنه إلا أنس بن مالك . » . انظر فتح البارى ٧/ ٢٠٣ .

(٩)قلال هجر : هجر قرية قريبة من المدينة وليست هجر البحرين وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء سميت قلة لأنها تقل : أى ترفع وتحمل . النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١٠٤ .

كأنه آذان الفيول (١) **فى أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ونهـران ظـاهران فسـألت جبريل فقال : « أما البـاطن ففـى الجنـة وأمـا الظـاهران النيـل والفـرات »** (٢)قـال النووي : « هكذا هو فى أصول صحيح مسلم يخرج من أصلها والمـراد مـن أصـل سدرة المنتهى كما جاء مبيناً فى صحيح البخاري وغيره .

قال مقاتل : « الباطنـان همـا السلسـبيل والكـوثر » قـال القـاضي رحمه الله هـذا الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهـى فى الأرض لخـروج النيـل والفـرات مـن أصلها . قلت هذا الذى قاله ليس بلازم بل معناه أن الأنهار تخرج مـن أصـلها ثـم تسير حيث أراد الله تعالى حتى تخرج من الأرض وتسير فيها وهذا لا يمنعـه عقـل ولا شرع وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه والله أعلم » (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة** » (٤)

قال النووي : « إعلـم أن سـيحان وجيحـان غـير سـيحون وجيحـون فأمـا سيحان وجيحان المذكوران فى هذا الحديث اللـذان همـا مـن أنهـار الجنـة فى بـلاد الأرمن ، فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنة وهما نهران عظيمان جداً أكبرهمـا جيحان . فهذا هو الصواب فى موضعهما . » (٥) وقد تعقب بعـض الأقـوال القائلـة بغير هذا . » وقال جيحون وسيحون وراء خراسان عند بلخ ..

---

(١)الفيل : معروف والجمع أفيال وفيول وفيله . لسان العرب مادة « فيل » ١١/ ٥٣٤ .

(٢)رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ٦ حديث ٣٢٠٧ واللفظ لـه ورواه مسـلم كتـاب الايـمان حـديث ١٦٤ ، ورواه أحمد فى المسند ٤/ ٢٠٨ ورواه النساي كتاب الصلاة ١/ ٢٢٠ .

(٣)شرح النووى على مسلم ٢/ ٢٢٤ .

(٤)رواه مسلم كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٣٩ .

(٥)شرح النووى على مسلم ١٧ / ١٧٦ . انظر نفس المرجع السابق تجد كلامه رحمه الله تعالى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً** »[(١)] .

وفى الجنة أنهار كثيرة جعلها الله تعالى نعيماً لأوليائه الصالحين من عباده المتقين وهي مختلفة الأشكال والألوان والمذاق وقد اختص نبيه محمداً ﷺ بالكوثر كما أخبر تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾[(٢)] وكما أخبر ﷺ ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **بينما أنا أسير فى الجنة**[(٣)] **إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ماهذا ياجبريل ؟ هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فإذا طيبه – أو طينه – مسك أذفر شك هدبة**[(٤)][(٥)] » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج**[(٦)] » .

وعن عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار : ماسمعت سعيد بن جبير يذكر عن ابن عباس فى الكوثر ؟ فقلت سمعته يقول : قال ابن عباس : هذا الخير الكثير ، فقال محارب : سبحان الله ما أقل مايسقط لابن عباس قول . سمعت

---

(١)صحيح الجامع الصغير ٣/ ٢٣٥ حديث ٣٦٣٦ وقال المحقق « الألبانى » الحديث حسن .

(٢)سورة الكوثر آية ١ .

(٣)بينما أنا أسير فى الجنة : هذا عندما عرج به ﷺ . انظر فتح البارى تفسير سورة « الكوثر »٨/ ٧٣١ .

(٤)هدبة : هو هدبة بن خالد ابن الأسود القيسي أبو خالد البصري ثقة عابد تفرد النسائى بتليينه من صغار التاسعة مات سنة بضع وثلاثين . انظر تقريب التهذيب ٢/ ٣١٥ .

(٥)رواه البخارى كتاب الرقاق باب ٥٣ حديث ٦٥٨١ .

(٦)رواه الترمذى كتاب التفسير سورة الكوثر حديث ٣٣٦١ وقال حديث حسن صحيح .

بن عمر يقول : لما أنزلت ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ قال رسول الله ﷺ : « **هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب يجرى على جنادل [1] الدر والياقوت ، شرابه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن ، وأبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك . « قال صدق ابن عباس ، هذا والله الخير الكثير** » [2] .

قال أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى : « تفسير ابن عباس – الموقوف عليه هنا – الكوثر بأنه الخير الكثير رواه عن البخارى من رواية سعيد بن جبير [3] ثم قال ابن كثير : « وهذا التفسير يعم النهر وغيره لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصري » . وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً » . ونقل ذلك من تفسير ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس ، ثم ساق الأحاديث فى نهر الكوثر وقال : « بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث . وكذلك أحاديث الحوض . » ثم ذكر كثيراً مما جاء فى الحوض . وإنما أشرنا إلى هذا كله ليخزي الذين لا يؤمنون بالغيب ويتأولون مايتعلق بالقيامة والبعث والجنة والنار ، ثم يزعمون أنهم مؤمنون وينتسبون إلى الاسلام » [4] .

---

(١)جنادل : الجندل : الحجارة . انظر لسان العرب مادة (جندل) ١١/ ١٢٨ .

(٢)رواه أحمد فى المسند (ترتيب أحمد محمد شاكر) ٨/ ١٥٩ حديث ٥٩١٣ وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٨٨٩ تحقيق حسين ابراهيم زهران .

(٤)انظر مسند أحمد (ترتيب أحمد محمد شاكر) ٨/ ١٥٩ .

ب- العــيون

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١) .

قال الألوسى : « والمراد بالعيون يحتمل كما قيل أن يكون الأنهار المـذكورة فى قولـه تعـالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ الآية . ويحتمل أن يكون منابع مغايرة لتلـك الأنهـار وهـو الظـاهر » (٢) . ولقد جاء ذكر العيون كثيراً فى كتاب الله تعالى حيـث بـين أسـماء بعضـها وميزتهـا وهذا من فضل الله تعالى الذى أعده لعباده المتقين . قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٤) وقال تعـالى ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ (٥) .قـال ابـن كثـير : « أي عـين سـارحة وهـذه نكـرة فى سياق الإثبات ، وليس المراد بها عيناً واحـدة وإنـما هـذا جـنس يعنـي فيهـا عيـون جاريات » (٦) .

وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (٧) . قال الشوكانى : « هذا أيضاً صفة أخرى لجنتان .أى فى كل واحدة منهما عـين جاريـة قـال الحسـن : « إحـداهما السلسـبيل والأخرى التسنيم . وقال عطية (٨) : إحداهما من ماء غير آسن والأخرى مـن خمـر

---

(١)سورة الحجر آية ٤٥ .
(٢)روح المعانى ١٤/ ٥٧ دار الفكر .
(٣)سورة الدخان آية ٥١ – ٥٢ .
(٤)سورة المرسلات آية ٤١ .
(٥)سورة الغاشية آية ١٢ .
(٦)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٩٤ .
(٧)سورة الرحمن آية ٥٠ .
(٨)لعله أراد ابن عطيه صاحب التفسير المشهور « المحرر الوجيز فى تفسـير الكتـاب العزيـز » انظـر التفسـير

لذة للشاربين ، قيل كل واحدة منهما مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة [1] » . وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [2] . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضخ وقال الضحاك : أي ممتلئتان ولا تنقطعان » [3] .

فهذه العيون الجارية ذات المياه الصافية والحلاوة الطارية مما أعد الله تعالى فى الجنة لعباده المتقين مما يتنعمون به شراباً أو يتلذذون به رؤية أو يتمتعون به أكلاً مما تنبت من الثمار المختلفة نوعاً وشكلاً .

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [4] .

قال ابن كثير : « أي هذا المزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [5] قال تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [6] [7] » .

والمفسرون للذهبى ١/ ٢٣٨ .
(١)فتح القدير ٥/ ١٤٠ .
(٢)سورة الرحمن آية ٦٦ .
(٣)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣٥ .
(٤)سورة الانسان آية ٥- ٦ .
(٥)سورة الاسراء آية ٩٠ .
(٦)سورة الكهف آية ٣٣ .
(٧)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧١٢ .

وقال تعالى ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [1] قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « أي يسقون أي الأبرار أيضاً فى هـذه الأكـواب ﴿كَأْسًا ﴾ أي خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ فتارة يمـزج لهـم الشرـاب بالكـافور وهـو بـارد وتـارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هـذا تـارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كـما قالـه قتـاده وغـيره . ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ أي الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا . قال عكرمة اسـم عـين فى الجنة . وقال مجاهد سميت بذلك لسلامة مسيلها وحدة جريهـا . وقـال قتـادة . عين سلسلة مستقيد ماؤها ، وحكى بن جريـر عـن بعضـهم أنهـا سـميت بـذلك لسلاستها فى الخلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال » [2] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [3] .

هذا حال الأبرار فى الجنـة يجلسـون عـلى الأسرة ذات الحجـال ينظـرون إلى ماأرادوا وما قد أباح الله لهم من أجل اكتمال نعيمهم ، وجوههم تتلألأ مـن النـور مـن فرح ماهم فيه من الملك والسلطان والنعيم العظيم . يشربون مـن خمـر الجنـة التـى لا كدر فيها ولا زوال عقل لا يفك ختم انائها إلا هم ونهاية شرابها طعم المسك .

(١)سورة الانسان آية ١٧ – ١٨ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧١٥ .

(٣)سورة المطففين آية ٢٢ – ٢٨ .

قال الشوكاني : « قال مجاهد : مختوم مطينّ كأنه ذهب إلى معنى الختم بالطين ، ويكون المعنى : أنه ممنوع من أن تمسّه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار . وقال سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي: ختامه آخر طعمه وهو معنى قوله (ختامه مسك) أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك . وقيل مختوم أو انيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطين ، وكأنه تمثيل لكمال نفاسته وطيب رائحته . والحاصل أن المختوم والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره أو من ختم الشيء وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الأشياء بالطين ونحوه . [1] » .

ومن أجل هذا فليتسابق العباد فى عمل الطاعات والتكاثر من ذلك للظفر بهذا النعيم وهذا الشراب الذى ذكره الله تعالى عنه ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال البغوي : « شراب ينصب عليهم من علو غرفهم ومنازلهم ، وقيل يجرى فى الهواء متسنماً فينصب فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها فإذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السّنام من العلو يقال للشئ المرتفع سنام ومن سنام البعير . قال الضحاك : هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف الشراب . قال ابن مسعود وابن عباس : هو خالص للمقربين يشربونها صِرْفاً ويمزج لسائر أهل الجنة . وهو قوله ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ [2] » ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي منها ، وقيل يشرب بها المقربون صرفا » [3] .

---

(١)فتح القدير ٥/ ٤٠٢ .

(٢)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٤/ ٤٦١ .

(٣)تغسير البغوى المسمى معالم التنزيل ٤/ ٤٦٢ .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تعالى : « وهي أعلى أشربة الجنة على الاطلاق فلذلك كانت خالصة للمقربين الذين هم أعلى الخلق منزلة وممزوجة الأصحاب اليمين ، أي مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة . » . [1]

والعيون فى الجنة كثيرة جداً وإن لم يرد مسماها بل قد بين سبحانه وتعالى شيئاً منها وصفته وميزته ليشمر العباد عن ساق الجد والمثابرة فى ميدان العمل فى الحياة الدنيا للظفر بذلك النعيم المهيأ لعباد الله العاملين .



(١)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٧/ ٥٩٢ .

المطلب الخامس

المساكن

قال الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١) من نعيم الجنة الذى وعد الله به عباده من المؤمنين والمؤمنات المساكن الطيبة فى جنات عدن يأوون إليها ويسكنون فيها . قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢) إن المساكن الطيبة التى فى الجنة والتى جعلها الله تعالى لعباده الصالحين تختلف فى أشكالها وألوانها ومسمياتها على حسب أعمال العباد قال ﷺ : « **فوالذى نفس محمد بيده ، لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدلّ بمنزله كان فى الدنيا** » (٣) وسنرى مشاهد تلك المساكن إن شاء الله تعالى . وهى :

أ – القصور

ب – الخيام

جـ - الغرف

---

(١)سورة التوبة آية ٧٢ .

(٢)سورة الصف آية ١٠ – ١٢ .

(٣)رواه البخاري فى صحيحه كتاب المظالم باب ١ حديث ٢٤٤٠ عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه من حديث القنطرة التى بين الجنة والنار .

أ – **القصور** :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال : « **بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب** ، فذكرت غيرته ، فوليت مدبراً فبكى عمر وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟ » (١) .

وفى رواية عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « **دخلت الجنة فإذا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لرجل من قريش ، فما منعنى أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلمه من غيرتك**، قال : وعليك أغار يا رسول الله » (٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (٣) : أتى جبريل النبي ﷺ فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب . فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل . ومنّى . وبشّرها ببيت فى الجنة من قصب . لاصخب فيه ولا نصب » (٤) .

---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٢ ، ورواه مسلم كتاب فضائل الصحابة . حديث ٢٣٩٥ وفيه قال أبو هريرة : فبكى ونحن جميعاً فى المجلس مع رسول الله ﷺ . ورواه ابن ماجه فى المقدمة باب ١١ حديث ١٠٧ .

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التعبير باب ٣١ حديث ٧٠٢٤ ورواه الترمذى كتاب المناقب باب ١٨ حديث ٣٦٨٨ عن أنس وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٣/ ١٠٧ .

(٣)قال النووي : هذا الحديث من مراسيل الصحابة وهو حجة عند الجماهير كما سبق وخالف فيه الاستاذ أبو اسحق الاسفرائنى لأن أبا هريرة لم يدرك أيام خديجةفهو محمول على أنه سمعه من النبي ﷺ أو من صحابي ولم يذكر أبو هريرة هنا سماعه من النبي ﷺ . انظر شرح النووي على مسلم ١٥/ ١٩٩ .

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب فضال الصحابة حديث ٢٤٣٢ ورواه البخاري فى كتاب مناقب الأنصار باب ٢٠ حديث ٣٨٢٠ .

قال النووى : « وقوله أولاًقد « أتتك » معناه توجهت إليك وقوله « فإذا هي أتتك أي وصلتك فأقرأ عليها السلام » أى سلّم عليها وهذه فضائل ظاهرة لخديجة رضي الله عنها وقوله « ببيت من قصب » قال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف وقيل قصب من ذهب منظوم بالجوهر . . . قال الخطابى وغيره المراد بالبيت هنا القصر ، وأما الصخب فبفتح الصاد والخاء وهو الصوت المختلط المرتفع والنصب المشقة والتعب . . . . .[1] »

عن أبى سنان [2] قال : دفنت ابنى سناناً وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال : ألا أبشرك ياأبا سنان . قلت : بلى . فقال : حدثنى الضحاك بن عبدالرحمن بن عزرب عن أبى موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته : « قبضتم ولد عبدي ؟ » فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ » فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد** » [3] .

فالجنة فيها قصور أعدها الله لعباده العاملين بأوامره المنتصبين على ذلك . قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « إن فى الجنة قصراً يقال له عدن حوله

---

(١)شرح النووى على مسلم ١٥/ ٢٠٠ .

(٢)أبوسنان : عيسى بن سنان الحنفي القسملي بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الميم وتخفيف اللام الفلسطينى نزيل البصرة لين الحديث . تقريب التهذيب ٢/ ٩٨ .

(٣)رواه الترمذى كتاب الجنائز باب ٣٦ حديث ١٠٢١ وقال حسن غريب . وله شاهد عند البخاري من حديث أبى هريرة كتاب باب ٦ حديث ٦٤٢٤ .

البروج [1] والمروج [2] له خمسة آلاف باب لايدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وقال الحسن : « قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل » [3] .

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من بنى مسجداً – قال بكير [4] حسبته أنه قال – يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة** » [5] . ومعلوم أن مساكن الجنة تختلف عن مساكن الدنيا في الكبر وفي الشكل . قال ابن حجر رحمه الله تعالى : « وهذا يشعر بأن المثلية لم يقصد بها المساواة من كل وجه » [6] .

ب- الخيام

أخبر الله عز وجل أن في الجنة خياماً ، لكنها ليست كخيام الدنيا فجاءت السنة مفسرة ومبينة لذلك في مشهد تحنّ له القلوب وتستشرف له الأنفس قال الله تعالى ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ** ﴾ [7] .

---

(١)البروج : البرج تباعد مابين الحاجبين وكل ظاهر مرتفع فقد برج ، وقيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها . لسان العرب مادة برج ٢/ ٢١١ .

(٢)المروج : المرج الفضاء . وقيل المرج أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب . لسان العرب مادة « مرج » ٢/ ٣٦٤ .

(٣)تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ٢/ ٣١٠ .

(٤)بكير : بالتصغير أحد رواة الحديث : هو ابن عبد الله بن الأشج ، تابعي . انظر فتح البارى ١/ ٥٤٤ .

(٥)رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب ٦٥ حديث ٤٥٠ ورواه مسلم كتاب المساجد حديث ٥٣٣ ورواه الترمذي كتاب الصلاة باب ٢٣٧ حديث ٣١٨ ورواه النسائي من حديث عمرو بن عبسه كتاب المساجد ٢/ ٣١ ورواه ابن ماجه كتاب المساجد باب حديث ٧٣٦ .

(٦)فتح البارى ١/ ٥٤٦ .

(٧)سورة الرحمن آية ٧٢ .

عن أبى بكر بن عبدالله بن قيس عـن أبيـه أن رسـول الله ﷺ قـال : « **إن فى الجنة خيمة** [1] **من لؤلؤة مجوفة** [2] **عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوفون عليهم المؤمنون** » [3]. وفى رواية عنه عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ثلاثون ميلاً فى كـل زاويـة منهـا للمـؤمن أهل لا يراهم الآخرون** [4] » . وفى رواية أيضا عنه عـن أبيـه رضي الله عنهما عـن النبـي ﷺ قال : « **إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها سـتون مـيلاً فيهـا أهلون . يطوف عليهم المؤمن . فلا يرى بعضهم بعضاً** » [5] .

من الأحاديث الثلاثة التى مرت معنـا يتبـين لنـا أن الخيمـة فى الجنـة طولهـا وعرضها سواء ستون ميلا فى ستين ميلا وارتفاعهـا ثلاثـون مـيلا ، وهـذه مسـافة شاسعة مع شكلها الجميل وأنها من لؤلؤة واحدة جوانبها وسـقفها ، وهـذا فضـل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١)الخيمة بيت مربع من بيوت الأعراب . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ٢١٨٢ .

(٢)مجوفة : شئ جوفي أي واسع الجوف ، ودلاء جوف أي واسعة ، وشجرة جوفـاء أي ذات جـوف ، وشـئ مجوف أي أجوف وفيه تجويف . لسان العرب مادة « جوف » ٩/ ٣٦ .

(٣)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة الرحمن باب ٢ حديث ٤٨٧٩ ورواه مسـلم فى صـحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٨ وفيه « يطوف عليهم المؤمن » ورواه – الترمذى كتاب صفة الجنة بـاب ٣ حـديث ٢٥٢٨ .

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٣ ، ورواه الدرامي كتاب الرقاق بـاب فى خيام أهل الجنة ٢/ ٣٣٦ .

(٥)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٨ .

جـ - الغرف

قال الله تعالى ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[1] .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى « ماتضمنته هذه الآية الكريمة من وعد أهل الجنة بالغرف المبنية ذكره جل وعلا فى غير هذا الموضع كقوله تعالى فى سورة سبأ ﴿ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[2]. وقوله تعالى فى سورة الصف ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[3]لأن المساكن الطيبة المذكورة فى التوبة والصف صادقة بالغرف المذكورة فى الزمر وسبأ »[4] . وقال الله تعالى بعد ذكر صفات المؤمنين ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾[5] وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾[6] .

---

(١)سورة الزمر آية ٢٠ .

(٢)سورة سبأ آية ٣٧ .

(٣)سورة الصف آية ١٢ .

(٤)أضواء البيان ٧/ ٥١ طبعة الأمير أحمد .

(٥)سورة الفرقان آية ٧٥ .

(٦)سورة العنكبوت آية ٥٨ .

وقال الألوسي : « ﴿ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال وقد فسرت هنا على ماروي عن ابن عباس : ببيوت من زبرجد ودر وياقوت . . . » [1] . فهذه المنازل من الغرف جعلها الله تعالى مرتفعة عالية على غيرها من المساكن الأخرى واختص بها من شاء من عباده الذين بلغوا ذلك بسبب أعمالهم التى تفوقوا بها على غيرهم فأهّلتهم لهذا .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما ترون الكوكب فى السماء** » [2] .

وقد ذكرت مايغني عن تكراره من الأحاديث عن هذا في مشهد درجات الجنة .



(١)روح المعاني ١٩/ ٥٣ .

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٠ .

المطلب السادس

أشجار الجنة وبساتينها

خلق الله الجنة وجعل فيها من الأشجار والبساتين والثمار والغرس ماتكمل به سعادة الإنسان مما لا يعلمه إلا هو سبحانه وسنرى هنا بعض هذه المشاهد .

قال تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [(١)] .

قال سيد قطب : « إنهم ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ والسدر شجر النبق الشائك ولكنه هنا مخضود شوكه ومنزوع ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ والطلح من شجر الحجاز من نوع العضاة فيه شوك ولكنه هنا منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ وتلك جميعاً من مراتع البدوي ومناعمه كما يطمح إليه خياله وتهتف بها أشواقه ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . . . تركها مجملة شاملة بغير تفصيل بعد ماذكر الأنواع المعروفة لسكان البادية بالتعيين » [(٢)] .

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق ظلها قدر مايسير الراكب فى كل نواحيها مائة عام ، قال : فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون فى ظلها ، قال : فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة

(١)سورة الواقعة آية ٢٧ – ٣٣ .

(٢)فى ظلال القرآن ٦/ ٣٤٦٤ .

بكل لهو [1] فى الدنيا » [2]. وقال تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [3] قال ابن كثير : « ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ أي أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة . . إلى أن قال : قال عكرمة : « ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ يقول : ظل الأغصان على الحيطان . » ألم تسمع قول الشاعر :

ماهاج شوقك من هديل حمامة   تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادق طاويا   ذا مخلبين من الصقور قطاما . [4]

وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [5] .

قال القرطبي : قال بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لأن الشيء لا يعطف على نفسه إنما يعطفه على غيره وهذا ظاهر الكلام . وقال الجمهور : هما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة كقوله تعالى ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [6] وقوله ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [7] . وقد تقدم . وقيل : إنما كررهما لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لأن

(١)المعنى يجتمع أهل الجنة فى جهة معينة تحت شجرة وارفة الظلال فيتحادثون بأنواع الفكاهة والطرب والحديث الممتع ويتفضل الله عليهم فيزيدهم سروراً بحديث الدنيا ومتاعها » تعليق مصطفى محمد عماره على الترغيب والترهيب ٤/ ٥٢٠ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٢ قال ابن كثير هذا أثر غريب وإسناده جيد وقوي حسن .

(٣)سورة الرحمن آية ٤٦ – ٤٨ .

(٤)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٣١ .

(٥)سورة الرحمن آية ٦٨ .

(٦)سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(٧)سورة البقرة آية ٩٨ .

النخل عادة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بها ، فإنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ماوالاهما من أرض اليمن فأخرجهما فى الذكر من الفواكه وأفراد الفواكه على حدتها . وقيل : أُفردا بالذكر لأن النخل ثمرة فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الرمانة فى الجنة مثل البعير المقتب [1].

وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكراتيفها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ، ليس فيه عجم . قال : وحدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال : « نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجري فى غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا » [2] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد أو المضمر السريع مائة عام وما يقطعها** »[3] .

(١)المقتب : أقتب البعير : شدّ عليه . والقتب الرحل الصغير على قدر سنام البعير . والجمع : أقتاب . المعجم الوسيط ٢/ ٧١٤ .

(٢)أحكام القرآن ١٧/ ١٨٥ بتصرف وقول ابن عباس رضي الله عنه رواه ابن أبى الدنيا موقوفا باسناد جيد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . انظر الترغيب والترهيب ٤/ ٥٢٣ .

(٣)رواه البخاري كتاب الرقاق باب ٥١ حديث ٦٥٥٣ ورواه مسلم كتاب الجنة حديث ٢٨٢٨ ، ورواه الترمذى كتاب صفة الجنة باب ١ حديث ٢٥٢٣ ورواه ابن ماجه كتاب الزهد باب ٢٩ حديث ٤٣٣٥ ، ورواه الدارمي كتاب الرقاق ٢/ ٣٣٨ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٢٥٧ .

وعن أبى هريـرة رضي الله عنه عـن النبـي ﷺ قـال : « **إن فى الجنـة لشـجرة يسـير الراكب فى ظلها مائة سنة . واقرءوا ان شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾** » [(١)] .

فى الحديثين بيان لعظم أشـجار الجنـة واتصـالها ببعضـها وامتـداد ظلهـا بـما يحصل به سعادة أهل الجنة وتمتعهم بما تركن إليه النفـوس وتطمـئن بـه القلـوب . وعن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه : (فى حديث الاسراء) قال قال رسول الله ﷺ : « **ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول فى أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران . فسألت جبريـل فقـال : « أمـا الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات** » [(٢)] .

وعن أسماء بنت أبـى بكـر رضي الله عنهما قالـت : سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول : وذكر له سدرة المنتهى ، قـال : « **يسـير الراكـب فى ظـل الفـنن** [(٣)] **منهـا مائـة سـنة أو يستظل بظلها مائة راكب شك – يحـي** [(٤)] **– فيهـا فـراش الـذهب كـأن ثمرهـا القلال** » [(٥)] وعن أبى سـعيد الخـدرى رضي الله عنه عـن رسـول الله ﷺ قـال : « **طـوبى شجرة فى الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** [(٦)] » [(٧)] .

وعن عبدالله بـن عمـرو بـن العـاص رضي الله عنهما : « أن رجـلاً قـال يارسـول الله أرأيت ثياب أهل الجنة أتنسج نسجاً أم تشقق من ثمر الجنـة ؟ قـال : فكـأن القـوم

(١)رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٥٢ .

(٢)سبق تخرجه وبيان غريبه ص ٣٥٧ « مشهد أنهار الجنة » .

(٣)الفنن : الغصن المستقيم من الشجرة . قال تعالى ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٣ .

(٤)يحي : هو ابن عبّاد بن عبدالله بن الزبير أحد رواة هذا الحديث .

(٥)رواه الترمذي كتاب الجنة باب ٩ حديث ٢٥٤١ . وقال حديث حسن غريب .

(٦)الأكمام / جمع : كم بالكسر وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهر . غريب الحديث والآثر ٤/ ٢٠٠ .

(٧)انظر سلسلة الأحاديث الصحيحه للشيخ الألبانى ٤/ ٦٣٩ حديث ١٩٨٥ . وقد حسّن هذا الحديث .

تعجبوا من مسألة الأعرابي فقال : « **ماتعجبون من جاهل يسأل عالماً** ؟ قال : فسكت هنية ثم قال : **أين السائل عن ثياب الجنة** ؟ قال أنا . قال : « **لا . بل تشقق من ثمر الجنة** » (١) .

هذه أشجار الجنة ، كبيرة الحجم ذات ظل ظليل وفواكه شهية ورؤية ممتعة وقرة عين لا تنقطع تزيد المؤمنين حسناً وبهاءاً ولذة وسروراً ، لا يصل إليهم هم ولا غم ولا يجدون نكداً ولا حزناً ، بل فى ماتلذ به الأعين وتشتهى الأنفس وهم فى ذلك خالدون .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾ (٢) .

قال ابن عباس والضحاك : « منتزهاً » وقال مجاهد وقتادة : « فازوا فنجوا من النار » قال ابن كثير : « والأظهر هاهنا قول ابن عباس لأنه قال بعده ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ والحدائق البساتين من النخيل وغيرها » (٣) .

وقال الألوسى رحمه الله : « جمع حديقة وهي بستان فيها أنواع الشجر المثمر زاد بعضهم والرياحين والزهر » (٤) . وقال سيد قطب : « ويخص الأعناب بالذكر والتعيين لأنها مما يعرفه المخاطبون » (٥) بساتين الجنة كثيرة العدد مختلفة الأشكال والألوان فى النباتات والثمرات فى ذلك رغبة الراغبين ، وطلب الطالبين ، وأمنية

---

(١)رواه أحمد فى المسند . انظر تحقيق أحمد محمد شاكر ١١/ ١١٤ حديث ٦٨٩٠ وقال إسناده صحيح .وفى موضع آخر ١٢ ٤٥ حديث ٧٠٩٥ .

(٢)سورة النبأ آية ٣١ – ٣٢ .

(٣)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٢٩ .

(٤)روح المعانى ٣٠/ ٢٢ .

(٥)فى ظلال القرآن ٦/ ٣٨٠٨ .

المتشوقين . عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال : « أو لست فيما شئت ؟ . قال : بلى ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاؤه وتكويره [(١)] أمثال الجبال فيقول الله تعالى » دونك ياآبن آدم فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي : يارسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » [(٢)] .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : « وفى هذا الحديث من الفوائد – وذكر منها – وفيه الاخبار عن الأمر المحقق الآتى بلفظ الماضى » [(٣)] .

وقال رحمه الله : « عند قوله « فأحب أن أزرع فأسرع » فيه حذف تقديره فأذن له فزرع فأسرع » [(٤)] .

وهنا بيان تحقيق أمنية المؤمن فى الجنة بما يريد مابين لحظة وأخرى « نبت وإثمار وحصاد » .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب** [(٥)] .

---

(١)تكويره : أي جمعه. فتح البارى ٥/ ٢٧ .

(٢)رواه البخاري فى كتاب التوحيد باب ٣٨ حديث ٧٥١٩ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٥١١ ، ٥١٢ .

(٣)فتح البارى ٥/ ٢٧ .

(٤)فتح البارى ١٣/ ٤٨٨ .

(٥)رواه الترمذى كتاب الجنة باب ١ حديث ٢٥٢٥ وقال حديث حسن غريب .

المطلب السابع
ثمار الجنة

قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [1] .

هذا بشارة من الله تعالى لعباده – أهل الإيمان والتقى والصدق والوفاء الذين آمنوا به رباً وانقادوا لأوامر رسله واعتنقوا دينه – بنعيم الجنة من الأشجار والغروس والثمار و الأنهار المطردة التى تجرى فى غير أخدود من تحت ذلك . قال البغوي : « ﴿كُلَّمَا﴾ متى ما ﴿رُزِقُواْ﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ : ثمرة ، ومن صلة ﴿رِّزْقًا﴾ طعاماً ﴿قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ وقبل رفع على الغاية ، قال الله تعالى ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ قيل من قبل فى الدنيا ، وقيل الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنّوا أنها الأولى » [2] . وأما قوله ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾ ففيه تأويلات :

١ – تشابهه أن كله خيار لا رزل فيه . قاله الحسن .

٢ – تشابهه فى اللون وهو مختلف فى الطعم قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما .

٣ – تشابهه فى اللون والطعم . قاله مجاهد ويحي بن سعيد .

(١)سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢)تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ١/ ٥٦ .

٤ - تشابهه تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا فى اللون وإن اختلف طعومهما . قاله قتادة وعكرمة .

٥ - لا يشبه شيء فى الجنة مافى الدنيا إلا الأسماء . قاله ابن عباس رضي الله عنه وغيره .

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية تأويل من قال ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ فى اللون والمنظر والطعم يعنى بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا فى المنظر واللون ، مختلفا فى الطعم والذوق لما قدمنا من العلة فى تأويل قوله : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ وأن معناه : كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ هذا فى الدنيا فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك من أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك فى الجنة متشابها يعنى بذلك تشابه ماأتوا به فى الجنة منه ، والذى كانوا رزقوه فى الدنيا فى اللون والمرأى والمنظر وإن اختلفا فى الطعم واللذة والذوق فتبينا ، فلم يكن لشيء مما فى الجنة من ذلك نظير فى الدنيا » [1] .

ثم ذكر سبحانه وتعالى فى آخر الآية من نعيم الجنة الأزواج المطهرة والخلود فى الجنات ونعيمها وليس من ثمرة إلا وهي فى الجنة على ماتشتهى أنفس أهل الجنة ويطلبون قال تعالى ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [3]. وقال تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [4]

(١)انظر تفسير بن جرير « جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ١٧٢ طبعة الحبى بمصر ١٣٨٨ هـ .

(٢)سورة محمد آية ١٥ .

(٣)سورة يس آية ٥٧ .

(٤)سورة ص آية ٥١ .

وقال تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (1) وقال تعالى ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ (2) وقال تعالى ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (3) وقال تعالى ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾ (4) وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (5) وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (6).

قال ابن عباس رضي الله عنه : « الرمانة في الجنة مثل البعير المقتّب . إلى أن قال في ثمر النخل : وثمرها أمثال القلال والدلاء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم » (7) .

وقال تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (8) وقال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ (9) وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (10) وقال تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (11) .

---

(1)سورة الزخرف آية ٧٣ .
(2)سورة الدخان آية ٥٥ .
(3)سورة الطور آية ٢٢ .
(4)سورة الرحمن آية ١١ .
(5)سورة الرحمن آية ٥٢ .
(6)سورة الرحمن آية ٦٧ .
(7)سبق تخريجه ص ٣٦٩ وتعريف غريبه « مشهد أشجار الجنة . . » .
(8)سورة الواقعة آية ٢٠ .
(9)سورة الصافات آية ٤١ – ٤٢ .
(10)سورة المرسلات آية ٤١ – ٤٢ .
(11)سورة الواقعة آية ٣٢ – ٣٣ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « أي لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر أبداً مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء . وقال قتادة : لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد [1] ». كما قال تعالى ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [2] .

وعن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما « فى حديث الاسراء » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر – وعند مسلم** » واذا ثمرها كالقلال « – » الحديث [3] .

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما « فى صفة صلاة الكسوف » قالوا : يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً فى مقامك ثم رأيناك كعكعت ، قال صلى الله عليه وسلم : « **إنى رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه مابقيت الدنيا** »[4] .

ألا إنه نعيم لا ينفذ وقرة عين لا تنقطع ، سهل المنال ، حلو المذاق ، كثير الأشكال والألوان .



(١)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٤ .

(٢)سورة الحاقة آية ٢٣ .

(٣)سبق تخريجه وتعريف غريبه ص « ٣٥٧ » (مشهد أنهار الجنة) .

(٤)سبق تخريجه وتعريف غريبه ص « ٢٣٤ » (وجود الجنة وأنهار مخلوقة) .

المطلب الثامن

حيوانات الجنة

ليس من شئ يشتهيه المؤمن فى الجنة أو يرغبه إلا وهو موجود . لتكمل قرة الأعين فى ذلك المسكن الطيب والدار الأبدية . والحيوانات بأنواعها مما يهواه الانسان وينشرح به صدره بل وتلذ به نفسه . ويشتهى ذلك رؤية أو أكلاً ، فله مايشتهى وتلذ به نفسه . فنجد الطير ومشهده :

قال الله تعالى ﴿ **وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ (١) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر ؟

قال : « **ذاك نهر أعطانيه الله يعني فى الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيها طير أعناقها كأعناق الجزر** (٢) » . قال عمر : إن هذه لناعمة . قال رسول الله ﷺ : **أكلتها أحسن منها** » (٣) .

عن مسروق (٤) قال : سألنا عبدالله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ (٥) . قال : أما أنا قد

(١) سورة الواقعة آية ٢١ .

(٢)الجزر : جمع جذور : البعير ذكراً كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة تقول هذه الجزور وإن أرادت ذكراً » غريب الحديث والأثر ١/ ٢٦٦ .

(٣)رواه الترمذى كتاب صفة الجنة باب ١٠ حديث ٢٥٤٢ وقال حديث حسن غريب .

(٤)مسروق : ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي . ثقة فقيه عابد . تقريب التذيب ٢/ ٢٤٢

(٥)سورة آل عمران آية ١٦٩ .

سألنا عن ذلك. فقال [1]« أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش. تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة . فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا » [2] .

ومن حيوانات الجنة الأبل وقد كانت أغلى شئ عند العرب فى الدنيا فستكون فى الآخرة لكمال لذة المؤمنين وكذا الخيل : عن أبي مسعود الأنصاري [3] قال : جاء رجل بناقة مخطومة [4]فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ « **لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة** » [5] . قال النووي : « قيل يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له فى الجنة بها سبعمائة كل

---

(١)الظاهر – والله أعلم – أن المسئول عن هذه الآية الذي أشار إليه ابن مسعود : هو رسول الله ﷺ وحذفه لظهور العلم به ، وأن الوهم لا يذهب إلى سواه ، وقد كان ابن مسعود يشتد عليه أن يقول : قال رسول الله ﷺ ، وكان إذا سمّاه أرعد ، وتغير لونه . وكان كثيراً مايقول ألفاظ الحديث موقوفة وإذا رفع منها شيئاً تحرى فيه ، وقال : « أو شبه هذا أو قريباً من هذا » فكأنه – والله أعلم – جرى على عادته فى هذا الحديث ، وخاف أن لا يؤديه بلفظه ، فلم يذكر رسول الله ﷺ . والصحابة إنما كانوا يسألون عن معاني القرآن رسول الله ﷺ « انظر عون المعبود ٧/ ١٩٦ . ضبط وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان .

(٢)رواه مسلم فى كتاب الامارة حديث ١٨٨٧ ورواه أبوداود كتاب الجهاد ٣/ ١٥ ورواه الترمذى كتاب التفسير « سورة آل عمران » حديث ٣٠١١ ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ٤ حديث ١٤٤٩ ورواه الدرامي كتاب الجهاد ٢/ ٢٠٦ ورواه أحمد فى المسند ١/ ١٦٦ .

(٣)أبو مسعود : عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري : الاصابة فى تمييز الصحابة ٧/ ٢٤ .

(٤)مخطومة : أى فيها خطام وهو قريب من الزمام . انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٣/ ١٥٠٥ .

(٥)رواه مسلم كتاب الامارة حديث ١٨٩٢ ورواه الدرامي فى كتاب الجهاد ٢/ ٢٠٣ ورواه النسائي كتاب الجهاد باب فضل الصدقة فى سبيل الله ٦/ ٤٩ ورواه الامام أحمد فى المسند ٤/ ١٢١ .

واحدة منهن يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء فى خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر والله أعلم » (١) .

قال القرطبي : « حكي عن عبدالله بن المبارك : خرج إلى غزو فرأى رجلا حزيناً قد مات فرسه فبقي محزوناً فقال له بعني إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك أي باعه له فرأى من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس فأراد أن يأخذه فنودي أن دعه فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس . فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم ؟ قال : فقص عليه القصة فقال له : اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه فى اليقظة » (٢) .

قال ابن كثير فى الكلام على حال السعداء : « يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة زمراً أي جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم » (٣) والشاهد من هذا هو وجود النجائب التى يمتطيها أهل الجنة والتى بأوصاف لا يعرفها إلا الله تعالى ليست كنجائب الدنيا .

ومن حيوانات الجنة الشاء :

قال الله تعالى ﴿ **وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ (٤) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « . . . إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة

---

(١)شرح النووى على مسلم ١٣ / ٣٨ .

(٢)التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٥٨١ . ثم قال القرطبي : « وهذه الحكاية صحيحة لأنها معنى ماثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود . (كما سبق فى النوق المخطومة)

(٣)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٩٩ .

(٤)سورة الصافات آية ١٠٧ .

فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم تله للجبين وعلى اسماعيل قميص أبيض ، وقال يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالتفت إبراهيم فاذا هو بكبش أبيض أقرن أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش . . »[١] .

قال سعيد بن جبير«كان الكبش الذى ذبحه إبراهيم رعى فى الجنة أربعين سنة»[٢] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : « خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا »[٣] .

مشهد الحوت والثور :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « بلغ عبدالله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال : ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شئ ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شئ ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **خبرنى بهن آنفاً جبريل** » . قال : فقال عبدالله : ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد**[٤] **حوت**

(١)رواه الامام أحمد فى المسند ١/ ٢٩٧ وقال أحمد محمد شاكر اسناده صحيح ٤/ ٢٤٧ حديث ٢٧٠٧ وصححه الدكتور عبدالعزيز الحميدي فى رسالته تفسير ابن عباس ٢/ ٧٤٣ .

(٢)جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢٣/ ٨٦ .

(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٨٧ .

(٤)الزيادة هى القطعة المنفردة المعلقة فى الكبد وهى فى المطعم في غاية اللذة . فتح البارى ٧/ ٢٧٣ .

وأما الشبه في الولد فإن الرجل اذا غشي المرأ فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها » . قال : أشهد أنك رسول الله . ثم قال : يارسول الله ، إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتونى عندك . فجاءت اليهود ودخل عبدالله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : « **أي رجل فيكم عبدالله بن سلام ؟** » قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرنا وابن أخبرنا . فقال رسول الله ﷺ « **أفرأيتم إن أسلم عبدالله ؟** » قالوا : أعاذه الله من ذلك . فخرج عبدالله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : شرّنا وابن شرّنا . ووقعوا فيه » [(١)] . والشاهد من هذا الحديث هو أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت وفى هذا دلالة على وجود الحوت فى الجنة .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يامحمد . . . . قال اليهودي فمن أول الناس إجازة [(٢)] ؟ قال : « **فقراء المهاجرين** » قال اليهودى : فما تحفتهم [(٣)] حين يدخلون الجنة ؟ قال : « **زيادة كبد النّون** » [(٤)] قال : فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : « **ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها** » قال فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين تسمى سلسبيلا** » قال : صدقت . . . . . . » [(٥)] .

---

(١)رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء باب حديث ٣٣٢٩ ،ورواه الامام أحمد فى المسند ٣/ ١٠٨ .

(٢)إجازة : الأجازة بمعنى الجواز والعبور . مسلم ١/ ٢٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٣)تحفتهم : بإسكان الحاء وفتحها ، لغتان وهى مايهدى إلى الرجل ويخص به ويلاطف . نفس المرجع السابق . « صحيح مسلم ١/ ٢٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى » .

(٤)غذاؤهم : روي على وجهين غذاؤهم وغداؤهم . قال القاضي : عياض هذا الثانى هو الصحيح وهو رواية الأكثرين . نفس المرجع السابق .

(٥)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحيض حديث ٣١٥ .

وفى هذا الحديث جاء ذكر الحوت وهو مايقدم زيادة كبده تحفة لأهـل الجنـة وإن ذكر فى هذه الرواية بعـد ذكـر فقـراء المهـاجرين إلا أن المـراد أهـل الجنـة كـما وضحته رواية البخاري المذكورة وغيرها ثم ثور الجنـة الـذى يأكـل مـن أطرافهـا ويكون غداء للمؤمنين .

وليس ماذكرنا فقط هو مافى الجنة من الحيوانـات بـل كـل مـايتمنّى المـؤمن يكون موجوداً . فلله الحمد والمنة.



المبحث الثانى

مشاهد نعيم الجنة

لقد تفضل الرب الكريم بالعطاء الجزيل من النعيم المقيم فى جناته ﷻ لعباده المؤمنين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين وتستديم به الحياة فلا تغير ولا كدر بل بهجة وسرور وسعادة وحبور . وسنرى فى هذا المبحث المشاهد التالية :

المطلب الأول : طعام وشراب أهل الجنة .

المطلب الثانى : لباس وحلي أهل الجنة .

المطلب الثالث : فرش أهل الجنة .

المطلب الرابع : خدم أهل الجنة .

المطلب الخامس : زوجات أهل الجنة .

المطلب السادس : سوق الجنة .

المطلب السابع : النظر إلى الله ﷻ .



المطلب الأول
طعام وشراب أهل الجنة

قال الله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

جميع أنواع المأكولات والمشروبات تكون تحت طلب المؤمن فى الجنة فما من شيء يشتهيه إلا ويأتى إليه مما لذ وطاب من الطعام والشراب .

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل مايأكل من أولها يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذى يجد لأولها ثم يكون ذلك كرشح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون إخواناً على سرر متقابلين** » (٢) .

هذا أدنى أهل الجنة وليس فيهم دني فكيف بمن هو فوق ذلك ؟

قال ابن الجوزى : « مامن شئ اشتهته نفس أو استلذته عين إلا وهو فى الجنة وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة فى هذين الوصفين فانه مامن نعمة إلا وهى نصيب النفس أو العين وتمام النعيم الخلود لأنه لو انقطع لم تطب » (٣) .

---

(١)سورة الزخرف آية ٧١ .

الصحاف : جمع صحفة : إناء من آنية الطعام . المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨ .

الأكواب : جمع كوب . المستدير الرأس الذى لا أذن له . معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧ .

(٢)روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٢٥/ ٩٨ . وقال الألوسي أخرجه ابن المبارك وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة والطبراني فى الأوسط بسند رجاله ثقات .

(٣)زاد المسير فى علم التفسير ٧/ ٣٢٨

وقـال الله تعـالى ﴿ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [1] وقـال تعـالى ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [2] وقـال تعـالى ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [4].

وقـال تعـالى ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [5] وقـال تعـالى ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [6] وعن ثوبـان مـولى رسـول الله ﷺ قـال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبـار اليهـود فقـال السـلام عليـك يامحمد . . . . . وحتى أن اليهودي قال : فما تحفتهم حـين يـدخلون الجنـة ؟ قـال : « **زيادة كبد النون** » قال فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال : « **ينحر لهم ثور الجنـة الـذى كان يأكل من أطرافها** » قال فما شرابهم عليه ؟ قال : « **من عين تسـمى سلسـبيلاً** » قال : صدقت . . » [7] .

عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **تكون الأرض يـوم القيامة خبزة [8] واحدة يكفؤها [9] الجبار بيده كما يكفـأ أحـدهم خبزتـه فى السـفر**

(١)سورة الأنبياء آية ١٠٢ .
(٢)سورة فصلت آية ٣١ .
(٣)سورة الطور آية ٢٢ .
(٤)سورة الواقعة آية ٢٠ – ٢١ .
(٥)سورة الحاقة آية ٢٤ .
(٦)سورة المرسلات آية ٤٣ .
(٧)سبق تخريجه وبيان غريبه قريبا ص ٢٨٠ .
(٨)(خبزة واحدة) : الخبزة الطلمة . والطلمة : هي عجين يوضـع فى الملّـة أي الرمـاد الحـار حتـى ينضـج . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ٢١٥١ .
(٩) (يكفؤها الجبار بيده) : أى يميلها من يد إلى يد حتـى تجتمـع وتسـتوي لأنهـا ليسـت منبسـطة كالرقاقـة ونحوها . ومعنى هذا الحديث أن الله تعالى يجعل الأرض كالعلامة والرغيف العظيم ويكون ذلك طعاماً نزلا لأهل الجنة . نفس المرجع السابق .

نزلاً [(١)] **لأهل الجنة** » قال : فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : « **بلى** » قال تكون الأرض خبزة واحدة (كما قال رسول الله ﷺ) . قال : فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه . « **قال ألا أخبرك بإدامهم ؟** » قال : « بلى : » « **قال إدامهم بالام ونون** [(٢)] » . قالوا : وماهذا ؟ قال : « **ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً** » [(٣)] وعجباً مما كنا نسمعه من الروايات والحكايات الخيالية بأن الأرض كانت طعماً أو شيئاً من هذا ولكن الأمر بعكس ماكنا نسمع فالأرض ستصبح طعاماً نزلاً لأهل الجنة فسبحان من بيده أمر كل شئ وهو على كل شئ قدير . وقال الله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا** ﴾ [(٤)] وقال تعالى ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا** ﴾ [(٥)] .

من نعيم الجنة : الطعام والشراب . فنجد فى الآية الأولى أن الشراب ممزوجاً بالكافور ليوافق اللذة والشهيّة عند المؤمنين ، كما نجد فى الآية الأخيرة [(٦)] أن

---

(١)نزلا : هو مايعد للضيف عند نزوله . نفس المرجع السابق .

(٢)بالام : فى معناها أقوال مضطربة . الصحيح منها الذى اختاره القاضي وغيره من المحققين أنها لفظة عبرانية معناها بالعبرانية ثور . ولو كانت عربية لعرفتها الصحابة ﷺم ولم يحتاجوا الى سؤاله عنها . نفس المرجع السابق .

(٣)رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث ٢٧٩٢ ورواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٤٤ حديث ٦٥٢٠ .

(٤)سورة الانسان آية ٥ — ٦ .

(٥)سورة الانسان آية ١٧ — ١٨ .

(٦)هذه الآيات سبق تفسيرها عند الكلام عن عيون الجنة ص ٣٦١ .

الشراب قد مزج بالزنجبيل وهذا من كمال فضل الله تعالى على عباده المؤمنين ، كما نرى فى الآيات التى معنا أن الأوانى التى يقدم فيها الطعام والشراب أواني من فضة وأكواب من قوارير من فضة وهذا لتتم السعادة فى الجنة لعباد الله المؤمنين . قال الله تعالى ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ** ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : « أما الأكواب فهي الكيزان التى لا خراطيم لها ولا آذان ، والأباريق التى جمعت الوصفين والكؤوس الهنابات . والجميع من خمر من عين جارية معين ، ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة . لا تصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة » (٢) .

وقد بين تعالى نوعا آخر من أنواع الشراب للأبرار فقال تعالى ﴿ **يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ (٣) . يشربون من خمر الجنة التى لا كدر فيها ولا زوال عقل . لايفك ختم إنائها إلا هم ونهاية شرابها طعم المسك .

---

(١)سورة الواقعة آية ١٧ – ١٩ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٤٦ .

(٣)سورة المطففين آية ٢٥ – ٢٨ .

انظر تفسير هذه الآيات ص ٣٦٢ عند الكلام عن عيون الجنة .

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتاده وغيرهم : « يشربها المقربون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً » . (١)

وقال تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٢) .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : « أى يتردد عليهم الولدان المستعدون لخدمتهم عليهم بالأشربة اللذيذة ، بالكأسات الجميلة المنظر المترعة من الرحيق المختوم بالمسك وهى كأسات الخمر . وتلك الخمر تخالف خمر الدنيا من كل وجه فإنها فى لونها (بيضاء) من أحسن الألوان ، وفى طعمها (لذة للشاربين) يلتذ شاربها بها وقت شربها وبعده . وأنها سالمة (لا فيها غول) العقل وذهابه ، ونزفه ، ونزف مال صاحبها ، وليس فيها صداع ولا كدر » (٣) . إن أرادوا الماء العذب الزلازل المحلّى مما تطيب به أنفسهم أو أرادوا اللبن أو الخمر ذو اللذة فى شربه أو العسل المصفى فكل ذلك عند طلبهم ورغبتهم يكون بين أيديهم . قال تعالى ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٥) . قال مقاتل : « هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ماكان فى قلبه من غش وغلٍّ وحسد » (٦) .

---

(١)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٦٦ .

(٢)سورة الصافات آية ٤٥ – ٤٧ .

(٣)تفسير كلام المنان ٦/ ٣٧٧ .

(٤)سورة محمد آية ١٥ .

(٥)سورة الانسان آية ٢١ .

(٦)فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ٣٥٢ .

المطلب الثانى

لباس وحلي أهل الجنة

قال الله تعالى ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (١) إنهم المؤمنون يزدانون فى الجنة بحلي الذهب وبلباس الحرير الأخضر مارق منه وما غلظ . فبعد أن كانوا ممنوعين منه فى دار التكليف حلّوا وألبسوا ذلك فى الجنة فهم يرفلون بالحرير ويتجملون بالحلي تكرمة ورفعة وعزة وفخراً جزاءً من ربك عطاء حساباً .

قال الألوسى : « وقدمت التحلية على اللباس لأن الحليّ فى النفس أعظم وإلى القلب أحب وفى القيمة أغلى وفى العين أحلى » (٢) .

وقال تعالى ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٣) قال ابن كثير : « وقوله ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾ من الحلية ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ أى فى أيديهم . كما قاله النبي ﷺ فى الحديث المتفق عليه « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (٤) ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ فى مقابلة ثياب أهل النار التى فصلت لهم لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه » (٥). وقال تعالى ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٦) .

---

(١)سورة الكهف آية ٣١ .

(٢)روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ١٥ / ٢٧٢ .

(٣)سورة الحج آية ٢٣ .

(٤)رواه مسلم كتاب الطهارة حديث ٢٥٠ من حديث أبى هريرة ورواه النسائي ١/ ٩٣ ورواه الامام أحمد فى المسند ١/ ٣٧١ .

(٥)تفسير القرآنن العظيم ٣/ ٣٤٢ .

(٦)سورة فاطر آية ٣٣ .

وقال تعالى ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ (٢) . قال الشوكاني : « السندس : مارق من الديباج . والاستبرق ماغلظ منه . . إلى أن قال »ذكر سبحانه هنا أنهم يحلون بأساور الفضة وفى سورة فاطر – يحلون فيها من . أساور من ذهب – وفى سورة الحج – يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً – ولا تعارض بين هذه الآيات لإمكان الجمع بأن يجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ ، أو بأن المراد أنهم يلبسون سوارات الذهب تارة ، وسوارات الفضة تارة ، وسوارات اللؤلؤ تارة ، أو أنه يلبس كل أحد منه ماتميل اليه نفسه من ذلك » (٣).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « أتي رسول الله ﷺ بثوب من حرير فجعلوا يعجبون من حسنه ولينه فقال رسول الله ﷺ : « **لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أفضل من هذا** » (٤) .

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه** » (٥).



(١)سورة الانسان آية ١٢ .

(٢)سورة الانسان آية ٢١ .

(٣)فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٥/ ٣٥٢ .

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٩ ورواه مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث ٢٤٦٨ .

(٥)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٦ .

المطلب الثالث

فرش أهل الجنة

لقد فرشت منازل المؤمنين بالحرير وصفت الأرائك من السرر المنسوجة بقضبان الذهب على صف واحد فى تلك المنازل للأتكاء على ذلك وأخذ كمال الحرية وبلوغ غاية الإنبساط والسرور والإنشراح .

قال الله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : « ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ أي عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له . ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ يعنى أواني الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها . ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ قال ابن عباس : النمارق : الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثوري وغيرهم . ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ قال ابن عباس : الزرابي : البسط . وكذا قال الضحاك وغير واحد . ومعنى مبثوثة أي ها هنا وها هنا لمن أراد الجلوس عليها » (٢) .

وقال تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (٣) ثم نشاهد المؤمنين وهم يتنعمون على تلك الفرش وهم فى غاية الانبساط كما قال تعالى مبيناً ذلك ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٤) وكما قال تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ

---

(١)سورة الغاشية آية ١٣ – ١٦ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٧٩٤ .

(٣)سورة الواقعة آية ٣٤ .

(٤)سورة الكهف آية ٣١ .

عِينٍ ﴾ (١) وكما قال تعالى ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (٢) « قيل الموضونة المنسوجة بقضبان الذهب وقيل المصفوفة » (٣). وقال تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ (٤).

قال ابن جرير : « يقول تعالى ذكره : بطائن هذه الفرش من غليظ الديباج ، والاستبرق عند العرب ماغلظ من الديباج وخشن » (٥).

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « قد أخبرتم بالبطائن ، فكيف لو أخبرتم بالظواهر ؟ » (٦) وقال تعالى ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (٧) . قال البغوي : « قال سعيد بن جبير : الرفرف رياض الجنة خضر مخضبة ويروى ذلك عن ابن عباس ، واحدتها رفرفة وقال الرفارف جمع ، وقيل : الرفرف : البسط وهو قول الحسن ومقاتل القرظى وروى العوفى عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط ، وقال الضحاك وقتادة : هي مجالس خضر فوق الفرش . وقال ابن كيسان : هي المرافق . وقال ابن عينيه : الزرابي . وقال غيره : كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف . ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ هي الزرابي والطنافس الثخان وهي جمع واحدتها عبقرية ، وقال قتادة : العبقري عتاق الزرابي وقال أبو العالية هي الطنافس المخملة إلى الرقة . وقال القتيبى : كل ثوب موشّى عند العرب عبقرى .

(١)سورة الطور آية ٢٠ .
(٢)سورة الواقعة آية ١٥ – ١٦ .
(٣)انظر أضواء البيان ٣/ ١٤٨ طبعة الأمير أحمد بن عبدالعزيز .
(٤)سورة الرحمن آية ٥٤ .
(٥)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧/ ١٤٩ الطبعة الحلبية بمصر .
(٦)نفس المرجع السابق .
(٧)سورة الرحمن آية ٧٦ .

وقال أبو عبيدة هو منسوب الى أرض يعمل بها الوشي . قال الخليل : كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي ﷺ فى عمر رضي الله عنه : « فلم أر عبقرياً يفري فريه » [1] . [2] .

لم يكن شيئاً مما طاب من نفيس الفرش والمتكأ إلا وقد هيأ للمؤمنين فى منازلهم وفى منتزهاتهم على أبدع ما نظم ومن أفضل ماصنع مالم تر له عين مثل ولم يخطر على قلب بشر . قال الله تعالى ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ [3] نزع الله عز وجل مافى القلوب من غل لأنهم فى دار النعيم فى دار اللذة والسرور يجلسون على السرر وجوه بعضهم إلى بعض يتحدثون في ماشاءوا ويتنعمون بما شاءوا حياة كلها سعادة لا يتطرق لها كدر فى أي أمر من أمور حياتهم.



(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ٦ حديث ٣٦٨٢ وهو قطعة من حديث رواه عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال : أريت فى المنام أن أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن : « ورواه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة حديث ٢٣٩٣ ورواه أحمد فى المسند ٢/ ٢٨ .

(٢)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٤/ ٢٨ .

(٣)سورة الحجر آية ٤٧ .

المطلب الرابع
خدم أهل الجنة

قال الله تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [1] قال الخازن : « يطوف عليهم ﴾ أي للخدمة ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ أي غلمان ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ لايموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون ولا ينتقلون من حالة إلى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الأذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالاً وفيه ضعف لأن الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولأن من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان منقصة بأب الخادم . وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول أقرب من الأول لأنه قد اختلف فى أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الأكثرون هم فى النار تبعاً لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة . . . وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الأقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة . والقول الصحيح الذى لا معدل عنه أن شاء الله أنهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وإن لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليداً مالم يحتلم والأمة وليدة وإن أسنت » [2].

---

(١)سورة الواقعة آية ١٧ .

(٢)تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ٧/ ١٦ .

هؤلاء الولدان الذين خلقهم الله تعالى من أجل خدمة عباده المؤمنين فى جناته ﷻ أخبر ﷻ عن صفاتهم فقال تعالى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (١) .

قال ابن جرير : « كأنهم لؤلؤ فى بياضه وصفاه مكنون ، يعني مصون فى كنّ فهو أنقى له وأصفى لبياضه » (٢) وقال تعالى ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ (٣) .

قال صديق حسن خان : « أي إذا نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم ، لؤلؤاً مفرّقاً ، قال عطاء : يريد فى بياض اللؤلؤ وحسنه ، واللؤلؤ إذا نشر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً » (٤) .

مما مر معنا نجد أن خدم أهل الجنة مخلدون لا يموتون ولا يتغيرون بأي حال من الأحوال وقد شبههم المولى ﷻ باللؤلؤ الذى كان محفوظاً في كّنٍ لم يتعرض لأي مؤثر من المؤثرات التى تغير حاله فإذا نثر فإذا هو يتلألأ من وضاءته وجماله فهؤلاء خدم أهل الجنة فكيف بالمخدومين ، إنه فضل الله يؤتيه من يشاء .



(١)سورة الطور آية ٢٤ .

(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧/ ٢٩ .

(٣)سورة الانسان آية ١٩ .

(٤)فتح البيان فى مقاصد القرآن ١٠ ١٧٨ دار الفكر العربى .

المطلب الخامس

زوجات أهل الجنة

من تمام اللذة واكتمال الغبطة الزوجة ، بها يحصل الإنس وتحصل الفرحة ويكون التمتع ، فإذا كان فى الدنيا يعتري ذلك شئ من النغص والضيق وحصول المشاكل وعدم اكتمال الغبطة واللذة والتمتع إلا أن الله ﷻ حقق بغية عباده المؤمنين فى الجنة بما تشتهيه أنفسهم وتلذ به أعينهم . والزوجات من ضمن ذلك النعيم . قال الله تعالى ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾ (١) أي في جنات رب العالمين يكون لهم فيها الزوجات الطاهرات من كل خبث ومن كل سوء قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أووسخ » (٢)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « **لروحة فى سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب (٣) قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد – يعنى سَوْطَهْ – خير من الدنيا وما فيها ولو أن امراة من أهل الجنةطلعت إلى أهل**

(١)سورة البقرة آية ٢٥ .

(٢)حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح « باب ٥٣ » ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن ص ١٦٥ .

(٣)« وقاب قوس أحدكم » : أي قدره . والقاب بتخفيف القاف وآخره موحدة معناه القدر وكذلك القيد بكسر القاف بعدها تحتانية ساكنة ثم دال وبالموحدة بدل الدال ، وقيل القاب مابين مقبض القوس وسيته ، وقيل مابين الوتر والقوس وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذى يقاس به وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة . فتح البارى ٦/ ١٤ .

الأرض لأضاءت مابينهما ولملأته ريحاً ولنصيفها [1] **على رأسها خير من الدنيا و ما فيها** » [2]لقد اتصفت الزوجات فى الجنة بصفات عجيبة من الحسن والجمال والأدب وحسن المقال وهذا جزاء من الرب الكريم على ماكان من عباده المتقين من طيب الأعمال .

قال تعالى ﴿ **كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ [3]. على ماكان من العطاء الجزيل من المولى ﷻ من النعيم لعباده ، كذلك يزوجهم بالحور العين . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « والحور : جمع حوراء وهى المرأة الشابة الحسناء البيضاء شديدة سواد العين » [4] وفى معرض تعداد نعم الله تعالى على عباده فى الجنة قال تعالى ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ** ﴾ [5] قال صديق حسن خان : « ﴿ **كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ** ﴾ المصون فى الصفاء والنقاء شبهن باللؤلؤ المكنون وهو الذى لم تمسّه الأيدي ولا وقع عليه الغبار ، والشمس والهواء ، فهو أشد مايكون صفاء . قال ابن عباس : « المكنون : المخزون الذى فى الصدف » [6]قال تعالى ﴿ **كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ** ﴾ [7] .

قال الزمخشري : « قيل هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضاً » [8] .

---

(١)لنصيفها : بفتح النون وكسر الصاد المهملة بعدها تحتانية ساكنة ثم فاء هو الخمار بكسر المعجمة وتخفيف الميم . فتح البارى ٦/ ١٥ .

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الجهاد باب ٦ حديث ٢٧٩٦ ، ورواه الترمذي فى كتاب فضال الجهاد باب ١٧ حديث ١٦٥١ .

(٣)سورة الدخان آية ٥٤ .

(٤)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح باب ٥٣ ص ١٦٦ .

(٥)سورة الواقعة آية ٢٢ – ٢٣ .

(٦)فتح البيان فى مقاصد القرآن ٧/ ٢٥٩ .

(٧)سورة الرحمن آية ٥٨ .

(٨)الكشاف عن حقاق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل

وقال تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [1] . قال ابن جرير ﷀ تعالى : « شبهن فى بياضهن ، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان بِبَيَاضِ البَيْضِ الذى هو داخل القشرة ، وذلك هو الجلدة الملبسة المحّ قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها ، وذلك لا شك هو المكنون فأما القشرة العليا فإن الطار يمسها ، والأيدي تباشرها ، والعش يلقاها . والعرب تقول لكل مصون مكنون ماكان ذلك الشيء لؤلؤاً كان أو بياضاً أو متاعاً . . . » [2]

وقال تعالى ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ [3] قال الشيخ عبدالرحمن السعدي ﷀ تعالى : « النواهد اللاتى لم ينكسر ثديهن من شبابهن وقوتهن ونضارتهن على سن واحد متقارب . ومن عادة الأتراب أن يكنّ متآلفات ، وذلك السنّ الذى هنّ فيه ثلاث وثلاثون سنة أعدل مايكون من ، الشباب [4] » . وقال تعالى ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [5] قال ابن القيم ﷀ تعالى : « وصفهن ﷻ بقصر الطرف فى ثلاثة مواضع : أحدها : هذا .

والثالث : قوله تعالى فى صٓ ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [6] .

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرة طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم . وقيل : قصرن طرف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن

---

(١)سورة الصافات آية ٤٩ .
(٢)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٥٧ .
(٣)سورة النبأ آية ٣٣ .
(٤)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٧/ ٥٥٥ .
(٥)سورة الرحمن آية ٥٦.
(٦)سورة ص آية ٥٢ .

ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد » (1) .

وقال ﷻ تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ أي لم يمُسسن . قال المفسرون : لم يطأهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه ألفاظهم وهم مختلفون فى هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتى أنشئن فى الجنة من حورها وبعضهم يقول يعنى نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفن . قال الشعبى : نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً . وقال مقاتل : لأنهن خلقن فى الجنة . وقال عطاء عن ابن عباس : هن الآدميات اللآتى متن أبكاراً . وقال الكلبى : لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس ولا جان . قلت – ابن القيم – :

« ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الانس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك » (2).

---

(1)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح باب ٥٣ فصل ١ ص ١٦٧ .

(2)نفس المرجع السابق . صـ ١٦٨ .

وقال تعالى ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ (١) .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدى رحمه الله تعالى : أى فى الجنات خيرات الأخلاق حسان الأوجه فجمعهن بين جمال الظاهر والباطن وحسن الخَلْق و الخُلُق ، محبوسات فى خيام اللؤلؤ قد تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن ، ولاينفي ذلك خروجهن فى البساتين ورياض الجنة كما جرت العادة لبنات الملوك المخدرات الخفرات (٢) » (٣).

وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ (٤) قال صديق حسن خان : قيل : هن الحور العين ، أنشأهنّ الله لم تقع عليهن الولادة ولم يسبقهن بخلق . وإنهن لسن من نسل آدم عليه السلام بل مخترعات : وهو ماجرى عليه أبوعبيدة وغيره . وقيل : المراد نساء بني آدم ، والمعنى أن الله سبحانه أعادهن بعد الموت إلى حال الشباب ، والنساء وإن لم يتقد لهن ذكر – لكهنهن قد دخلن فى أصحاب اليمين فتلخص أن نساء الدنيا يخلقهن الله فى القيامة خلقاً جديداً من غير توسط ولادة خلقاً يناسب البقاء والدوام وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى الجسمية ، وانتفاء سمات النقص ، كما أن خلق الحور العين على ذلك الوجه »(٥).

(١)سورة الرحمن آية ٧٠ ٧٢ .
(٢)الخفر : بالتحريك شدة الحياء . لسان العرب مادة « خفر » ٤/ ٢٥٣ .
(٣)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٧/ ٢٥٨ .
(٤)سورة الواقعة آية ٣٥ – ٣٧ .
(٥)فتح البيان فى مقاصد القرآن ٩/ ٢٦٢ دار الفكر العربى .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : « ﴿ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ صغارهن وكبارهن وعموم ذلك يشمل الحور العين ونساء أهل الدنيا وأن هذا الوصف – وهو البكارة – ملازم لهن فى جميع الأحوال . كما أن كونهن ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ ملازم لهن فى كل حال . **والعروب هي** : المرأة المتحببة إلى بعلها ، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها ، فهي التى ان تكلمت ، سَبِتِ العقول ، وود السامع أن كلامها لا ينقضي . خصوماً عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة ، والنغمات المطربة . وإن نظرت إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلها فرحاً وسروراً ، وإن انتقلت من محل إلى آخر امتلأ ذلك الموضع منها ريحاً طيباً ونوراً . **والأتراب** : اللاتي على سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة التى هي غاية مايتمنى أكمل سنّ الشباب فنساؤهم عرب أتراب ، متفقات مؤتلفات ، راضيات مرضيات ، لا يَحزِنّ ولا يُحزِن بل هن أفراح النفوس وقرة العيون ، وجلاء الأبصار » [(1)] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون . آنيتهم فيها الذهب ، أمشاطهم من الذهب والفضة ، ومجامرهم الألوه ، ورشحهم المسك . ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا** » [(2)] وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر . والتى تليها على أضوأ كوكب دري فى السماء .**

---

(١)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٧/ ٢٦٧ .

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق ٨ حديث ٣٢٤٥ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٤ ، ورواه الترمذي كتاب الجنة باب ٧ حديث ٢٥٣٧ .

لكل امرئ منهم زوجتان أثنتان يـرى مـخ سـوقهما مـن وراء اللحـم ومـافى الجنـة أعزب » [١] . وعن أبى سعيد ﷺ عن النبى ﷺ قال : « **أول زمرة يدخلون الجنة الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري فى السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها »** [٢] .

وعن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسـول الله ﷺ : « **للشـهيد عنـد الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة** [٣]**ويرى مقعده مـن الجنـة** [٤] **ويجـار مـن عـذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خير مـن الدنيا وما فيها ، ويزوج أثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشـفع فى سـبعين من أقاربه »** [٥] . على ماكان من المولى ﷻ من الخلقة السـوية لزوجـات المـؤمنين فى الجنة ومن الجمال ومن الأدب والخلق والخصال الفاضلة الكثيرة والتى وقفنـا عـلى البعض منها ومما لا تتصـوره العقـول . إلا أن الأمـر فـوق ذلـك وأعظـم . ولقـد جعل ﷻ القوة القادرة والكافية للمؤمنين ليتمكنوا من اللذة وبها يتلاءم مـع تلـك الزوجات فقد أعطى ﷻ لكل مؤمن قوة مائة رجل .

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٤ .

(٢)رواه الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ٥ حديث ٢٥٣٥ وقال هذا حديث حسن .

(٣)دفعة : بفتح الدال المهملة وسكون الفاء : هى الدفعة من الدم تحفة الأحوذى ٥/ ٣٠٣ .

(٤)ويرى مقعده من الجنة : على أنه عطف تفسير لقوله يغفر له لئلا تزيد الخصال عـلى سـت . نفـس المرجـع السابق .

(٥)رواه الترمذى فى فضائل الجهاد باب ٢٥ حديث ١٦٦٣ وقال حديث حسـن صـحيح غريـب ورواه ابـن ماجه فى كتاب الجهاد باب ١٦ حديث ٢٧٩٩ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع .** » قيل يارسول الله أويطيق ذلك ؟ قال : « **يعطى قوة مائة** » [1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : « والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس فى الصحيح زيادة على ذلك فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة ، فإنما أن يراد بها مالكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ويكونون فى ذلك على حسب منازلهم فى القلة والكثرة كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحظوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة . وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع** » . قيل يارسول الله أويطيق ذلك ؟ قال : « **يعطى قوة مائة** » هذا حديث حسن صحيح فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم فى عدد النساء بحسب تفاوتهم فى الدرجات . والله أعلم . ولا ريب أن للمؤمن فى الجنة أكثر من اثنتين لما فى الصحيحين من حديث أبى عمران الجونى عن أبى بكر عن عبدالله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن للعبد المؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً** » [2] . [3] .

---

(١)رواه الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ٦ حديث ٢٥٣٦ وقال حديث صحيح غريب .

(٢)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٣ ورواه مسلم كتاب الجنة حديث ٢٨٣٨ .

(٣)حادي الأرواح الى بلاد الأفراح باب ٥٣ فصل ٧ ص ١٧٥ .

فى الجنة تتحقق أمنية المتمنين ، وتحصل رغبة الراغبين مما يخطر على البال وتشتهى الأنفس وذلك بفضل أرحم الراحمين .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنّه فى ساعة كما يشتهى** » (١) قال الترمذى : « وقد اختلف أهل العلم فى هذا ، فقال بعضهم : فى الجنة جماع ولا يكون ولد ، هكذا روى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي . وقال أبو محمد – يعني البخاري – قال اسحق بن إبراهيم فى حديث النبي ﷺ إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة واحدة كما يشتهى ولكن لا يشتهى . قال محمد – يعني البخاري – : وقد روي عن أبي رزين العقيلى عن النبي ﷺ قال : « **إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد** » (٢) . وفى مشهد مؤنس للمؤمنين فى الجنة نجد الحوريات يطربن أزواجهن بالغناء الذى يهز الأشواق ويرقق القلوب ويجلب الفرحة والسرور .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **إنّ أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ماسمعها أحد قط . إن مما يغنين : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرن بقرة أعيان . وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا يمتنه ، نحن الآمنات فلا يخفنه ، نحن المقيمات فلا يظعنّه** » (٣) . وعن

(١)رواه الترمذي فى كتاب صفة الجنة باب ٢٣ حديث ٢٥٦٣ وقال حديث حسن غريب .

(٢)رواه الترمذي فى كتاب صفة الجنة باب ٢٣ . انظر سنن الترمذى ٤/ ٦٩٦ . دار احياء التراث العربى « تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة على » .

(٣)صحيح الجامع الصغير ٢/ ٤٨ حديث رقم ١٥٥٧ وصححه الألبانى .

أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ان الحور العين لتغنين فى الجنة . يقلن : نحن الحور الحسان ، خبئنا لأزواج كرام** » [1] . لا يتمنى المؤمن شيئاً فى الجنة إلا كان بين يديه ولا ترغب نفسه حاجة من الحاجات إلا حققت له مما يخطر على باله ، لأنه فى دار السعادة والنعيم دار من قد رضي الله عنهم ورضوا عنه .



(١)صحيح الجامع الصغير ٢/ ٥٨ حديث رقم ١٥٩٨ وصححه الألبانى .

المطلب السادس
سوق الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن فى الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثوا فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً** » (١) .

قال النووي : « المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس فى الدنيا فى السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة ، أي فى مقدار كل جمعة أي أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع ، لفقد الشمس والليل والنهار . وقال القاضي : وخص ريح الجنة بالشمال ، لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت فى الحديث تسمية هذه الريح المثيرة ، أي المحركة ، لأنها تثير فى وجوههم ماتثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها » (٢) .

إن سوق الجنة هو مكان اللقاء للمؤمنين بعضهم لبعض لا زدياد النعيم بما يجدونه من لذة وسؤدد وتحدث بعضهم لبعض وتذاكرهم بما كان فى الدار الدنيا وما آلوا إليه فى الدار الآخرة ويتجدد هذا اللقاء كل جمعة كما جاء فى الحديث

---

(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها حديث ٢٨٣٣ .

(٢)شرح النووى على مسلم ١٧/ ١٧٠ .

لرؤية بعضهم لبعض وأنس بعضهم ببعض ولم يكن لقاء بعضهم لبعض فى سوق الجنة فحسب بل يتزاورون فى المنازل وفى غير المنازل من مرافق تحت الأشجار وعلى شواطئ الأنهار وفى جميع المنتزهات المختلفة متى شاءوا من الأوقات التى تتناسب معهم ويرتاحون لها بل ويرغبونها .

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن أهل الجنة ليتزاورون فيها** »[1] .

إنها الزيارات الممتعة والحياة السعيدة والإنس الذى لا ينقطع واللذة المستمرة .



(١)رواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ٣٣٥ وصححه الشيخ أحمد محمد شاكر ١٦/ ١٨٠ حديث ٨٤٠٤ .

المطلب السابع

النظر إلى الله ﷻ

قال الله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (١) قال ابن كثير : « وقد روي عن جماعة من الصحابة تفسير هذه الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ منهم : أبو بكر الصديق ، وأبي بن كعب ، وكعب بن عجرة ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو موسى الأشعري ، وعبدالله بن عباس وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبدالرحمن بن أبى ليلى وعبد الرحمن بن سابط ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، ومحمد بن اسحق وغيرهم من السلف والخلف رحمهم الله وأكرم مثواهم أجمعين » (٢) .

قال الله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٣) . عن صهيب(٤) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شياً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال**

---

(١)سورة يونس آية ٢٦ .

(٢)النهاية فى الفتن والملاحم ٢/ ٣٨٨ .

(٣)سورة القيامة آية ٢٢ – ٢٣ .

(٤)صهيب بن سنان بن مالك الرومي ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً وكان أبوه وعمه على الأبلّة من جهة كسرى وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التميمي فأعتقه . أسلم هو وعمار وكان من المستضعفين ممن يعذب فى الله . ولما هاجر تبعه نفر من المشركين فسئل فقال : يامعشر قريش إنى من أرماكم ولا تصلون إلىّ حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفى فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه فرفضوا فعاهدهم ودلهم فرجعوا فأخذوا ماله فلما جاء النبي ﷺ قال له : ربح البيع فأنزل الله ﷻ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ . شهد بدراً والمشاهد بعدها توفى سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين » بتصرف من الاصابة فى تمييز الصحابة٥/ ١٦٣ .

فيكشف الحجاب . فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ » [١] وهذا من النعيم الذى لا أعلى منه نعيم ، وهو النظر إلى وجه الله ﷻ بما تستبشر به النفوس كما بينه ﷺ بقوله « **فما أعطوا شيأً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ ، وهذا يضاده ماذكر ﷻ عن الفجار ﴿ **كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [٢]فاذا حجب الفجرة عن رؤية ربهم ، ظفر البررة برؤيته ﷻ .



(١)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ١٨١ .

(٢)سورة المطففين آية ١٥ .

المبحث الثالث
مشاهد أهل الجنة

الجنة طيبة وطيب من فيها ، فهي مستقر أولياء الله تبارك وتعالى من الملائكة والرسل و الأنبياء والمؤمنين . عن بريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم** » (1).

والله ﷻ أعلم بعدد من فى هذه الصفوف ، فالأعداد كثيرة والصفات حميدة . عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون . آنيتهم فيها الذهب ، وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوّة(2) ورشحهم المسك . ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشياً** »(3).

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أثرهم كأشد كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل أمرئ منهم زوجتان : كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون الله بكرة وعشياً لا يسقمون ، ولا يمتخطون ، ولا يبصقون . آنيتهم الذهب والفضة ، وأمشاطهم**

(1)رواه الترمذي كتاب الجنة باب ١٣ حديث ٢٥٤٦ وقال حديث حسن ، وفى مشكاة المصابيح ٣/ ١٥٦٩ حديث ٥٦٤٤ قال الألبانى سنده صحيح .

(2)ووقود مجامرهم الألوة : أى بخورهم العود . وقيل هو ضرب من خيار العود وأجوده النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٢٨٠ .

(3)رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٥ .

الذهب ووقود مجامرهم الألوة [١]– قال أبو اليمان [٢]– يعنى العود – **ورشحهم المسك** » [٣] .

قال ابن حجر : « قوله « آنيتهم فيها الذهب » زاد فى الرواية الثانية « والفضة » . وقال فى الأمشاط عكس ذلك وكأنه اكتفى فى الموضعين بذكر أحدهما عن الآخر فإنه يحتمل أن يكون الصنفان لكل منهم . ويحتمل أن يكون أحد الصنفين لبعض والآخر للبعض الآخر ويؤيده حديث أبو موسى مرفوعا « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما » .

ويؤيد الأول ما أخرجه الطبراني بإسناد قوي عن أنس مرفوعاً « أن أدنى أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة . . [٤] » .

وقال القرطبي : « قد يقال أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ ؟ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك ؟ قال : ويجاب بأن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم وجوع أو ظمأ أو عري أو نتن ، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية ، والحكمة فى ذلك أنهم ينعمون بنوع ماكانوا يتنعمون به فى الدنيا » [٥] .

---

(١)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٥ .

(٢)أبو اليمان : أحد رواة الحديث وهو : الحكم بن نافع البهرانى بفتح الموحدة أبو اليمان الحمصي مشهور بكنيته ثقة ثبت (البهراني) بفتح فسكون ينسب إلى بهراء قبيلة نزل أكثرها مدينة حمص من الشام كما فى اللباب تقريب التهذيب ١/ ١٩٣ .

(٣)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ٨ حديث ٣٢٤٦ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنة حديث ٢٨٣٤ نحوه وروى الترمذي نحوه فى كتاب صفة الجنة باب ٥ حديث ٢٥٣٥ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وروى أحمد فى المسند نحوه ٢/ ٢٣٠ .

(٤)فتح البارى ٦/ ٣٢٤ .

(٥)نفس المرجع

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ، ولا يبولون ، ولا يتغوطون ولا يمتخطون** » قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : « **جشاء** (1) **ورشح كرشح المسك . يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** » (2) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال : اذهب فسلم على أولئك من الملائكة فاستمع مايجيبونك ، تحيتك وتحية ذريتك . فقال السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن** » (3) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري فى السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون ، أ مشاطهم ، الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة الألنجوج** (4) **عود الطيب ، وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً فى السماء** » (5) .

---

(1)جشاء : الجشاء هو تنفس المعدة من الإمتلاء . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ٤/ ٢١٨١ .

(2)رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٣٥ .

(3)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الأنبياء باب ١ حديث ٣٣٢٦ وروى مسلم نحوه كتاب صفة الجنة ٢٨ حديث ٢٨٤١ .

(4)الألنجوج : بفتح الهمزة واللام وسكون النون بجيمين ألاولى مضمومة والواو ساكنة هو العود الذى يتبخر به ، ولفظ العود هنا تفسير الألوة ، والعود تفسير التفسير ، فتح البارى ٦/ ٣٦٧ .

(5)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الأنبياء باب ١ حديث ٣٣٢٧ وروى مسلم نحوه كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٣٤ .

وعـن أبـى هريـرة رضي الله عنه عـن النبـي ﷺ قـال : « **يـدخل أهـل الجنـة جرداً** [(١)]**مرداً** [(٢)] **بيضاً جعاداً** [(٣)] **مكحلـين** [(٤)] **أبنـاء ثـلاث وثلاثـين عـلى خلـق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع** » [(٥)] .

وعن أبى هريـرة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « **يـدخل الجنـة أقـوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير** » [(٦)] قال النووي : « قيل مثلها فى رقتّها وضعفها كالحديث الآخر » أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة » [(٧)] وقيل فى الخوف والهيبة . والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً كما قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ** ﴾ [(٨)]وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف فى شـدة خـوفهم . وقيل المراد متوكلون . والله أعلم » [(٩)] .

---

(١)جرداً : الأجرد الذى ليس على بدنه شعر ولم يكن كذلك وإنما أراد به أن الشعر كـان فى أمـاكن مـن بدنـه كالمسربة والساعدين والساقين فإن ضد الأجرد والأشعر وهو الذى على جميـع بدنـه شـعر . انظـر النهايـة فى غريب الحديث ١/ ٢٥٦ .

والمسربة : بضم الراء : مارق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف . انظر النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٣٥٦ .

(٢)مرداً : المرد نقاء الخدين من الشعر ونقاء الغصن من الورق . لسان العرب مادة « مرد » ٣/ ٤٠١

(٣)جعاداً : وهو بكسر الجيم وفتح العين المهملة مخففة جمع « جعد » وهو الذى شعره غير سـبط وهـو صـفة مدح لأن جعودة الشعر هي الصفة الغالبة على شعور العرب وسبوطته هي الغالبـة عـلى شـعور العجـم مـن الروم والفرس وأمثالهم من الأعاجم مسند أحمد تحقيق أحمد محمد شاكر ١٥ / ٧٤ .

(٤)مكحلين : الكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقة والرجـل أكحـل وكحيـل . أنظـر لسـان العـرب « كحل » ٤/ ١٥٤ .

(٥)رواه أحمد فى المسند . انظر تحقيق أحمد محمد شاكر ١٥/ ٧٤ حديث ٧٩٢٠ وقـال إسـناده صـحيح وروى الترمذى بعضه بإسناد حسن غريب كتاب صفة الجنة باب ١٢ حديث ٢٥٤٥ وانظر صحيح الجامع ٦/ ٣٣٧ حديث ٧٠٢٨ .

(٦)رواه مسلم كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٤٠ .

(٧)صحيح البخاري كتاب المغازى باب ٧٤ حديث ٤٣٨٨ ، ومسلم كتاب الإيمان حديث ٥٢ .

(٨)سورة فاطر آية ٢٨ .

(٩)شرح النووى على مسلم ١٧/ ١٧٧ .

من الأحاديث التى مرت معنا فى مشاهد أهل الجنة نقف على الصفات التالية:

١ - أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر .

٢ - الذين يلونهم صورتهم على أشد كوكب إضاءة .

٣ - زوجاتهم يرى مخ الساق من وراء اللحم من الحسن .

٤ - آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقودهم الألوة .

٥ - أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

٦ - خلقهم على خلق آدم عليه السلام .

٧ - أبناء ثلاث وثلاثين سنة .

٨ - طولهم ستون ذراعاً وعرضهم سبعة أذرع .

٩ - جرد ، مرد ، بيض ، جعاد ، مكحلون .

١٠ - يأكلون ، ويشربون ، لا يبصقون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، ولا يبولون ، يخرج الطعام والشراب منهم رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس .



الفصل السادس
مشاهد النار

النار دار الكافرين ، هيأها الله تعالى بجميع أنواع العذاب . قال تعـالى ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٢) . وقال تعالى مخبراً عما أعد لأهلها من العـذاب ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣). وقـال تعـالى ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (٤) . وأهلها فيها من أسوأ حال يتقلبون فى عذابها . قال تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (٥) وقـال تعـالى ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ (٦)

وسأبين فى هذا الفصل مشاهد أوصاف النـار ، ومشـاهد لمـا أعـد الله لأهلهـا مـن العذاب ، ومشاهد أهلها فى المباحث التالية :

المبحث الأول : مشاهد أوصاف النـار .

المبحث الثانى : مشاهد لما أعد الله لأهل النار من العذاب .

المبحث الثالث : مشاهد أهل النار .

---

(١)سورة المرسلات آية ٣٢ .

(٢)سورة الحجر آية ٤٤ .

(٣)سورة الأعراف آية ٤١ .

(٤)سورة الحج آية ١٩ – ٢١ .

(٥)سورة هود آية ١٠٦ .

(٦)سورة المؤمنون آية ١٠٤ .

المبحث الأول
مشاهد أوصاف النار

جعل الله ﷻ النار عذاباً فى الدار الآخرة لمن عصاه فى الحياة الدنيا وخرج عن طاعة رسله عليهم السلام ، وقد اتصف هذا العذاب بأوصاف مفجعة تدل على قوته وفظاعته وقد جعلت هذه الأوصاف فى مطالب وهى : [1]

المطلب الأول : وقود النار .

المطلب الثانى : حرارة النار وبرودتها .

المطلب الثالث : غيظ وشهيق وزفير جهنم .

المطلب الرابع : أبواب النار .

المطلب الخامس : خزنة جهنم .



---

(١)انظر كتاب التخويف من النار لابن رجب رحمه الله تعالى

المطلب الأول
وقود النار

قال الله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1] قال ابن كثير : « أما الوقود بفتح الواو فهو مايلقى فى النار لإضرامها كالحطب ونحوه . كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [2]» [3].

وقال القرطبى : « والوقود بالفتح : الحطب ، وبالضم : التوقد . والناس عموم ومعناه الخصوص فيمن سبق عليه القضاء أن يكون حطباً لها – أجارنا الله منها – (والحجارة) هي حجارة الكبريت الأسود . عن ابن مسعود والفراء – وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب . سرعة الاتقاد ، نتن الرائحة ، كثرة الدخان ، شدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت . وليس فى قوله تعالى ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ دليل على أن ليس فيها غير الناس والحجارة بدليل ماذكره فى غير موضع من كون الجن والشياطين فيها . وقيل المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [4] أي حطب جهنم وعليه فتكون الحجارة

(١)سورة البقرة آية ٢٤ .

(٢)سورة الجن آية ١٥ .

(٣)تفسير القرآن العظيم ١/ ٩٤ .

(٤)سورة الأنبياء آية ٩٨ .

والناس وقود النار وذكر ذلك تعظيماً للنار أنها تحرق الحجارة مع إحراقها للناس »[1] .

وقد حذر سبحانه من ذلك فى موضع آخر فقال جل من قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[2] .



(١)الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٣٥ .

(٢)سورة التحريم آية ٦ .

المطلب الثاني

حرارة النار وبرودتها

قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ (1) .

قال الشوكاني : « أي أوقدت لأعداء الله إيقاداً شديداً . قال قتادة : سعرها غضب الله وخطايا بني آدم (2) » أضرمت بها شاء الله تعالى من الوقود حتى اكتملت حرارتها لما أراد الله ﷻ أن تصل إليه من الحرارة لعذاب من قد استوجب ذلك . قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ (3) وقال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ (4) بلغت أقصى الحرارة لها .

وقال تعالى محذراً ومنذراً من ذلك العذاب الذى لا يقوى عليه أحد ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ (5) . تتوهج من شدة حرارتها وقد جعلها الله تعالى لمن قد شقي فترك أوامره ﷻ ووقع فى نواهية .وقال تعالى ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (6) وقد وصفها الله ﷻ بأن لها لهب وذلك لقوة توقدها وتسعرها وقوة شر رها قال تعالى ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ (7) . فالشرر الذى يتطاير من جهنم الواحدة منها كأنها البيت الكبير فى حجمها ولونها كالجمال الصفر.

---

(١)سورة التكوير آية ١٢ .

(٢)فتح القدير ٥/ ٣٨٩ .

(٣)سورة الغاشية ٢ – ٤ .

(٤)سورة القارعة آية ٨ – ١١ .

(٥)سورة الليل آية ١٤ – ١٥ .

(٦)سورة المسد آية ٣ .

(٧)سورة المرسلات آية ٣٢ .

قال الألوسى : « (جمالت) بكسر الجيم [1] وهو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع كما فى البحر يقال جمل وجمال وجمالة أو اسم كما قيل فى حجر وحجارة والتنوين للتكثير (صفر) فان الشرر لما فيه من النارية والهوائية يكون أصفر فالصفرة على معناها المعروف وقيل سود والتعبير بصفر لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة شبه الشرر حين ينفصل من النار فى عظمه بالقصر وحين يأخذ فى الإرتفاع والانبساط لا نشقاقه عن أعداد غير محصورة بالجمال لتصور الانشقاق والكثرة والصفرة والحركة المخصوصة وقد روعي الترتيب فى التشبيه رعاية لترتيب الوجود وأفيد أن القصور والجمال يشبه بعضها بعضا » [2].

إنها النار التى تحرق الأجسام وتنفذ إلى القلوب وتحرق كل شىء قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [3] نار لا يطفأ لهبها مطبقة عليهم تصل إلى القلوب وهم يعذبون فيها فى عمد ممددة قال الشوكانى : « ﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ فى محل نصب على الحال من الضمير فى عليهم أي كائنين فى عمد ممدة موثقين فيها ، أو فى محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم فى عمد . أو صفة لمؤصدة : أى مؤصدة بعمد ممددة قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد ، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح . ومعنى كون العمد ممددة : أنها مطولة وهي أرسخ من القصيرة » [4] .

---

(١)كما قرأبه حمزة والكسائى وحفص وأبو عمرو وفى رواية الأصمعى وهرون عنه . قاله الألوسي : روح المعانى ٢٩/ ٢٢٣ .

(٢)روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ٢٩/ ٢٢٣ .

(٣)سورة الهمزة آية ٥ – ٩ .

(٤)فتح القدير ٥/ ٤٩٤ .

إنها بشدة حرارتها تنضج الجلود وتغير أشكالها ، وتأكل اللحم وكل شيء ولكن لا يزول شيء بالاحراق إلا ويحل محله غيره ليذوق المجرم مس العذاب قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ (1) . وقال تعالى مبينا قوة حرارتها وحرقها للأجسام وتغيير لونها لتصبح سوداء من شدة اللفح ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ** ﴾ (2) فتستأصل جميع اللحم والدم والعصب وكما قال تعالى ﴿ **كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ** ﴾ (3) وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين ، نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف . فأشد ماتجدون من الحر وأشد ماتجدون من الزمهرير** » (4) .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ناركم جزء من سبعين جزاء من نار جهنم . قيل يارسول الله إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة . وستين جزءاً كلهن مثل حرها** » (5) . وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . **صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع . فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار . ثم**

---

(١)سورة النساء آية ٥٦ .

(٢)سورة المدثر آية ٢٦ – ٢٩ .

(٣)سورة المعارج آية ١٥ – ١٦ .

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ١٠ حديث ٣٢٦٠ ورواه مسلم فى صحيحه كتاب المساجد حديث ٦١٧ .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب بدء الخلق باب ١٠ حديث ٣٢٦٥ وروى مسلم نحوه فى صحيحه كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٤٣ ، وروى الترمذى نحوه كتاب صفة جهنم باب ٧ حديث ٢٥٨٩ .

صلّ . فإن الصلاة مشهودة [(١)] محضورة [(٢)] حتى يستقل الظل بالرمح [(٣)] ثم أقصر عن الصلاة . فإن حينئذ تسجر جهنم [(٤)] » [(٥)] .

إذا كان الانسان فى الحياة الدنيا يتأذى من شدة الحرّ فى الصيف والبرد فى الشتاء فكيف بجهنم وماهذا إلا نفسها ؟ واذا كان الإنسان يتأذى من شدة حرارة نار الدنيا وماهي إلا جزء من نار جهنم ولا يقوى عليها فكيف بنار جهنم ؟ إنه لا يدخلها إلا من شقي فى الدنيا والآخرة . فى الدنيا بالوقوع فى محارم الله تعالى ، وفى الآخرة بهذا العذاب . نسأل الله السلامة .

(١)مشهودة : يشهدها الملائكة . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ١/ ٥٧٠ .

(٢)محضورة : يحضرها أهل الطاعات . نفس المرجع .

(٣)(حتى يستقل الظل بالرمح : أى يقوم مقابله فى جهة الشمال . ليس مائلاً إلى المغرب ولا إلى المشرق . وهذه حالة الاستواء وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم فى الأرض ثم نظروا إلى ظلها . انظر نفس المرجع .

(٤)(فإن حينئذ تسجر جهنم) اسم إن محذوف وهو ضمير الشأن . ومعنى تسجر جهنم يوقد عليها إيقاداً بليغاً . واختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربى أم عجمى ؟ فقيل : عربى . مشتق من الجهومة . وهي كراهة المنظر . وقيل : من قولهم : بئر جهام أي عميقة . فعلى هذا لم تصرف للعلمية والتأنيث . وقال الأكثرون : هى عجمية معربة . وامتنع صرفها للعلمية والعجمة . نفس المرجع .

(٥)رواه مسلم فى صحيحه كتاب المسافرين حديث ٨٣٢ ورواه غيره بألفاظ مختلفة (الامام أحمد فى المسند ٤/ ١١١ ، وأبو داود كتاب الصلاة حديث ١٢٧٧ ، والنسائى فى كتاب الصلاة ١/ ٢٧٨ ، وابن ماجه فى كتاب الاقامة باب ١٤٨ حديث ١٢٥١) وهو قطعة من حديث طويل فى قصة اسلام عمرو بن عبسه رضي الله عنه .

المطلب الثالث

غيظ وشهيق وزفير جهنم

﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ [(١)] .

لما جعل الله تعالى جهنم عذابه للكفار الذين كفروا به وبرسله ، أصبحت العدو المبين لأولئك المجرمين فأودع الله فيها البغض والغيظ وكل صفات العداء فهي وهم على أرض المحشر حيث يجاء بها كما أخبر تعالى ﴿ **وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ** ﴾ [(٢)] الاية .

وكما جاء فى الحديث عن عبدالله [(٣)] بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها** » [(٤)] . يخرج منها عنق كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إنى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً غيره وبالمصورين** » [(٥)] . وذلك ترحيباً لاستقدام أهلها لتذيقهم ماقد أعد

(١)سورة الملك آية ٧ – ٨ .

(٢)سورة الفجر آية ٢٣ .

(٣)هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم . وقال : رفعه وهم . رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلا بن خالد موقوفا . قلت وحفص ثقة حافظ إمام فزيادة الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين « قاله محمد فؤاد عبد الباقى » ٤/ ٢١٨٤ .

(٤)رواه مسلم كتاب الجنة حديث ٢٨٤٢ ورواه الترمذى كتاب صفة جهنم باب حديث ٢٥٧٣ وأشار إلى عدم رفعه .

(٥)رواه الترمذى فى صفة جهنم باب ١ حديث ٢٥٧٤ وقال حسن غريب صحيح ورواه أحمد فى المسند

لهم فيها من العذاب وهل يترك العدو لعدوه شيئاً من الضر ومس العذاب ؟ قال تعالى ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ (1) . فإذا سيقوا إليها ودخلوها فإذا بها تشهق وتزفر غيظاً وحنقاً وقد استعدت لهم بكل مايسوءهم .

قال سيد قطب : « وجهنم هنا مخلوقة حية تكظم غيظها ، فترتفع أنفاسها فى شهيق وتفور ويملأ جوانحها الغيظ فتكاد تتمزق من الغيظ الكظيم وهي تنطوى على بغض وكره يبلغ إلى حد الغيظ والحنق على الكافرين . والتعبير فى ظاهره يبدو مجازاً تصويرياً لحالة جهنم . ولكنه – فيما نحس – يقر حقيقة . فكل خليقة من خلائق الله حية ذات روح من نوعها . وكل خليقة تعرف ربها وتسبح بحمده . وتدهش حين ترى الإنسان يكفر بخالقه وتتغيظ لهذا الجحود المنكر الذى تنكره فطرتها وتنفر منه روحها . وهذه الحقيقة وردت فى القرآن فى مواضع شتى (2) تشعر بأنها تقرر حقيقة مكنونة فى كل شئ فى هذا الوجود »(3) .



٢/ ٣٣٦ وقال أحمد محمد شاكر إسناده صحيح ١٦/ ١٨٤ حديث ٨٤١١ .

(١) سورة الفرقان آية ١٢ .

(٢) مثل قوله تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ٤٤ الاسراء وقوله تعالى ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ ١٠ سبأ . وقوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ١١ فصلت وقوله ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ ٧٩ – ٩٣ مريم .

(٣) فى ظلال القرآن ٦/ ٣٦٣٤ دار الشروق .

المطلب الرابع

أبواب النار

قال الله تعالى ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : « ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ أي قد كتب لكل باب منها جزء من اتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه – أجارنا الله منها – وكل يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر فى درك بقدر عمله » (٢) .

قال عكرمة : سبعة أبواب : سبعة أطباق . وقال ابن جريج : سبعة أبواب : أولها جهنم ، ثم لظى ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية وروى الضحاك عن ابن عباس ونحوه ، وكذا روي عن الأعمش بنحوه أيضاً. وعن الضحاك قال : باب لليهود ، وباب للنصارى ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب ، وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً » (٣) .

قال الدكتور عمر الأشقر : « ولم يصح تقسيم الناس فى النار وفق هذا التقسيم كما لم يصح تسمية دركات النار على النحو الذى ذكروه ، والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التى ذكروها : جهنم ، لظى ، الحطمة . . . الخ . اسم علم للنار كلها ، وليس لجزء من النار دون جزء ، وصح أن الناس متفاوتوت على قدر كفرهم وذنوبهم » (٤) . فالنار دركات أي تنحدر الى أسفل وكل جزء منها يدخله أهله على قدر جرمهم .

---

(١)سورة الحجر آية ٤٤ .
(٢)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٥٥ .
(٣)نفس المرجع .
(٤)اليوم الآخر (الجنة والنار) ص ٢٦ .

قال تعالى ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [2] . فلكل درجات أهل الخير فى الجنة ونعيمها . وأهل الشر فى النار وجحيمها .

وأسفل دركات النار يدخله المنافقون وذلك لعظم جرمهم وشناعة أمرهم قال تعالى . ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [3] قيل : « فى توابيت ترتج عليهم وقيل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم . وقيل فى توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها » [4] . والله اعلم بذلك ولا شك أنهم فى أشنع عذاب وأعظمه ليس بعده شئ . نسأل الله السلامة من جهنم وجميع دركاتها .

وليس هذا الدرك خاص بالمنافقين فحسب بل قد يدخله غيرهم ممن قد شنع جرمهم . عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « **هو فى ضحضاح** [5]**من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار** » [6] .

---

(١)سورة آل عمران آية ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢)سورة الانعام آية ١٣٢ .

(٣)سورة النساء آية ١٤٥ .

(٤)تفسير القرآن العظيم لابن كثير » ١/ ٨٦٧ .

(٥)ضحضاح : الضحضاح فى الأصل : مارق من الماء على وجه الأرض مايبلغ الكعبين فاستعار للنار . النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٧٥ .

(٦)رواه البخاري فى صحيحه مناقب الأنصار باب ٤٠ حديث ٣٨٨٣ ، ورواه مسلم كتاب الايمان ٣٥٧ حديث ٢٠٩ ورواه الامام أحمد فى المسند ١/ ٢٠٦ .

قال النووي : « الدرك الأسفل من النار » قال أهل اللغـة : فى الـدرك لغتـان فصيحتان مشهورتان فتح الراء وإسكانها وقـريء بهـما فى القـراءات السـبع . قـال الفراء : هما لغتان جمعهما أدراك . وقال الزجاج : اللغتان جميعاً حكاهما أهـل اللغـة إلا أن الأختيار فتح الراء لأنه أكثر فى الإستعمال . وقـال أبـو حـاتم : جمـع الـدرك بالفتح أدراك كجمل وأجمال وفرس وأفراس وجمع الدرك بالاسكان أدرك كفلـس وأفلس . وأما معناه : فقال جميع أهل اللغة والمعانى والغريب وجماهير المفسريـن : الدرك الأسفل قعر جهنم وأقصى أسفلها . قـالوا ولجهـنم أدراك فكـل طبقـة مـن أطباقها دركاً . والله أعلم » [1] . وتتفاوت دركـات النـار فى عـذابها ، ففيهـا مـاهو أخف من غيره كما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قـال : سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمـص قدميـه** [2] **جمرتـان يغلى منهما دماغه كما يغلي المرجل** [3] **بالقمقم** [4] » [5] .

قال عياض : الصواب « كما يغلي المرجـل والقمقـم بـواو العطـف لا بالبـاء وجوزه غيره أن تكون الباء بمعنى مع ، ووقـع فى روايـة الاسـماعيلى : « كـما يغـلي المرجل أو القمقم « بالشك » [6] .

---

(١)شرح النووي على مسلم ٣/ ٨٤ .

(٢)أخمص قدميه : الأخمص من القدم : الموضع الذى لا يلصق بالأرض منها عنـد الـوطء النهايـة فى غريـب الحديث ٢/ ٨٠ .

(٣)المرجل : الإناء الذى يغلى فيه الماء وسواء كان من حديد أو صفر أو حجارة أو خزف . « النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٣١٥ » .

(٤)القمقم : مايسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس . « النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١١٠ » .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥١ حديث ٦٥٦٢ ورواه مسلم فى صحيحه كتـاب الايـمان حديث ٢١٣ .

(٦)فتح البارى ١١/ ٤٣١ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب [1] وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه** » [2] وفى دركة من دركات النار يعذب عصاة الأمم من الموحدين ثم يخرجون بعد التطهير ويدخلون الجنة . عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان فى قلبه مثقال حبةّ من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون قد امتحشوا [3] وعادوا حمماً ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل [4] السيل أو قال : حَمِيّةِ السيل** » . وقال صلى الله عليه وسلم : « **ألم تروا أنها تنبت صفؤاء ملتوية** » [5] ؟ فليس الامتحاش ولباس النعلين مثل من تطبق عليهم النار ويعمهم عذابها ولا يكون هناك منفساً ولا مخرجاً ولا نوراً بل ظلمات للنار بعضها فوق بعض .

عن عتبة بن عبدالله السلمى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله « **القتل ثلاثة رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد المفتخر فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا**

---

(١)أبو طالب : هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحوطه وينصره ولم يدخل فى الاسلام رغم محاولة النبي صلى الله عليه وسلم ومات على الكفر وهو الذى نزل فيه قول الله عز وجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ٥٦ القصص.

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ٢١٢ .

(٣)امتحشوا : أي احترقوا والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم . « النهاية فى غريب الحديث ٤/ ٣٠٢ » .

(٤)حميل السيل : وهو مايجئ به السيل من طين أو غثاء وغيره ، فعيل بمعنى مفعول فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت فى يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها . « النهاية فى غريب الحديث ١/ ٤٤٢ » .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الرقاق باب ٥١ حديث ٦٥٦٠ .

جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل محيت ذنوبه وخطاياه . إن السيف محّاء الخطايا وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل فى سبيل الله حتى يقتل فإن ذلك فى النار . السيف لا يمحو النفاق »[(١)] . ففى درجات الجنة الثمانية تفاضل فى النعيم ، وفى دركات النار تفاضل بخفة العذاب وشيء دون شئ وإن كانت المصيبة للجميع يراها كل معذب عظيمة كما قال القرطبي : « وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال فالمعذب لا شتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف »[(٢)] وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى عنقه** »[(٣)] . وهنا بيان لبعض دركات النار وكيفية العذاب حيث لكّلٍ على قدر جرمه .

---

(١)رواه أحمد فى المسند ٤/ ١٨٥ . وقال بشير محمد عيون : قال الهيثمى فى مجمع الزوائد « ٥/ ٢٩١ رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الأملوكى وهو ثقة . انظر : التخويف من النار ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢)فتح البارى ١١/ ٤٣١ .

(٣)سبق تخريجه وبيان غريبه ص ٣٢٠ .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « **لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل سيفه على أمتي – أو قال : أمة محمد** » [(١)] ممّا مرّ معنا نجد أن الله جعل لأهل كل جرم من الجرائم منزلاً يوافق جرمه ويليق بمقامه وجهنم سبع دركات تبدأ من الأخف إلى الأشنع وحتى الدرك الأسفل وكل درك يستقبل سكانه ويقول هل من مزيد . قال تعالى ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ** ﴾ [(٢)] . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول : قَط قَط** [(٣)] **وعزتك ، ويُزْوى** [(٤)] **بعضها إلى بعض** » [(٥)].

ان أبواب جهنم مفتحة لا ستقبال أهلها فهم يردون عليها دون رغبة منهم ولا شوق لها بل يساقون اليها سوق الحمير ، ويجابهون بالسؤال من خزنتها لتزداد حسرتهم وتكثر ندامتهم . قال تعالى ﴿ **وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ**

---

(١)رواه أحمد فى المسند ٨/ ٥٦ حديث ٥٦٨٩ تحقيق أحمد محمد شاكر وقال : إسناده صحيح . وقال الحديث رواه الترمذي ٤/ ١٣٢ عن عبدالرحمن بن حميد عن عثمان بن عمر وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول . وليس يريد الترمذى بهذا لتضعيف الحديث فإن مالك بن مغول ثقة . ونقله ابن كثير فى التفسير ٥/ ١٨ عن الترمذى . ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٩٩ أيضاً لابن مردويه .

(٢)سورة ق آية ٣٠ .

(٣)قط . قط : معنى قط : حسبي . أي يكفيني هذا . وفيه ثلاث لغات . قَطْ . قَطِ . قَطٍ . مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ٤/ ٢١٨٧ .

(٤)يزوى : يضم بعضها إلى بعض . فتجتمع وتلتقى على من فيها . نفس المرجع .

(٥)رواه البخاري فى صحيحه كتاب الايمان والنذور باب ١٢ حديث ٦٦٦١ ، ومسلم بنحوه كتاب الجنة حديث ٢٨٤٨ والترمذي كتاب الجنة باب ٢٠ حديث ٢٥٥٧ .

ﭐدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2] .

قال ابن كثير : أي بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله ، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم فى قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[3] قال تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[4] [5] .



(١)سورة الزمر آية ٧١ – ٧٢ .

(٢)سورة النحل آية ٢٨ – ٢٩ .

(٣)سورة فاطر آية ٣٦ .

(٤)سورة غافر آية ٤٦ .

(٥)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٧٩ .

المطلب الخامس

خزنة جهنم

جعل الله ﷻ لجهنم خزنة من عباده من الملائكة الذين وصفهم الله ﷻ بقوله ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (١). وكما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢). قال الشوكاني: أي على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار شداد عليهم لا يرحمونهم إذا استرحموهم لأن الله ﷻ خلقهم من غضبه وحبب إليهم تعذيب خلقه، وقيل: المراد غلاظ القلوب شداد الأبدان، وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال، وقيل الغلاظ ضخام الأجسام والشداد الأقوياء » (٣).

وعددهم تسعة عشر كما أخبرنا الله عنهم فقال تعالى ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٤) وهم خزنة النار وقد يقصد مفهوم من أعمى الله بصيرته من أهل الكفر والعناد فيرى العدد قليلاً لما يتصوره من كثرة الناس ونسي عظم الملائكة بل نسي ملك الموت الذى هو جندي من جنود الله تعالى وما أودع الله فيه من قدرة لقبض الأرواح على اتساع الدنيا وبعد بعضها عن بعض وما فى جبريل كذلك من قوة فى اهلاك القرى، وكذا جميع الملائكة. وقد قال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً

---

(١)سورة الأنبياء آية ٢٦ – ٢٧.

(٢)سورة التحريم آية ٦.

(٣)فتح القدير ٥/ ٢٥٣.

(٤)سورة المدثر آية ٣٠.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ (١) . قال سيد قطب : هكذا تترك الحقيقة الواحدة أثرين مختلفين فى القلوب المختلفة . . . فبينما الذين أوتوا الكتاب يستيقنون ، والذين آمنوا يزيدون إيماناً ، إذا بالذين كفروا وضعاف القلوب المنافقون فى حيرة يتساءلون : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ ؟ ﴾ . . . فهم لا يدركون حكمة الأمر الغريب . ولا يسلمون بحكمة الله المطلقة فى تقدير كل خلق . ولا يطمئنون إلى صدق الخبر الكامن فى إخراجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة » (٢) .

قال ابن رجب : « ومالك هو خازن جهنم وهو كبير الخزنة ورئيسهم (٣) » . قال تعالى ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (٤) .



(١)سورة المدثر اية ٣١ .
(٢)فى ظلال القرآن ٦/ ٣٧٥٩ .
(٣)التخويف من النار ص ٢٢١ .
(٤)سورة الزخرف آية ٧٧ .

المبحث الثانى
مشاهد ما أعد الله لأهل النار من العذاب

لقد جبل الانسان على أمور أصبحت ضرورية له لا يستغنى عنها فى الدنيا ولا فى الآخرة مثل الطعام والشراب واللباس ومتطلبات الحياة الأخرى ، ففى الدنيا يتساوى فيها الناس ولكن فى الآخرة يكون الخلاف ، فأهل الجنة تكون الجنة نعيماً لهم وعلى مايريدون ويشتهون ، وأهل النار تكون النار عذاباً لهم وعلى مايكرهون ، وبها يعذبون ، فطعامهم عذاب وشرابهم عذاب ولباسهم عذاب وفراشهم وغطاؤهم عذاب فكل شئ عليهم عذاب .

عن الحسن البصرى أنه كان إذا ذكر أهل النار قال فى وصفهم : قد حذيت لهم نعال من نار وسرابيل من قطران ، وطعامهم من نار ، وشرابهم من نار ، وفرش من نار ولحف من نار ، ومساكن من نار فى شر دار ، وأسوأ عذاب فى الأجساد أكلاً أكلاً وصهراً صهراً وحطماً حطماً » [1] .

وروى ابن أبى الدنيا باسناده عن وهب بن منبه قال : أما أهل النار الذين هم أهلها فهم فى النار لا يهدأون ، ولا ينامون ، ولا يموتون ، ويمشون على النار ويجلسون على النار ، ويشربون من صديد أهل النار ، ويأكلون من زقوم النار فرشهم نار ، ولحفهم نار ، وقمصهم نار وقطران ، وتغشى وجوههم النار ، وجميع أهل النار فى سلاسل بأيدي الخزنة أطرافها يجذبونهم مقبلين ومدبرين ، فيسيل صديدهم إلى حفر فى النار ، فذلك شرابهم ، قال : ثم بكى وهب حتى سقط مغشياً عليه .

---

(١)التخويف من النار ص ١٦٤ .

وفى هذا المبحث سنرى المشاهد الآتية :

المطلب الأول : فرشهم ولحفهم .

المطلب الثانى : ثيابهم .

المطلب الثالث : طعامهم وشرابهم .

المطلب الرابع : السلاسل والأغلال والمقامع والأنكال .

المطلب الخامس : الجبال والأودية .



المطلب الأول

فرشهم ولحفهم

قال الله تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

قال الخازن : يعني لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتمهد يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ جمع غاشية وهي الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية أن النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم .

قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى : المهاد : الفراش . والغواشي : اللحف » (٢) . إنهم تغشاهم النار من تحتهم ومن فوقهم بمثابة الفراش واللحاف ، فبعد أن كانوا فى الحياة الدنيا يتمتعون بالفرش الوثيرة واللحف الناعمة الجميلة ، وقد جاءتهم الآيات البينات المبيّنة لهم طريق الخير وأن عاقبته التنعم فى الجنة وما أعد فيها من الخيرات ، وطريق الشر وأن عاقبته العذاب فى نار جهنم بأنواع العذاب وأسوأه . قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

قال ابن كثير : « ﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تهديد وتقريع وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على النفوس » (٤) . وقال تعالى ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٥) . وقال تعالى ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ (١)

---

(١)سورة الأعراف آية ٤١ .

(٢)تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معاني التنزيل ٢/ ٢٢٩ .

(٣)سورة العنكبوت آية ٥٥ .

(٤)تفسير القرآن العظيم ٣/ ٦٦٨ .

(٥)سورة ص آية ٥٥ – ٥٦ .

وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [2] . قال الشنقيطي : فى قوله ﴿ حَصِيرًا ﴾ فى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء كل منهما يشهد لمعناه قرآن . .

الأول : أن الحصير : المحبس والسجن . من الحصر وهو الحبس . قال الجوهرى : يقال حصره يحصره حصراً : ضيّق عليه وأحاط به . وهذا الوجه يدل له قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [3] ونحو ذلك من الآيات.

الوجه الثانى : أن معنى « حصيراً » أي فراشاً ومهاداً . من الحصير الذى يفرش لأن العرب تسمى البساط الصغير حصيراً .

قال الثعلبى : وهو وجه حسن . ويدل لهذا الوجه قوله تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ . . . ﴾ الآية . ونحو ذلك من الآيات . والمهاد : الفراش » [4] .



---

(١)سورة الزمر آية ١٦ .

(٢)سورة الاسراء آية ٨ .

(٣)سورة الفرقان آية ١٣ .

(٤)أضواء البيان ٣/ ٤٠٨ .

المطلب الثانى
ثيابهم

قال الله تعالى ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [(١)] قال ابن كثير : أي ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهنأ به الابل أي تُطلى . قال قتادة : وهو ألصق شئ بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء . وكان ابن عباس يقول : القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ أي من نحاس حار قد انتهى حره . وكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة » [(٢)] قال الشيخ السعدى : ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ التى هى أشرف مافى أبدانهم تحيط بها وتصلاها من كل جانب وغير الوجوه من باب أولى وأحرى » [(٣)].

وقال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ [(٤)] قال صديق حسن خان : « قال أبو حيان : أي قدرت لهم على قدر جثثهم لأن الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها ، فالتقطيع مجاز عن التقدير بذكر المسبب وهو التقطيع وإرادة السبب وهو التقدير والتخمين والظاهر أنه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وجمع الثياب لأن النار لتراكمها عليهم كالثياب الملبوس بعضها

---

(١)سورة ابراهيم آية ٥٠ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨٤٣ .

(٣)تيسير الكريم فى تفسير كلام المنان ٤/ ١٥٢ .

(٤)سورة الحج آية ١٩ .

فوق بعض وهذا أبلغ من جعلها من مقابلة الجمع بالجمع . وقيل : إن هذه الثياب من نحاس قد أذيب فصار كالنار وهي السرابيل المذكورة فى آية أخرى ، قاله سعيد بن جبير ، وزاد ليس من الآنية شيء حمى أشد حراً منه وقيل المعنى فى الآية أحاطت النار بهم . والحق إجراء النظم القرآنى على ظاهره ولا نرتضى تأويله بما يخالف لفظه ومعناه ، وقريء قطعت بالتخفيف » [1] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **أربع [2] في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن [3] : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستقسام بالنجوم [4] والنياحة . وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب [5]** » [6] .

وهذا من زيادة العذاب حيث إحاطة الجسم بملبس يلتصق به وكله عذاب ومن أشد العذاب .



---

(١)فتح البيان فى مقاصد القرآن ٦/ ٢١٤ .

(٢)أربع : أي خصال أربع كائنة فى أمتي من أمور الجاهلية . صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ٢/ ٦٤٤ .

(٣)لا يتركونهن : أي كل الترك . إن تتركه طائفة يفعله آخرون . نفس المرجع السابق .

(٤)الاستسقاء بالنجوم : يعني اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم فى المغرب . وطلوع آخر يقابله من المشرق كما كانوا يقولون : مطرنا بنوء كذا . نفس المرجع السابق .

(٥)ودرع من جرب : يعنى يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطية الدرع وهو القميص نفس المرجع السابق .

(٦)رواه مسلم فى كتاب الجنائز . حديث ٩٣٤ .

المطلب الثالث

طعامهم وشرابهم

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ (1) هذه الشجرة مما أعد الله ﷻ فى النار من العذاب الذى يذيقه الكفار فهي طعام لهم يأكلون ذلك فيغلي فى بطونهم مثل غليان الزيت من شدة حرارته . وقد وصف الله تعالى هذه فقال عز من قائل ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (2) .

إنها تخرج من قعر جهنم فتتشعب فروعها فى دركاتها حاملة الثمر الذى يأكله أهل النار وهو فى شكله مثل رءوس الشياطين من بشاعة ذلك وكراهته ويسقون على ذلك الماء المتناهي فى الحرارة وهم كارهون لذلك كله ليزداد العذاب عذاباً والألم ألماً والخزي خزياً .

قال ابن جرير : فإن قال قائل : وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين فى القبح ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين ، وإنما يمثل الشيء ، تعريفاً من الممثِّل الممثَّل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثَّل له الشيئين كليهما أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ، ولا برءوس الشياطين ، ولا كانوا رأوهما ولا واحداً منهما ؟ قيل له : أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى فى ذكره

---

(١)سورة الدخان آية ٤٣ – ٤٦ .

(٢)سورة الصافات آية ٦٤ – ٦٧ .

لهم وبينها حتى عرفوها ماهي وما صفتها ، فقال لهم ﴿ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ فلم يتركهم فى عماء منها وأما فى تمثيله طلعها برءوس الشياطين فأقول لكل منها وجه مفهوم :

أحدهما : أن يكون مثّل ذلك برءوس الشياطين على نحو ماقد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم فى مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة فى تقبيح الشيء . قال : كأنه شيطان فذلك أحد الأقوال .

الثانى : أن يكون مثّل برأس حيّة معروفة عند العرب تسمى شيطاناً وهي حيّة لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر . .

الثالث : أن يكون مثّل نبت معروف برءوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس »(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢) قال رسول الله ﷺ : « **لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه** »(٣) .

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾(٤) .

---

(١)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٦٤ .

(٢)سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٣)رواه الترمذى فى كتاب صفة جهنم باب ٤ حديث ٢٥٨٥ وقال حديث حسن صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٤/ ٢٥٩ حديث ٢٧٣٥ تحقيق أحمد محمد شاكر .

(٤)سورة الواقعة آية ٥١ – ٥٤ .

وهنا توكيد لأكلهم من شجرة الزقوم والشرب عليه من الحميم حتى تمتلئ بطونهم ومصيبة عظيمة عليهم وهو أنهم إذا أكلوا ذلك الطعام غصوّا به حيث ينشب فى حلوقهم كما أخبر تعالى ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١) .

وماذاك الطعام الذى يعطى لهم إلا عذاباً فهو لا يسمن ولا يغنى من جوع كما أخبر تعالى ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ (٢) . قال الامام البخاري : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له الشبق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم » (٣) .

إن الانسان فى هذه الحياة الدنيا يكثر ظمؤه كلما اشتد الحر ، فكيف بمن تتوقد عليهم النار داخلياً إنهم أحوج مايكونون إلى الماء ليطفوا لهب مايجدون فيطلبون الماء ويستغيثون فى طلب ذلك فما هو المدد لهم ؟ لقد أُخبرنا عنه فى قوله تعالى ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٤) قال ابن عباس : المهل : الماء الغليظ مثل دردي الزيت ، وقال مجاهد : هو كالدم والقيح ، وقال عكرمة : هو شئ أذيب ، وقال قتاده : أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب فى أخدود فلما انماع وأزبد قال : هذا أشبه شئ بالمهل ، وقال الضحاك ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود .قال ابن كثير : وهذه الأقوال ليس شئ منها ينفى الآخر ، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ ﴾ أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه » (٥) .

(١)سورة المزمل آية ١٣ .

(٢)سورة الغاشية آية ٦ – ٧ .

(٣)صحيح البخاري كتاب التفسير سورة ٨٨ .

(٤)سورة الكهف آية ٢٩ .

(٥)تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٤ .

وعن أبى سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **ماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إلى فيه سقطت فروة وجهه فيه** » [1] . ثم يجدون من الشراب ماهو مختلف شكلاً وطعماً وموافق فى شدة عذابه . قال تعالى ﴿ **هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ** ﴾ [2] أشربة متفقة اسماً مختلفة نوعاً مابين حار وبارد منتهيان فى ذلك . مايشرب من نوع إلا ويرى أنه أشد وأقوى من الآخر إن ذلك يقطع الأمعاء بمجرد شربه .

قال تعالى ﴿ **وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ** ﴾ [3] لأنه فى منتهى الحرارة كما قال تعالى ﴿ **تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ** ﴾ [4] إذا رأيتهم تحزن لحالهم ولسوء مآلهم ﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [5] كذبوا الرسل وتركوا أوامر الله تعالى ، قدموا أهواءهم ورغباتهم على مراد الله تعالى ، وماعلموا أن جهنم أمامهم ، وفيها من أنواع العذاب ماهو كاف لأولئك الظلمة المتكبرين . قال تعالى ﴿ **مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ** ﴾ [6] .

« وراء هنا بمعنى أمام كما هو ظاهر ويدل له اطلاق وراء بمعنى أمام فى القرآن ، وفى كلام العرب فمنه فى القرآن قوله تعالى ﴿ **وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ**

---

(١)رواه الحاكم فى السمتدرك وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى ٤/ ٦٠٤ .

(٢)سورة ص آية ٥٧ – ٥٨ .

(٣)سورة محمد آية ١٥ .

(٤)سورة الغاشية آية ٥ .

(٥)سورة آل عمران آية ١١٧ .

(٦)سورة إبراهيم آية ١٦ – ١٧ .

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ أى أمامهم ملك ، وكان ابن عباس يقرؤها وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، ومن اطلاق وراء بمعنى أمام فى كلام العرب قول لبيد : أليس ورائى أن تراخت منيتى لزوم العصا تحنى عليها الأصابع » [1] .

وقال مجاهد وعكرمة : الصديد من القيح والدم . وقال قتادة : هو ماء يسيل من لحمه وجلده » [2] . وهذا من أشربة أهل النار يتجرعه الكافر وهو غير راض به ونفسه غير مستسيغة له . قال ابن رجب بعد أن ساق الآيات الواردة فى شراب أهل النار : « فهذه أربعة أنواع ذكرنا هامن شرابهم وقد ذكر الله تعالى فى كتابه : الأول : الحميم . الثانى : الغساق . الثالث : الصديد . الرابع : الماء الذى كالمهل » [3] أهـ . وقد ذكر أقوال المفسرين لهذه الأنواع نسأل الله السلامة والعافية من عذاب الله تعالى .

وعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قدم من جيشان (وجيشان من اليمن) فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر ؟ فقال النبي ﷺ : « **أو مسكر هو ؟** » قال : نعم . قال رسول الله ﷺ « **كل مسكر حرام . إنّ على الله ﷻ عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال** » قالوا يارسول الله . وما طينة الخبال ؟ قال : « **عرق أهل النارعصارة أهل النار** » [4] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن الحميم ليصبّ على رءوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من**

(١)أضواء البيان ٣/ ١٠٩ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٢/ ٨١٥ .

(٣)التخويف من النار ص ١٤٩ تحقيق بسير محمد عيون .

(٤)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الأشربه ٧٢ حديث ٢٠٠٢ .

قدميه » [1] . إنهم وهم يسقون ذلك ليسوا له براغبين وإن كان الظمأ يقطع أكبادهم ولكنهم على ذلك مقهورون وعلى شربه مجبرون ليذوقوا مس العذاب على اختلاف أشكاله وأنواعه .



(١)رواه الامام أحمد فى المسند تحقيق أحمد محمد شاكر ١٧ / ٤٠ حديث ٨٨٥١ تتمة وتكملة الدكتور : الحسينى عبدالمجيد هاشم وقال : إسناده حسن .

المطلب الرابع

السلاسل والأغلال والمقامع والأنكال

قال الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ [1] .

السلاسل : معروفة دائرة من حديد ونحوه من الجواهر ، مشتق من ذلك « [2]. قال الفراء » كتبت « سلاسل » بالألف وأجراها بعض القراء لمكان الألف التى فى آخرها . ولم يجر بعضهم . وقال الذى لم يجر : العرب تثبت فيها لا يجرى الألف فى النصب فإذا وصلوا حذفوا الألف وكل صواب » [3] .

قال صديق حسن خان : السلاسل جمع سلسلة أي يشدون ويسحبون بها فى النار والأغلال جمع غل تغل به الأيدي إلى الأعناق . .

والسعير : نار مهيجة يعذبون بها [4]. قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ﴾ [5] وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [6]اذا كان العبد من أهل النار أمر الله الزبانية أن يأخذوه ويغلوا يده الى عنقه ويدرج فى السلسلة ثم يعذب فى نار جهنم . قال تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [7] .

(١)الانسان آية ٤ .

(٢)لسان العرب ١١/ ٣٤٥ .

(٣)معانى القرآن للفراء ٣/ ٢١٤ .

(٤)فتح البيان فى مقاصد القرآن ١٠/ ١٦٨ .

(٥)سورة الرعد آية ٥ .

(٦)سورة سبأ آية ٣٣ .

(٧)سورة الحاقة آية ٣٠ – ٣٢ .

قال الفضيل بن عياض : اذا قال الرب ﷻ فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل فى عنقه » [١] . وقال ابن عباس : ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ بذراع الملك ﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى . وقال : يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه » [٢] .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها** » [٣] .

إنهم يسحبون بهذه السلاسل فى نار جهنم من سعيرها إلى زمهريرها على وجوههم . كما قال تعالى ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [٤] . وكما قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ [٥] . ولهم أيضاً من العذاب ماهو أعظم وأنكل ، فيضربون بمقامع الحديد كما قال تعالى ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [٦] .

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦٥١ .

(٢)نفس المرجع السابق .

(٣)رواه الترمذى فى صفة جهنم باب ٦ حديث ٢٥٨٨ وقال حديث إسناده حسن صحيح ورواه أحمد فى المسند . انظر تحقيق أحمد فى المسند . انظر تحقيق أحمد محمد شاكر ١١/ ٨٠ حديث ٦٩٥٦ وقال إسناده صحيح .

(٤)سورة غافر آية ٧١ – ٧٢ .

(٥)سورة القمر آية ٤٨ .

(٦)سورة الحج آية ٢١ .

والمقامع : جمع مقمعة بكسر الميم الأولى ، وفتح الميم الآخرة ، ويقال : مقمع بلا هاء وهو فى اللغة : حديد كالحجن يضرب بها على رأس الفيل : وهي فى الآية مرازب عظيمة من حديد تضرب بها خزنة النار رءوس أهل النار ، وقال بعض أهل العلم : المقامع : سياط من نار ، ولا شك أن المقامع المذكورة فى الآية من الحديد لتصريحه تعالى بذلك (1) .

وعن أبى سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **لو ضرب مقمع من حديد جهنم الجبل لتفتت كما يضرب به أهل النار فصار رماداً** » (2). كما أن من أنواع عذابهم القيود التى يقيدون بها فى نار جهنم كما أخبرنا الله تعالى ﴿ **إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا** ﴾ (3) .

الأنكال : القيود . قاله ابن عباس وعكرمة وطاووس ومحمد بن كعب وعبدالله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد » (4) . وقال تعالى ﴿ **وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ** ﴾ (5) أى فى القيود كما قال تعالى ﴿ **وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا** ﴾ (6) .

---

(1)أضواء البيان ٥/ ٥٤ .

(2)رواه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٦٠١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(3)سورة المزمل آية ١٢ .

(4)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٨٤ .

(5)سورة إبراهيم آية ٤٩ .

(6)سورة الفرقان آية ١٣ .

المطلب الخامس
الجبال والأودية

قال الله تعالى ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [(١)]. قال ابن جرير : « ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ يقول تعالى ذكره : سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها . وقيل : إن الصعود جبل فى النار يكلف أهل النار صعوده » [(٢)] .

والقول الأول : قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو اختيار بن جرير » [(٣)] . ولم أجد أحداً من العلماء ذكر أثراً صحيحاً فى أنه جبل ، مع أنه إن كان جبلاً أو غير جبل فهو مشقة يلاقيها الكافر فى ذلك مع وجود أنواع العذاب المتنوع مما لا يخطر على قلب الكافر .

وقال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [(٤)] . غي فى هذه الآية من أنواع العذاب الذى أعده الله لأهل النار من الخزي جزاءً على سوء فعلهم . قال ابن عباس خسراناً ، وقال قتادة : شرّاً ، وقال ابن مسعود : وادٍ فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم . وقال أبو عياض : واد فى جهنم من قيح ودم » [(٥)] . » والله أعلم بذلك .

---

(١)سورة المدثر آية ١٧ .
(٢)جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢٩/ ١٥٥ .
(٣)نفس المرجع السابق .
(٤)سورة مريم آية ٥٩ .
(٥)تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠٧ .

وقد جعل الله ﷻ هذا العذاب لمن ضيعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ولمن أراد سبحانه من أهل الكفر والعناد . وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ (١) . قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكاً . وذكر عن عبدالله بن عمرو قال : هو واد عميق فرّق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة . وقال قتادة : موبقاً وادياً فى جهنم ، وعن أنس بن مالك قال : واد فى جهنم من قيح ودم . وقال الحسن البصري « موبقاً : عداوة . قال ابن كثير : والظاهر من السياق هاهنا أنه المهلك ، ويجوز أن يكون وادياً فى جهنم أو غيره » (٢) .

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٣) . قال الشوكاني : « الآثام فى كلام العرب : العقاب . قال الفراء : آثمه الله يؤثمه أثاماً : أى جازاه جزاء الإثم . وقال عكرمة ومجاهد : إن أثاماً واد فى جهنم جعله الله عقاباً للكفرة . وقال السدى : جبل فيها » (٤) . والله أعلم .

---

(١)سورة الكهف آية ٥٢ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٤٧ .

(٣)سورة الفرقان آية ٦٨ .

(٤)فتح القدير ٤/ ٨٨ .

وعن أبى بردة عن أبيه عـن النبـي ﷺ قـال : « **إن فى جهـنم واديـاً ولـذلك الوادى بئر يقال له : هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار** » (١) . ليس هناك نوع من أنواع العذاب الذى فيه إساءة وشدة عذاب مـن أوديـة أو جبـال أو غيرهـا إلا وهو فى نار جهنم وكاف الكافر قليله عن كثيرة .



(١)التخويف من النار ص ١٢٠ . تحقيق بشير محمد عيـون : وقـال رواه الطـبراني مـن حـديث أبـى موسـى الأشعرى ﷺ . قال الهيثمى فى « المجمع » ٥/ ١٩٧ : رواه الطبرانى فى « الأوسط وإسناده حسن .

المبحث الثالث
مشاهد أهل النار

إن الحالة التى يعيشها الإنسان تعطى صورة واضحة له من السعادة أو الشقاء فأهل الجنة مع تنعمهم فى روضات الجنة وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وأهل النار فى عذابهم فى النار ، وجوههم عليها غبرة ترهقها قترة فى أسوأ حال وأردأ مقال ماتسمع إلا صيحاتهم وعويلهم ، وزفيرهم وشهيقهم يدعون بالويل والثبور كما قال تعالى ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (1) يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا صالحا وهم يصيحون فى النار ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (2) . الآية .

يسحبون فى النار على وجوههم ليذوقوا مس العذاب ويهانوا بالكب على الوجوه التى كانت مصانة مكرمة ولكن بعد المعصية أصبحت مهانة معذبة . والذين يدخلون النار يختلفون فى العذاب فى نار جهنم على حسب جرائمهم ، فالكفار خالدون فى النار ، أما من زادت سيئاته على حسناته من أهل التوحيد وشاء الله تعالى دخولهم النار تمحيصاً لهم من أدران المعاصي فإنهم يعذبون ثم يخرجون من النار ويدخلون الجنة . وكل الذنوب دون الشرك بعد موت أهلها دون التوبة منها ، تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذب عليها وإن شاء غفر .

---

(1)سورة الفرقان آية ١٣ .

(2)سورة فاطر آية ٣٦ – ٣٧ .

قـــال تعـــالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) .

والذنوب التى دون الشرك كثيرة جداً ومنها الكبير ومنها الصغير وكـلا الإثنـين لا يرضاه الله ﷻ ومرتكبها مستحق لعذاب الله ﷻ وعلى حسـب ذاك الـذنب . ومـن ذلك : الكذب والخيانة ، والغيبة ، والنميمة ، والزنا ، والربا ، وقول الزور وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف وعقـوق الوالـدين ، وقتـل الـنفس التى حرم الله إلا بالحق ، وقذف المحصنات الغافلات ، وقطيعة الرحم ، والبخل ، والنياحة على الميت ، والطعن فى الأنساب ، والفخر بالأحسـاب ، وأكـل الحـرام ، وشرب الخمر ، واللواط ، والسرقة ، والنهـب ، والغضـب ، والإسـبال ، والكـبر والمنّ والأذى ، وحلق اللحى ، والنامصة ، والمتنمصة ، وتغيير منار الأرض وإيواء المحدث ، والسـحر ، والقـمار ، والغلـول ، والدياثـة . . . وكـل عمـل نهـت عنـه الشريعة وحذرت منه . ولكل صاحب ذنب من الـذنوب يـدخل بـه النـار يكـون عذابه على مستوى ذلك الذنب فى نار جهنم .

وسنرى فى المطالب الآتية مشاهد أهل النار وصفاتهم :

المطلب الأول : أجسامهم .

المطلب الثانى : سحبهم فى النار على وجوههم .

المطلب الثالث : هيئتهم فى النار .

المطلب الرابع : زفيرهم وشهيقهم .

المطلب الخامس : جر الأمعاء .

المطلب السادس : صراخهم ونداؤهم .

(١)سورة النساء آية ١١٦ .

المطلب الأول

أجسامهم

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة** » (١) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ، وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة** » (٢) . قوله مثل الربذة يعنى به كما بين المدينة والربذة . والبيضاء جبل . وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **مابين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع** » (٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث** » (٤) . من هذه الأحاديث الشريفة يظهر لنا عظم أجسام الكفاريوم القيامة ، فالحجم الكلى مسيرة ثلاث ليال وقد يكون أكبر من ذلك كما فى الروايات الأخرى أن مابين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع فتصور لما يسد مجلسه « مسافة مثل مابين مكة والمدينة « وضرسه » مثل جبل أحد « وفخذه » مثل الجبل أيضاً » ، ليس من عضو من أعضائه إلا ويكون كبيراً على مايتلاءم مع حجمه حتى أن جلده ليعظم ليذوق مس العذاب .

(١)رواه الترمذى كتاب صفة جهنم باب ٣ حديث ٢٥٧٧ وقال حديث حسن صحيح .

(٢)رواه الترمذى كتاب صفة جهنم باب ٣ حديث ٢٥٧٨ وقال حديث حسن غريب .

(٣)رواه البخاري فى كتاب الرقاق باب ٥١ حديث ٦٥٥١ ورواه مسلم فى كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٥٢ وقال : مابين منكبي الكافر فى النار . . . الحديث .

(٤)رواه مسلم كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٥١ .

قال تعالى ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ﴾ [١] لأن الجلد هو موضع الاحساس حيث هو الجهة المباشرة للنار . قال القرطبي فى « المفهم » : إنما عظّم خلق الكافر فى النار ليعظم عذابه ويضاعف ألمه » [٢] عن الحسن أنه ذكر أهل النار فقال : قد عظموا لجهنم مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن للراكب المسرع ، وإن ناب أحدهم مثل النخل الطوال وإن دبره لمثل الشعب ، مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، قد جمع بين نواصيهم وأقدامهم ، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم يسوقونهم إلى جهنم ، فيقول الرجل منهم للملك : ارحمنى ، فيقول : كيف أرحمك ولم يرحمك أرحم الراحمين » [٣] .



(١)سورة النساء آية ٥٦ .
(٢)فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٤٢٣ .
(٣)التخويف من النار ص ١٧٠ تحقيق بسير محمد عيون .

المطلب الثانى

سحبهم فى النار على وجوههم

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : يخبرنا الله تعالى عن المجرمين أنهم فى ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب فى الآراء ، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق » (٢) .

وقال البغوي : وقيل : فى ضلال : بعد عن الحق . قال الضحاك : وسعر: أي نار تسعر عليهم : وقيل فى ضلال : ذهاب عن طريق الجنة فى الآخرة ، وسعر : نار مسعرة ، قال الحسين بن فضل : إن المجرمين فى ضلال فى الدنيا ونار فى الآخرة . وقال قتادة : فى عناء وعذاب » (٣) .

إن أفضل شئ فى الانسان وجهه فهو دائماً حريص على أن يقي وجهه أي سوء أو مكروه يقع به ، فالمجرم عندما لم يحصن وجهه مما قد حرم عليه فهو يهان يوم القيامة فى النار فيسحب على وجهه ليذوق مسّ النار . قال ابن جرير : فإن قال قائل : وكيف يذاق مسّ سقر ، أوله طعم فيذاق ؟ فإن ذلك مختلف فيه ، فقال بعضهم : قيل ذلك كذلك على مجاز الكلام ، كما يقال : كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز ؟ وقال آخر : ذلك كما يقال : وجدت مسّ الحمّى يراد به أول

---

(١)سورة القمر آية ٤٧ – ٤٨ .

(٢)تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤١٥ .

(٣)تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ٤/ ٢٦٤ .

ماناللني منها ، وكذلك وجدت طعم عفوك . وأما سقر فإنها اسم باب من أبواب جهنم وترك إجراؤها لأنها اسم لمؤنث معرفة » (1) .

قال سيد قطب : فى ضلال يعذب العقول والنفوس ، وفى سعر تكوي الجلود والأبدان . . . فى مقابل ماكانوا يقولون هم وأمثالهم من قبل:(أبشراً واحداً منّا نتبعه إنا إذن لفى ضلال وسعر) ليعرفوا أين يكون الضلال وأين تكون السعر وهم يسحبون فى النار على وجوههم فى عنف وتحقير ، فى مقابل الاعتزاز بالقوة والاستكبار وهم يزادون عذاباً بالإيلام النفسي ، الذى كأنها يشهد اللحظة حاضراً معروضاً على الأسماع والأنظار : ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ (2) . وقال تعالى ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (3) .

قال البخاري : قال مجاهد : « ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ ﴾ يجر على وجهه فى النار وهو قوله تعالى ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (4) » (5) . وتقلب أيضا فى نار جهنم كما قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (6) . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر : فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ » (7) .

---

(1)جامع البيان عن تأويل أي القرآن ٢٧/ ١١٠ .

(2)فى ظلال القرآن ٦/ ٣٤٣٦ .

(3)سورة الزمر آية ٢٤ .

(4)سورة فصلت آية ٤٠ .

(5)صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الزمر . (فتح الباري ٨/ ٥٤٧)

(6)سورة الأحزاب آية ٦٦ .

(7)رواه مسلم فى صحيحه كتاب القدر حديث ٢٦٥٦ ، ورواه الإمام أحمد فى المسند ٢/ ٤٤٤ ورواه

قال النووي : « المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدر الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته . . . .، وفى هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبات القدر وأنه عام فى كل شيء فكل ذلك مقدر فى الأزل معلوم لله مراد له » [(١)]. فهذا مشهدهم وهم يعذبون فى نار جهنم بهذه الحالة ، بالسحب على الوجوه مع سوء حال مجيئهم من أرض المحشر الى النار .

عن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن . فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت . ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار . ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي فى النار** » [(٢)] .

قال النووي : « قوله ﷺ فى الغازى والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشد عقوبته وعلى

الترمذى فى كتاب القدر باب ١٩ حديث ٢١٥٧ وقال : حديث صحيح .

(١)صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢٠٥ .

(٢)رواه مسلم فى صحيحه كتاب الأمارة حديث ١٩٠٥ ورواه الامام أحمد فى المسند ٢/ ٣٣٢ .

الحث على وجوب الإخلاص فى الأعمال كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ وفيه أن العمومات الواردة فى فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله بذلك مخلصاً وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين فى وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً » [1] . فمن سوء خاتمة المجرمين فى الدار الآخرة سحبهم إلى نار جهنم على وجوههم ، وسحبهم فى النار على وجوههم تغليظاً فى شدة العذاب وتحقيراً وإهانة لهم على سوء صنيعهم فى الحياة الدنيا .



---

(١)صحيح مسلم بشرح النووى ١٣ / ٥٠ .

المطلب الثالث

هيئتهم فى النار

قال تعالى ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ (١) . إن نار الدنيا لها تأثيرها على أي جسم من الأجسام مهما كان نوعه من القوة والصلابة فهي تغير ذلك وتدمره بل قد تخفي وجوده بالكلية ، فكيف بنار الآخرة على ماعرفنا عنها واختلافها عن نار الدنيا ؟ كيف بتأثيرها على الانسان الضعيف المكون من لحم وعظم ودم ؟ إن تأثيرها أشد وأعظم ، وأن الله ﷻ قضى على من يدخل النار أن لا يموت ولا يحي ، كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها ليذوقوا العذاب ، فكيف بهيئتهم ومنظرهم وقد لفحتهم النار ؟ وهذا ما أخبرنا الله به وصوره لنا فى هذه الآية الكريمة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ قال : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته » (٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه فى قوله ﷻ ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ قال : ككلوح الرأس النضيج » (٣) .

---

(١)سورة المؤمنون آية ١٠٤ .

(٢)رواه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ٥ حديث ٢٥٨٧ وقال حديث حسن صحيح غريب ، ورواه الامام أحمد فى المسند ٣/ ٨٨ ورواه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٩٥ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

(٣)رواه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى . [٢/ ٣٩٥] .

المطلب الرابع
زفيرهم وشهيقهم

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [١] قال أبو العالية: الزفير من الصدر ، والشهيق من الحلق ، وعنه أيضاً ضد ذلك وقال الزجاج : الزفير من شدة الأنين ، والشهيق من الأنين المرتفع جداً ، قال وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير فى النهيق ، والشهيق بمنزلة آخر صوت الحمار فى النهيق . وقال ابن عباس رضي الله عنه عكسه ، قال : الزفير: الصوت الشديد ، والشهيق : الصوت الضعيف . وقال الضحاك ومقاتل : الزفير مثل أول نهيق الحمار ، والشهيق مثل آخره حين فرغ من صوته . وقيل : الزفير : اخراج النفس ، وهو أن يمتلئ الجوف غمّاً فيخرج بالنفس ، والشهيق : رد النفس. وقيل الزفيرترديد النفس من شدة الحزن مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته ، والشهيق : النفس الطويل الممتد ، مأخوذ من قولهم : جبل شاهق أي طويل . والزفير والشهيق من أصوات المحزونين » [٢].

قال سيد قطب : ومن خلال التعبير نشهد : ﴿ ٱلَّذِينَ شَقُواْ ﴾ نشهدهم فى النار مكروبي الأنفاس ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ من الحر والكتمة والضيق . ونشهد ﴿ ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ نشهدهم فى الجنة لهم فيها عطاء دائم غير مقطوع ولا ممنوع » [٣] .

(١)سورة هود آية ١٠٦ .
(٢)الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٩٨ .
(٣)فى ظلال القرآن ٤/ ١٩٢٩ .

وقال تعالى ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [(١)]. قال الشيخ عبدالرحمن السعدى : « ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ من شدة العذاب ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ صم بكم عمي . أولا يسمعون من الأصوات غير صوتها لشدة غليانها واشتداد زفيرها وتغيظها » [(٢)] .



(١)سورة الأنبياء آية ١٠٠ .

(٢)تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٥/ ٢٦٤ .

المطلب الخامس

جر الأمعاء

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب [1] بطنه . فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى . فيجتمع إليه أهل النار . فيقولون : يافلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه** » [2].

فى هذا الحديث الشريف مشهد لمن يقولون مالا يفعلون كما قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ** ﴾ [3] وكما قال تعالى ﴿ **أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ** ﴾ [4] فعندما كانوا يتلبسون بثياب ليسوا أهلاً لها ، فيأمرون ولا يعملون ، وينهون ويقعون كان الجزاء شديداً والفضيحة أعظم فهم يدورون فى نار جهنم وقد خرجت أمعاءهم فيجرونها وراءهم وأهل النار يتعجبون من هؤلاء الذين كانوا يأمرونهم بالخير وهم بهذه الحالة السيئة فى النار وعند سؤالهم لهم يجيبون أنهم بعكس ماكانوا عليه فى الدنيا فجوزوا بهذا .

---

(١)أقتاب : الأقتاب : الأمعاء . واحدها قِتْب بالكسر . وقيل : هى جمع قتب . وقتب جمع قتبه وهي المعي . النهاية فى غريب الحديث ٤/ ١١ .

(٢)رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب ١٠ حديث ٣٢٦٧ ورواه مسلم كتاب الزهد والرقائق حديث ٢٩٨٩ ورواه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٢٠٥ .

(٣)سورة الصف آية ٢ – ٣ .

(٤)سورة البقرة آية ٤٤ .

ومن يجرون أمعاءهم فى نار جهنم صاحب المحجن الذى يخدع به الناس فيسرقهم به فمما عرض على النبي ﷺ من أمر الجنة والنار وهو فى صلاة الكسوف فيما يرويه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال : « **وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار . كان يسرق الحاج بمحجنه** [1] **فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به . . .** » [2] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه فى النار ، كان أول من سيّب السوائب** [3] » [4] . وعمرو بن عامر قد ارتكب أمرا شنيعاً فى التوحيد فليس عمله ماجاء فى هذا الحديث فحسب بل قد غير دين ابراهيم عليه السلام فقد استخرج الأصنام « وداً وسواعاً ويغوث ونسراً» والتى عبدت على عهد نوح عليه السلام ودعا الناس الى عبادتها [5] .



(١)بمحجنه : المحجن : عصا معقفة الطرف . صحيح مسلم ٢/ ٦٢٣ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٢)رواه مسلم كتاب الكسوف حديث ٩٠٤ .

(٣)السوائب : كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من مرض أو غير ذلك قال : ناقتى سائبة ، فلا تمنع من ماء ولا مرعى ولا تحلب ولا تركب وكان الرجل إذا أعتق عبداً فقال هو سائب فلا عقل بينهما ولا ميراث وأصله من تسيّب الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت . النهاية فى غريب الحديث ٢/ ٤٣١ .

(٤)رواه البخاري فى صحيحه كتاب التفسير سورة المادة باب ١٣ حديث ٤٦٢٣ ورواه مسلم كتاب صفة الجنة حديث ٢٨٥٦ .

(٥)انظر الدر النضيد على أبواب التوحيد تأليف الشيخ سليمان عبدالرحمن الحمدان ص ١٣١ » المطبعة السلفية – ومكتبتها – مصر القاهرة .

المطلب السادس

صراخهم ونداؤهم

قال تعالى ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ [(١)] قال الشوكاني : « من الصراخ وهو الصياح أي وهم يستغيثون فى النار رافعين أصواتهم ، والصارخ : المستغيث . ﴿ **رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ أي وهم فيها يصطرخون يقولون ربنا . . الخ . قال مقاتل هو أنهم ينادون : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل : من الشرك والمعاصى فنجعل الإيمان منا بدل ماكنا عليه من الكفر ، والطاعة بدل المعصية . . ﴿ **غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾ للتحسر على ماعملوه من غير الأعمال الصالحة » [(٢)] فيجيبهم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ [(٣)]. والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والواو للعطف على مقدرّ كما فى نظاره ، وما نكرة موصوفة : أى أو لم نعمركم عمراً يتمكن من التذكير فيه من تذكر . .﴿ **وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ** ﴾قال الواحدي :قال جمهور المفسرين: هو النبي صلى الله عليه وسلم . [(٤)].

وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت ، وأنهم ليبكون الدم يعنى مكان الدمع** » [(٥)] . إنهم يعترفون بقيام الحجة عليهم فى الدنيا ويطلبون العودة مرة أخرى

---

(١)سورة فاطر آية ٣٧ .

(٢)فتح القدير ٤/ ٣٥٤ .

(٣)سورة فاطر آية ٣٧ .

(٤)فتح القدير ٤/ ٣٥٤ .

(٥)رواه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٦٠٥ وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبى .

وإن عادوا لما كانوا عليه فإنهم ظالمون . قال تعالى ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ (١) . فيأتيهم الجواب من المولى الحكم العدل الذى لا يظلم أحداً شيئاً ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (٢) .

فلا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً إلا أن يطلبوا الموت والراحة مما هم فيه من العذاب قال تعالى ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (٣) لا صياح ولا بكاء ينفعهم ولا رجوع إلى الدنيا فيعملوا صالحاً حسب مايقولون ولا موت فيستريحون مماهم فيه من سوء العذاب ، مصيبة عظيمة ألمتّ بالقوم . لما علموا أن لا طريقة تخرجهم مما هم فيه لجأوا إلى خزنة النارالنار يطلبون منهم أن يخففوا عنهم من العذاب . قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (٤) .

قال ابن كثير : لما علموا أن الله ﷻ لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعاهم بل قد قال ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي أو ماقامت عليكم الحجج فى الدنيا على ألسنة الرسل ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ﴾ أي أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم

---

(١)سورة المؤمنون آية ١٠٦ – ١٠٧ .
(٢)سورة المؤمنون آية ١٠٨ .
(٣)سورة الزخرف آية ٧٧ .
(٤)سورة غافر آية ٤٩ .

براء ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا ﴿ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ أي إلا فى ذهاب لا يقبل ولا يستجاب » [1] .



(١)تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات ، المتولى لشئون عباده فى الحياة الدنيا وبعد الممات . وأشهد أنه الحي الدائم الذي خلقه كلهم يموتون وهو حي دائم لا يموت .

وبعد :

إنى أحمد ربى لا أحصى ثناء عليه ، أمتن عليّ بنعم كثير منها نعمة الاسلام وقد وفقنى وهداني لطلب العلم الذى بسببه تسهل الطرق الموصلة إلى الجنة .

وأشهد أن محمداً ﷺ – هو عبدالله ورسوله ، أرسله الله رحمة للعالمين ، ومبلغاً للناس أجمعين يحذرهم من عصيان الله الموجب لعذابه ويأمرهم بطاعة الله الموجبة لرضاه ونعيمه . وأشهد أن الموت حق ، وأن الناس إذا ماتوا يبعثون وذلك فى اليوم الآخر ، وأشهد أن المواقف والمشاهد التى جاءت فى الكتاب والسنة وستكون فى اليوم الآخر حق لامرية فيها ، وقد بينت ماوفقنى الله إليه فى رسالتى هذه وأرجو أن يكون صواباً على ماجاء فى الكتاب والسنة على مراد الله تعالى وعلى مراد رسوله ﷺ .

ولا يخفى أن اليوم الآخر من الامور الغيبية التى جاء ذكرها كثيراً فى الكتاب والسنة بل وقد تكرر ومنه مايظن ماظاهره التعارض ، وحاشا أن يكون هناك تكراراً بدون فائدة إلا وله مناسبته فى الموضع الذى جاء فيه ، ولا تعارض عند النظر والتأمل فى الأدلة. وهذه الرسالة تبين إن شاء الله كل ماأشرت اليه . ونتائج اليوم الآخر تقوم على أمرين كانت فى الحياة الدنيا ، وعلى أمور فى اليوم الآخر فأما الأمران اللذان فى الحياة الدنيا فيتعلقان بالبلاغ والعمل وهما :

١ - ان الله ﷻ خلق الخلق وأوجدهم فى الحياة الدنيا وكلفهم بالعبادة التى تنبنى عليها شقاوة العبد فى الترك أو سعادته فى الإنقياد وذلك فى اليوم الآخر . قال تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (١) .

٢ - أن التكليف الذى كان للعباد فى الحياة الدنيا كان على بينة وهدىً فأُلزم العبد بقيود يسير عليها ليكون فى ذلك على بصيرة من أمره ولتنقطع معاذيره فى الدارالآخرة كما أخبر سبحانه ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٢) . وكما قال سبحانه ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣). وأما الامور التى فى اليوم الآخر فتتعلق بالمحاسبة وبها يظهر به عدل الرب ﷻ وهي :

١ - الحساب .

٢ - الميزان .

٣ - صحف الأعمال .

يظهر ﷻ كل عبد على عمله ، فيستر المؤمنين ويفضح الكافرين ، يقرر كلاً بعمله بها لا لبس فيه ثم توزن أعمال العباد ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ (٤) . ثم يعطى

(١)سورة الزلزلة آية ٧ – ٨ .

(٢)سورة النساء آية ١٦٥ .

(٣)سورة الاسراء آية ١٥ .

(٤)سورة القارعة آية ٦ – ٩ .

كلاً كتابه بيمينه أو بشماله ويمرون على الصراط فهالك وناج . وهذه المحاسبة من واقع ماتعارفوا عليه فى حياتهم الدنيا من إثبات الحقوق بمحاسبة بعضهم لبعض ، بالوزن وبالكتابة والاثبات فى الصحف بما يبعد الشك والخلاف فى ذلك . فالحياة الدنيا دار عمل ، والحياة الآخرة دار جزاء .

فعلى العبد فى الحياة الدنيا أن يؤمن بهذا اليوم الذى فيه المرجع إلى الله تعالى ولقائه ﷻ ويعمل صالحاً ولا يكن ممن عميت بصائرهم وقالوا كما أخبر الله عنهم ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١) وكما رد الله وأبطل مزاعمهم فقال تعالى ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢) .

أو ممن أعرض عن هذا الدين حتى انتهى يومه فى هذه الحياة الدنيا فأصبح من الخاسرين . قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (٣).

أوممن أخذ ولكنه أهمل وتكاسل وقصر حتى فاتته فرصة عمره فندم يوم لا ينفع الندم . قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ

(١)سورة الجاثية آية ٢٤ .
(٢)سورة التغابن آية ٧ .
(٣)سورة طه آية ١٢٤ – ١٢٦ .

ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١)
فبالإستقامة تحصل السلامة والنجاة ، وبالاعراض تحصل الندامة والهلاك .

قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (٢) .

اللهم اجعل عملي لوجهك خالصاً ، وعلى سنة نبيك صواباً ، ولا تجعل لأحد غيرك فيه شيئاً ، واجعله لي عندك ذخراً . والحمد لك اللهم أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . .



(١)سورة المنافقين آية ٩ – ١٠ .

(٢)سورة طه آية ٧٤ – ٧٦ .

فهرس الموضوعات